



25.2.2016

ديوان
ابوالقاسم الشابي

دار القسوة - بيروت

ديوان :

ابو القاسم الشابي

دار العودة - بيروت

ديوانت :
ايو القاسم الشابي

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

١٩٩٧

يُحَلِّبُ مِنْ دَارِ الصَّوْحَةِ - بَيْرُوتَ
كُورْنِيشِ المَرْجَعَةِ - بِنَايَةِ رِيْقِيْرَا سَنْتُر
تَلْفُون: ٨١٨٤٠٥ - ٨١٨٤٠٦
ص. ب: ١٤٦٢٨٤ / بَرْقِيَا، الصَّوْحَةُ

دراسة وتقديم: الدكتور عز الدين اسماعيل

اختلف المؤرخون لحياة أبي القاسم الشابي حول يوم مولده ، والشهر الذي وقع فيه ذلك اليوم ، ولكنهم اجمعوا على ان مولده كان في سنة ١٩٠٩ ، ثم يرجح الاستاذ أبو القاسم محمد كرو أنه ولد في شهر مارس (آذار) . وكانت ولادته في بلدة « الشابية » ، واليها كانت نسبته ، وفيها دفن . وقد عرف بيت الشابي على مدى أجيال بالعلم والفضل ، وكان الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي - والد شاعرنا - من نسل هذا البيت . كان عالما فاضلا ، درس بالجامع الأزهر في القاهرة ،

ثم بجامع الزيتونة بتونس ، وحصل على اجازة « التطويح » ، وهي شهادة اتمام الدراسة بالزيتونة . وقد تزوج الشيخ - فيما يبدو - قبل ان ينهي مرحلة طلب العلم ، وأنجب ولده أبا القاسم قبل أن يعين قاضيا شرعيا بعد تخرجه من الزيتونة . وقد فرضت هذه الوظيفة على الأب ان ينتقل من بلد الى آخر في شتى انحاء تونس ، فأتاح هذا الفرصة للطفل لان يملأ عينيه من ذلك التنوع المائل في طبيعة تلك الاماكن ، وطبائع اهلها واشكال حياتهم المختلفة . وقد استغرقت هذه الفترة من حياة شاعرنا ما يقرب من عشرين عاما ، حيث توفي والده سنة ١٩٢٩

بدأ شاعرنا أبو القاسم حياة التحصيل منذ صباه الباكر ، حيث ألحقه أبوه بالكتاب لحفظ القرآن الكريم . وفي سن التاسعة كان قد حفظ القرآن كله ، فقرت به عين والده ، ولعله - أي الوالد - قد رغب في أن يوجهه الى دراسة من نوع دراسته ، فتمهده بنفسه على مدى عامين ، يلقنه علوم العربية ومبادئ العلوم

الدينية ، وبرشده الى ما يطالع من الكتب التي كانت تحتويها مكتبته .

وفي مستهل عامه الثاني عشر قدم شاعرنا الى تونس لكي يستأنف دراسته بجامع الزيتونة . وبعد مضي ما يقرب من تسع سنوات حصل أبو القاسم على نفس الاجازة التي حصل عليها أبوه من قبل ، لكن استعداده كان مخالفا لأبيه ، حيث استأثرت باهتمامه دواوين الشعر العربي التي أتيح له أن يقرأها ، سواء منها القديم والحديث ، وحيث بدأت موهبته الشعرية تتفتق وتتفتح ، فاذا به يكتب الشعر وهو بعد لم يتم عامه الخامس عشر . ومنذ ذلك الوقت عرف أبو القاسم طريقه وعرف قدره . لقد كان الشعر طريقه ، وكان قدره المقدور .

لقد وجد شاعرنا في بيئة مدينة تونس عوامل دفع لقدراته الخبيئة ، وانضاج لرؤيته لواقع الحياة وللكون من حوله ، واثراء وتعميق لتجربته الشعرية .

وقد ساعد ذلك كله على تحديد موقف الشاعر من القضايا والأوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية التي كان ذلك الواقع يطرحها . وبتحديد هذا الموقف تحددت في ضوءه المضامين الفكرية والشعرية التي اكدها شاعرنا بأعماله الشعرية وكتاباته النثرية على السواء . وبالوقوف على هذه المضامين يمكننا ان نقول ان شاعرنا قد شارك مشاركة ايجابية وفعالة في معركة التحول الحضاري التي كانت قد بدأت في بعض أقطار الوطن العربي خلال القرن التاسع عشر ، وخاصة في مصر والشام ، حتى وصلت الى قمة احتدامها خلال الربع الاول من القرن العشرين . وهي المعركة التي اصطُرعت فيها الثقافة العربية السلفية مع الثقافة العصرية الوافدة من بلدان الغرب . ولقد اختار الشابي موقفه في هذا الصراع الى جانب تلك الثقافة العصرية، على أسس موضوعية محددة ، دون التجني على ما في تلك الثقافة السلفية من قيم ، وعلى الدور التاريخي الذي قامت به في العصور الماضية . وبمشاركة الشابي في هذه المعركة ، وباختياره لموقفه هذا ، يمكن ان يقال

انه كان — بالنسبة لبيئته التونسية — صوتا يوشك ان يكون متفردا بين مثقفي زمانه، وهو متفرد بين معاصريه من الشعراء التونسيين . لقد كانت دعوته الى مراجعة الميراث الحضاري وتجديده وتطويره عن طريق تدارك وجوه النقص فيه دعوة صادمة للأغلبية العظمى ممن يمثلون الوجه الثقافي لتونس في الثلث الاول من القرن العشرين .

وقد يبدو غريبا على الشابى ان يكون هذا هو موقفه ، في حين كانت نشأته كنشأة الآخرين ، وتعليمه سلفيا كتعليمهم . ان الشابى لم يتعلم لغة اجنبية ، يستطيع من خلالها ان يطلع على الآداب الغربية والفكر الغربي ، بل كانت ثقافته عربية صرفا . لكن هذه الغرابة تزول عندما نعرف ان الظروف قد هيأت له — من خلال الترجمات — ان يطلع على جوانب وآفاق من التجربة الشعرية الغربية ممثلة في اشعار الرومنتيكيين امثال لامرتين ودي فيني وببيرون وشلي ، وأن يتعرف على مفهوم الشعر لدى هؤلاء من خلال

الكتاب العرب الذين كانوا يقودون حركة التجديد الشعري في الربع الاول من هذا القرن . لقد قرأ ما كتبته مدرسة الديوان في هذا الصدد ، وبخاصة ما كتبه العقاد عن مفهوم الشعر وطبيعة العمل الشعري ووظيفته ، معتمدا في هذا كله على اصول اكدها الشعراء والنقاد الرومنتيكيون الغربيون من قبل . وفي الوقت نفسه كان الشعراء العرب في المهجر الامريكي يؤكدون في اشعارهم وفي كتاباتهم نفس المفهوم . وقد اطلع شاعرنا على كتابات هؤلاء وهؤلاء . وكما كان العقاد بأفكاره اثرا لدى شاعرنا كان جبران بشعره اقرب الناس الى قلبه . وهكذا استعاض الشابي بما طرحه هؤلاء وهؤلاء من مفاهيم عصرية ومبدعات ادبية متأثرة في اصولها بالرومنتيكية الغربية ، عن القراءة المباشرة للرومنتيكية ، نظرية وأدبا .

وحين تذكر هذه الروافد التي رفدت ثقافة شاعرنا بحصيلة طيبة من الأدب الغربي والفكر الأدبي ينبغي أن تذكر كذلك صداقته للناقد التونسي الاستاذ

محمد الحليوي ؛ فقد كان هذا الناقد واسع الاطلاع في النقد وفي الأدب الغربيين ، وكانت له ملكة نقدية مرهفة ، وبصر موضوعي دقيق بضروب الفن الأدبي ، ولا بد أن شاعرنا قد أفاد كثيرا من صداقته لهذا الناقد. وفيما كتبه الاستاذ الحليوي ، وفي رسائل شاعرنا الكثيرة اليه ، ثم فيما كان يدور بينهما من نقاش أدبي - في كل هذا ما يسعف على تلمس ما كان لهذا الناقد في شاعرنا من تأثير .

ومن كل هذا نستطيع أن نقول أن الشابي قد تثقف ثقافة عربية واسعة ، وكان فيما يرى فيها من رأي انما يصدر عن معرفة كافية بها ، ولكنه كذلك قد ألم بأطراف مختلفة من الثقافة الادبية الغربية، بصورة مباشرة - عن طريق الترجمات - وبصورة غير مباشرة - عن طريق الكتاب والادباء العرب في مصر وفي المهاجر وفي تونس نفسها ، فهبأ له هذا الاطلاع رؤية ادبية وفكرية ارحب واعمق .

ولم يلجأ الشابي أمام هذين الطرازين من الثقافة

ضيع الدهر مجد شعبي ولكن
سرد الحياة يوما وشاحه

وأدرك الظلم الواقع على أبناء شعبه عن طريق
سنّ القوانين التي تلجهم حقوقهم الانسانية وحرّياتهم
فصرخ في وجهه قائلا :

الا ايها الظالم المصغر خذه
روبدك ان الدهر يبني ويهدم

أغرك أن الشعب مفض على قذى
لك الأول من يوم به الشر قشعهم

وفي هذا المعنى يقول الشابي قصيدته «المساة»
«الى طفاة العالم» ، التي يستهلها بقوله :

الا ايها الظالم المستبدّ
جيب الفناء عدو الحياة

وأدرك وقوف الاستعمار في وجه أي حركة
اصلاحية مستنيرة فقال :

كلما قام في البلاد خطيب
موقف شعبه يريد صلاحه
أحمدوا صوته الإلهي بالعصف ،
أماوا صداحه ونواحه
البسوا روحه قميص اضطهاد
فأثك ثألك برء جماعه
لكنه أدرك كذاك وقوع الشعب في خدعة
التمسك بالماضي وبالقوالب الجامدة والهيكل الفاقدة
الروح ، الأمر الذي يعوقه عن الانطلاق لتحقيق وجوده
الحى ، ويعطل طاقاته المبدعة :

أنت دنيا يظلمها أفق الماضي
وليس الكأبة الأبدى
مات فيها الزمان والكون الا
امسها الفأبر القديم القصى
أنت قلب لا شوق فيه ولا عزم ،
وهذا داء الحىاة الدوى

الى البحث عن صورة جديدة يتم فيها التكامل والمواءمة بينهما ، بل كان موقفه الذي اختاره الى جانب الثقافة العصرية حاسما ونهائيا . وهو بهذا الموقف لم يكن يواجه في يئته التونسية التخلف الفكري والادبي فحسب ، بل كان يواجه النزعة المحافظة في المجتمع في اشكالها وصورها المختلفة ، تلك النزعة المتشبثة بالماضي ، الواقعة في أسر قوالبه واطره ، والفاطلة عن الواقع الراهن ، فضلا عن استشراف المستقبل .

ولا شك في ان الاوضاع السياسية في تونس كان لها اثر في هذا التخلف . فقد وقعت تونس تحت الاحتلال الفرنسي منذ الثاني عشر من مايو ١٨٨١ ، وخضعت البلاد منذ ذلك الحين لسياسة خبيثة ، تستهدف ابقاء الشعب التونسي في حالة من التخلف الفكري عن طريق تشجيع الهياكل الثقافية التقليدية ، والحيلولة دون قيام اي حركة تنويرية او محاولة اصلاح مستنيرة . والهدف الاستعماري لهذه السياسة معروف . ومن ثم كان لحركة التجديد الفكري والادبي

في تونس ، كما كان الشأن في مصر وفي الشام وفي العراق ، وجهها السياسي بالضرورة ؛ فقد كانت الدعوة الى تحرير الأدب من قيوده التقليدية البالية هي في الوقت نفسه دعوة الى تحرير الانسان من الظلم السياسي والاجتماعي الواقع به . ومن ثم كان لأدب الشابي، شعره وكتاباته النثرية، وجهه الفكري والفني، كما كان له وجهه السياسي والاجتماعي ؛ فلم تكن التجربة الذاتية التي يعبر عنها هذا الادب بمعزل عن الواقع الجماعي الذي عاش الشاعر في اطاره . فالقيود التي يحس بها الانسان الفرد - الشاعر - مكبلة لروحه هي نفسها القيود التي تشل روح الجماعة وتموقها عن الانطلاق وممارسة الحياة كما ينبغي للمجتمع الحر أن يمارسها .

لقد أدرك الشابي كل هذه الحقائق وعبر عنها .
أدرك الظلام الذي شاء الاستعمار ان ينشر أطنابه على البلاد فقال :

أن ذا عصر ظلمة غير اني
من وراء الظلام شمت صباحه

انت لا شيء في الوجود ، ففادره
الى الموت ، فهو عنك غني

والشقي الشقي في الارض شعب
يومه ميت وماضيه حي

فلئن كان الاستعمار من شأنه ان يستخدم من
الاساليب الدنيئة والسياسة الخبيثة ما يحقق به
اهدافه ومطامعه كان على الشعوب نفسها ، الواقعة
تحت نيره ، الا تستسلم لواقعها التمس ، وأن تكافح
في سبيل تحقيق الحياة الحرة الكريمة . ومن ثم
اهتدى الشابي الى أن هذا الكفاح رهن بتلك الحقيقة
النفسية الإنسانية الرائعة : ارادة الحياة . فمن شأن
طبيعة النفس الانسانية أن يتنازعها في كل وقت
دافعان ، دافع الحياة ودافع الموت . وتظل حياة
الانسان في عنفوانها ما دام لدافع الحياة في نفسه
الغلبة على دافع الموت . فاذا تضعضع دافع الحياة في
نفسه كان الموت ، او كانت حياته اشبه بالموت .

وقد نقل الشابي هذه الحقيقة الى الشعب بأسره،
فنظر اليه من خلالها ، وادرك انه لن يخرج - أي هذا
الشعب - من حالة الموات الى عنفوان الحياة الا اذا
نشط فيه دافع الحياة ، الا اذا « أراد » حقا أن يكون
شعبا حيا . وهذه الإرادة لا تتحقق بطريقة عفوية ، بل
هي رهن بمدى حرارة « الأشواق » التي يستشعرها
الانسان ازاء الحياة . فاذا اشتعلت في نفسه هذه
الأشواق تولدت الإرادة ، وتغلب فيه دافع الحياة على
دافع الموت ، وعند ذاك يصبح الطموح دليل الانسان
الى المغامرة . فاذا خمدت أشواق الحياة في نفس
الانسان فقد الطموح وكف عن المغامرة ، وصار حيا كأنه
ميت ، أو ميتا كأنه حي . وفي هذا يقول الشابي أبياته
المشهورة من قصيدته «إرادة الحياة» :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر

ومن لم يعانقه شوق الحياة
تبخر في جوها واندثر
فويل لمن لم تشقه الحياة
من صفة العدم المنتصر
ثم يعود في نفس القصيدة لكي يؤكد هذه المعاني
حين يقول على لسان الارض :

أبارك في الناس أهل الطموح
ومن يستلذ ركوب الخطر

والعن من لا يمشي الزمان
ويقنع بالعيش ، عيش الحجر

هو الكون حي يحب الحياة
ويحتقر الميت مهما كبر

فلا الأفق يحضن ميت الطيور
ولا النحل يلثم ميت الزهر

ولولا امومة قلبي الرؤوم
لما ضمت الميت تلك الحفر *
فويل لمن لم تشقه الحياة
من لعنة المدم المنتصر

ولكن كيف يمكن ان تتولد في النفس الذابلة تلك
الاشواق الحارة ؟ يجيب الشابي بقوله :

افتح فؤادك للوجود ، وخله
للهم ، للأمواج ، للديجور
للثلج تنشره الزوابع ، للأسى ،
للهمول ، للالام ، للمقدور
واتركه يقتحم العواصف هائما
في أفقها المتلبد المقرر

* لهذا البيت رواية اخرى هي :

ولولا امومة قلب رؤوم لفرت عن الميت تلك الحفر

ويخوض أحشاء الوجود مقامرا
في ليلها المتهيب المحذور
حتى تعانقه الحياة ويرتوي
من ثغرها المتأجج المسجور

إنها اذن دعوة الى تجلية مرآة القلب وتخليصها
من الشوائب العالقة بها ، حتى تنعكس على صفحتها
صور الوجود المادي والمعنوي ، ودعوة الى المغامرة ،
بل المقامرة ، غير الآمونة المواقب ، باقتحام العواصف ،
والخوض في صميم الوجود .

وهذه الفلسفة لم تكن مجرد دعوة يتقدم بها مصلح
الى شعبه ، بل كانت تجربة حية يعيشها شاعر قبل
كل شيء . فقد كان الشابى مقبلا على الحياة منهمكا
فيها ، ولكنه كذلك لم يكن ليتوقف عند مظاهرها
السطحية العارية ، بل كان يحاول تجاوز هذه المظاهر
الى الاعماق ، الى الحقيقة الكلية التي تستخفي وراء
الصور والأشكال المتعددة . وربما كان لقراءاته الصوفية

الباكرة اثر في هذه التجربة . وهي على كل حال تجربة عبر عنها الشعر المهجري وبخاصة شعر جبران الذي كان له موقعه من قلب الشابي . وهي كذلك – اعني هذه التجربة الصوفية – معلم من معالم النزعة الرومنتيكية . ومن ثم كان حديث الشابي عن «النشوة الصوفية القدسية» ، وكيف انها «هي روح هذا العالم المنظور» ، كما كثر في شعره ترديد هذه العبارات : روح الطبيعة ، روح الكون ، روح الربيع ، صميم الحياة ، صميم الوجود ، ضمير الوجود .

اذن فمعاناة الحياة في صميمها من شأنه ان يولد هذه النشوة ، نشوة التعرف على حقيقة الكون وحقيقة الوجود . والمعرفة امتلاك ، وهي – من ثم – قوة . وعندما تتغلغل روح الانسان في اعماق الوجود فتعرفه على حقيقته تكون بذلك قد اكتسبت القوة التي تؤهلها لمواجهة الظواهر العارضة أو العرضية . وفي هذا الصدد يمكننا ان نفهم ونفسر دور شاعرنا في بعث حركة الشبان المسلمين ، حين كان ما يزال في مرحلة

الدراسة بالزيتونة ، فقد كان هدفه من هذا هو ايقاظ
الأرواح واعادة القوة اليها .

ولكننا نعود فنتساءل : كيف كانت تجربة
الشابي نفسه مع ظواهر الكون ومع حقائقه الجوهرية ؟
لقد فتح للحياة وللكون قلبه فهل لقي منهما استجابة
له ؟ وهل كشفنا له عن الحقائق المستورة ؟ :

كلما أسأل الحياة عن الحق تكف الحياة عن كل همس

لم أجد في الحياة نفما بديعا
يستبينني سوى سكيننة نفسي

هكذا تصمت الحياة في بلادة فلا تجيب الشاعر
عن أسئلته الحيرى . وكذلك تصمت ظواهر الكون :

وسألت الليل والليل كئيب ورهيب
شاخصا بالليل والليل جميل وغريب
أترى انشودة الرعد انين وحنين

رئمتها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟
أم هي القوة تسمى باعتساف واصطخاب
يتراءى في ثنايا صوتهها روح العذاب ؟
غير أن الليل قد ظل ركودا جامدا
صامتا مثل غدير القفر من دون صدى

لكن الكون يسكت عن الجواب أحيانا وبجيب
أحيانا . ففي قصيدة « ارادة الحياة » يسأل الشاعر
الليل عما اذا كانت الحياة تعيد الى ما أذبلته نضارة
الربيع ، أي تمنحه الحياة والنماء بعد أن صار مواتا ،
فيصمت الليل عن الجواب ، ولكن الغاب يجيب
الشاعر عن سؤاله اجابة مسهبة ، فحواها انه بالامكان
عودة الروح والحياة الى الجسم الهامد . فالطبيعة لا
تعرف الموت المطلق ، بل تعرف قصولا للتحول . فاذا
جاء الشتاء وغطت الثلوج كل شيء ، وهوت الفصول
وتساقط الورق ، وبدا كل شيء في حالة موات ، فان
البذور تبقى :

معانقة وهي تحت الثلوج
وتحت الضباب وتحت المدر

لطيف الحياة الذي لا يمل وقلب الربيع الجميل العطر

فالبذرة هي الأصل ، وهي باقية وقادرة على
الكمون الى ان تنهيا لها ظروف التفتح والنمو ، اما
الأغصان والأوراق فعارضة ، قد تدبل وتسقط ، ولكن
أغصانا أخرى غضة ، وأوراقا أخرى مخضرة ، يمكن
أن تشق طريقها الى الحياة اذا ما لقيت البذرة
الظروف الملائمة .

هذه الحقيقة التي يستنبتها الشاعر من مظاهر
الكون الطبيعية انما تعكس لنا مرة أخرى المضمون
الروحي لرسائله الشمرية في مجتمعه خاصة ، وفي
المجتمع الانساني عامة ، وهو أن المجتمع قادر على
التجدد وامتلاك القوة اذا ما هيئت الظروف فيه للروح
كي تتفتح وتنمو وتنطلق .

واذا كان الانسان جوهرًا وعرضًا ، جوهره
الروح وعرضه البدن ، ففي المجتمع يكون الأفراد

عرضا والمجتمع جوهرًا . الأفراد الى انتهاء ولكن روح الجماعة شيء باق . ومن ثم كانت اهاية الشابى بروح شعبه أن تنفض عنها ركام الزمن ، وأن تنطلق ، كما تنفض البذرة عنها ركام التراب ، وتشق طريقها من ظلام الأرض وبرودتها الى نور الشمس ووهجها .

وتتلاقى اطراف تجربة الشابى وتتكامل فاذا به يحدثنا عن موقفه من الجمال حديثا يرفع فيه من شأن الروح ويقلل من قيمة الشكل . فالجمال الذى تقع عليه الحواس ليس جمالا حقيقيا ، لانه جمال متحول، ومتغير ، ونسبى . اما الجمال الذى تهتز له الروح فهو الجمال المعنوي ، الجمال الذى يقترن بالحق وبالخير .

ان الشابى لا ينكر على الحسان الفائنات حنهن وفتنتهن ، ولكنه - كدأبه - ينظر الى هذا الحسن وهذه الفتنة بوصفهما عرضا ينبغي تجاوزه الى الجوهر ، الى الروح . فما قيمة الحسن والفتنة في جسم مظلم الروح معتم السريرة !! :

قد رأينا الشعور منسدلات
 كللت حسنهما صباح الورود
 ورأينا الخدود ضرجها السر
 حر ، فأها من سحر تلك الخدود
 ورأينا الشفاه تبسم أو تحلم
 سكري بالشدو ، بالتفريد
 ورأينا النهود تهتز كالازهار
 في نشوة الشباب السعيد
 توقظ الوجد في القلوب ولكن
 ليت شعري ماذا وراء النهود ؟
 ما الذي خلف هذه الفتنة الغراء
 في ذلك القرار البعيد ؟
 انفوس جميلة كطيور الغاب تشد
 شدو بمشرق النشيد
 طاهرات كأنها أرج الازهار
 في مولد الربيع الجديد

وقلوب وضيئة كنجوم الليل
ضواعة كفصن الورود
ام ظلام كانه قطع الليل و
هول يشيب راس الوليد
وخضم بموج بالإثم والمنكر
والشر والضلال المديد ؟

هكذا يتساءل الشابي عما وراء كل مظاهر الفتنة
الجسدية المثيرة . يتساءل عما اذا كانت النفوس جميلة
طاهرة ، وعما اذا كانت القلوب وضيئة ، لأن الجمال
الحقيقي انما يتمثل في النفوس والقلوب ، لا في
الأشكال والأجسام . وهو - بعد - الجمال الأبدي
الباقى :

غير باق في الكون الا جمال الر
وح غصنا على الزمان الأبد
ووقفة عند رائعة الشابي « صلوات في هيك

الحب » تؤكد لنا هذا المنحى في انفعاله الخاص بجمال محبوبته ، حيث تتوارى كل القيم الشكلية في محبوبته ، فلا يفعل منها الا بجمالها المعنوي . يتضح لنا هذا منذ مطلع القصيدة :

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام ،
كاللحن ، كالصباح الجديد

فليس فيما وصف به محبوبته في هذا البيت صفة حسية واحدة . انها حقا عذبة ، ولكن لمذوبتها ابعادا معنوية جسمها الشاعر من خلال معطيات انسانية مختلفة، من خلال الطفولة والأحلام والموسيقى واشرافة الصباح .

وحيثما تحركت في هذه القصيدة طالعتك أوصاف الجمال المعنوي يحسه الشاعر في محبوبته ، فهي « ملاك الفردوس » ، و « رسم جميل عبقرى » ، و « فجر من السحر » ، و « روح الربيع » ، الى غير ذلك من الأوصاف . حتى عندما يتوقف الشاعر عند

مظاهر الجمال الحسية فيها اذا به ينقلها من مستواها
الحسي الى المستوى المعنوي :

خطوات سكرانة بالأناشيد وصوت كرجع ناي بعيد
وقوام يكاد ينطق بالألحان في كل وقفة وقعود
كل شيء موقع فيك حتى لفظة الجيد واهتزاز النهود

ثم ننظر الى تجربة الشابي من زاوية أخرى
فيطالعنا منها وجه آخر ولكنه كذلك يتواءم ويتكامل
مع سائر الوجوه . وفي هذا الوجه يتحدد امامنا
موقف الشاعر من العقل والعاطفة .

ان شاعرا يبحث عن الحقيقة الكلية المستخفية
وراء مظاهر التعدد ، وعن الروح الكامن في صميم
الأشكال والأجسام ، وعن الجمال المثالي الذي يكمن
في هذا الروح - هذا الشاعر الذي يرى سعادته في
معاينة النور ، لا يمكن ان يتخذ من العقل وسيلة للفهم
والتعرف على الأشياء ، لما يمثله العقل من صرامة
المنطق ، ولجفافاته لطبيعة التجربة الشعرية الحية .

ومن ثم رفع الشابي من قيمة الوجدان ، وجعله
وسيلته التي يتلقى بها الحياة ، ورائده في البصر بها
وإدراك كنهها . انه فنان في المحل الأول، وليس للعقل
ان يقحم نفسه بمنطقة البارد على تجربته الحيوية ،
والا فقدت هذه التجربة حرارتها ، واستحال العمل
الفني الذي يعبر عنها الى قوالب ومعادلات عقلية
صارمة وجامدة . وانما اربط الفن في نفسه
بالوجدان ، فكان شعره تعبيرا عن « وقع الحياة على
وجدانه » ، بأوسع ما تدل عليه هذه العبارة . وهو
في ايمانه بالوجدان يتفق مع نظرة مدرسة الديوان الى
الشعر ، ومع شعراء المهاجر، بخاصة جبران ونعيمه.

لقد عاش الشابي بعواطفه حتى « كادت العواطف
عنده تصبح مرضا ناهشا » - كما تقول نازك الملائكة.
وقد توزعت هذه العواطف بين همومه الشخصية
ومشكلات مجتمعه ، فكان العناء عليه ثقيلا . فلم
تتولد عن هذه العواطف المشبوبة الا الآلام والأحزان ،
فكان « يحمل الوجود » - على حد تعبيره - على قلبه،

كانه هو المسئول عن كل ما فيه . وربما تمرد الشاعر
على نفسه ، وندبها للتخلي عن هذه الهموم :

خل عبء الحياة عنك وهبا
بمحييا كالصبح طلق اديمه
فكثير عليك أن تحمل الدنيا
وتمشي بوقرها لا تريمه
والوجود العظيم أقعد في الماضي
فما أنت ربه فتقيمه

ولكن هل كان في وسعه أن يستجيب لهذه
الدعوة ؟ لقد كان الشعر - كما قلنا في مستهل هذا
الحديث - هو قدره ، وما كان له أن يفلت من هذا
القدر وان تمرد عليه بين الحين والحين . ما كان له أن
يطرح عن نفسه رسالة الفن واعبائها النفسية الثقال
وعذاباتها ، وان يخمد في نفسه عواطفه المشبوبة ، وان
يواجه الحياة بعقل عملي ، شأن الآخرين . ما كان له
أن يقول :

عسى بالشعور وللشعور فانما
دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق وانها
لتجف لو شيدت على التفكير

- ما كان له ان يقول هذا ثم ينقلب على نفسه ،
فيجمد مشاعره ، ويحكم في كل شيء عقله .

لقد افنى روحه في التفني للحياة وفي ايقاظ
الارواح الخاملة ، ولم يسع وراء منصب عملي او
كسب شخصي ، لأن هذه كانت هي رسالته المنوطة به،
التي لم يكن هناك سبيل الى الفكاك منها ، شأنه في
هذا شأن أصحاب الرسالات من الأنبياء والمصلحين .

وربما خيل لشاعرنا في وقت من الاوقات انه
يفني حياته عبثا ، وانه يحترق من أجل الآخرين دون
ان يلقي منهم الاستجابة المشجعة ، بل انه هم ربما
انكروه . وانه ليحزن لذلك أشد الحزن ، وبألم غاية

الآلم . وقد كان هذا الإنكار حرباً ان يصرفه عن طريقه،
وان يرده الى العقل ، ولكنه مع ذلك لا يملك الا ان
يستمر ، وان يجدد المحاولة . وانهم ليرمونه بالجنون
وفقدان العقل فما يابه بذلك ، ولكنهم يفلقون ارواحهم
وقلوبهم دونه ، بل يعبثون بقطع روحه التي يتقدم بها
اليهم ، فيحزن ، ويمعنون في ذلك الامتحان فيصيبه
اليأس اخيراً ، ويفر منهم الى الغاب ، يلتمس لروحه
السكنة :

في صباح الحياة ضمخت أكوابي
واثرعتها بخمرة نفسي
ثم قدمتها اليك فأهرقت رحي
قي ودست يا شعب كاسي
فتألمت ثم اسكت ألامي
وكفكت من شعوري وحسي
ثم نضدت من أزاهير قلبي
باقية لم يمها اي انس

ثم قدمتها اليك فمزقت ورودي
ودستها أي دوس
ثم البستني من الحزن ثوبا
وبشوك الصخور توجت رأسي
ها أنا ذاهب الى الغاب يا شعبي
لاقضي الحياة وحدي بيأس
ها أنا ذاهب الى الغاب علي
في صميم الغابات ادفن نفسي

والعودة الى الغاب ليست مجرد انتقال من حياة
الناس بكل ما فيها من صخب وضجيج الى حياة
الهدوء والاستقرار ، فما كانت نفس الشابي بالنفس
الهائلة وأن بدا في مظهره وديعا ، وما كان الهدوء
والاستقرار بالنسبة اليه الا ضربا من الجمود او الموت .
كلا ، فالغابة رمز نفسي ، واللجوء اليها يمثل الرغبة
الدفينة في العودة الى رحم الام . ومعطى هذه الرغبة
هو معطى شعوري في المكان الاول ، يناقض المعطى

العقلي . فذهب الشاعر اذن الى الغاب انما يمثل
تمسكه بمعطيات الشعور التي يرفضها المجتمع ،
ورفضه لمنهج العقل الذي يتمسك به هذا المجتمع .
وقد كشف لنا الشاعر نفسه عن هذا المضمون واكده
فيما وجهه الى مجتمعه الذي انكره من نقد حين قال :
انت روح غبية تكره النور وتقضي الدهور في ليل ملس
انت لا تدرك الحقائق ان طافت حواليك دون مس وجس

فهو اذن مجتمع لا يدرك الحقائق الشعورية ولا
يقدرها ، ولا يقتنع الا بما هو عياني ملموس .

وبدهي ان الشاعر لم يذهب حقا لكي يعيش في
الغاب ، ولكنه اضطر الى ان يتفوق داخل شرنقة
روحه ، يجتر آلامه وأحزانه ، ثم يفضي بها بين الحين
والحين .

وهنا يبرز أمامنا وجه جديد من وجوه تجربة
الشابي ، يلتقي فيه مع كثير من الشعراء الرومنتيكيين ،

واعني بذلك الشعور بالفريبة . فقد اضطر هؤلاء
الشعراء - امام اوضاع بلادهم السياسية والاجتماعية
المنهارة ، ونتيجة لمجزهم عن القيام بدور ايجابي فعال
في توجيه الحياة والناس - اضطروا الى الفرار من
مجتمعهم . ولكن « اين المفر » ؟ انه فرار الى داخل
النفس وان اتخذ من القرية في الريف او من الفناء
ملاذا .

والشعور بالفريبة شعور اسيان وحزين ، يورث
صاحبه الكآبة وان اجتمعت له كل اسباب الهم
والتسلي :

مهما تضاحكت الحياة فانني ابدا كئيب
اصفي لاوجاع الكآبة والكآبة لا تجيب
في مهجتي تتأوه البلى ويعتلج النحيب
ويضج جبار الاسى وتئن غمفمة الكروب
اني انا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب

ولا شك في أن هذه الغربة قد فرضت نفسها
على شاعرنا فرضاً ، والا فإن حبه لأبناء شعبه لم يكن
يدانيه حب ، ورغبته في النهوض بهم كانت أكيدة .
وانما فرضها عليه ذلك الصدع الذي فصل بين رؤيتهم
ورؤيته ، وبين منهجهم في الحياة ومنهجه ، فصاروا
لا يتجاوبون معه ، ولا يدركون مراميهِ البعيدة . وإذا
كانت هذه الغربة مفروضة عليه كان من الطبيعي أن
تورثه الشقاء :

يا صميم الوجود كم أنا في الدنيا غريب أشقى بغربة نفسي
بين قوم لا يفهمون أناشيد فؤادي ولا معاني بؤسي

ويرتفق بشعور الغربة عند الشاب ويتولد عنه
شعور بالملالة والسأم ، وذلك عندما تختزل تجربة
الحياة ، على رحابتها وتنوعها وثرائها ، في مجرد صور
مكرورة وأشكال معادة . وهذه الملالة وهذا السأم إنما
يتولدان في نفس الفنان عندما تقفر الحياة الاجتماعية
من التجارب الجديدة المثيرة ، وتستبد الأعراف

والتقاليد الموروثة بسلوك الناس وعلاقاتهم بعضهم
ببعض . عندئذ يحس الفنان انه انما يعيش في سجن .
ولا غرابة عندئذ ان يقول الشابي :

سام هذه الحياة مصاد
وصباح يكر في اثر ليل

ليتني لم افد الى هذه الدنيا
ولم تسبح الكواكب حولي

ليتني لم يعانق الفجر احلامي
ولم يلثم الضياء جفوني

ليتني لم ازل كما كنت ضوئا
شائعا في الوجود غير سجين

ولقد تضافرت على تشكيل تجربة الشابي على
هذا النحو - الى جانب هذه الظروف الجماعية -

عناصر شخصية ، تتعلق بحياته الخاصة ، وعلاقته بأقرب الناس اليه ، بالفتاة التي أفرم بها في مستهل تفتحها الوجداني ثم اخترمها الموت ، وبأبيه الذي كان يسبق عليه من عطفه ورعايته ويحمل عنه تكاليف الحياة ثم اذا به يودع الدنيا مخلقا له تركة من الأعباء والمسئوليات ، ثم بزواجه التي لم يكن - فيما يبدو - يرى فيها المثل الأعلى للمرأة ، الذي كان ينشده ، وأخيرا في العلة التي أصابت قلبه ، وهي العلة التي مات بها .

أما تجربة الحب الباكرة العنيفة فقد تركت في نفس شاعرنا ندوبا لعلها لم تندمل في يوم من الأيام . ومنذ ان اختطف الموت منه تلك المحبوبة تجسم الموت امامه بوصفه عدوا للحياة . وكان شاعرنا - كما عرفنا - يحب الحياة وتتحرك روحه بأشواقها . وانه

ليتذكر سعادته بتلك التجربة وما خلفه موت محبوبته
في نفسه من أشجان :

ثم اختفت ، اواه ! طائفة بأجنحة المنون
نحو السماء ، وها انا في الأرض تمثال الشجون
قد كان ذلك كله بالأمس ، بالأمس البعيد
والأمس قد جرفته مقهورا يد الموت العنيد
بالأمس قد كانت حياتي كالسما الباسمة
واليوم قد امت كاعماق الكهوف الواجمة .. الخ.

اما موت أبيه فقد خلف له لوعة جارفة وأسى
مستبدا ، ولكنهما لوعة وأسى من نوع آخر ، يستغرق
الإنسان حقا ، حتى ان المرء ليعجز عن أن يعبر عن
شيء مما تضطرم به نفسه (وهو ما حدث لشاعرنا اثر
وفاة أبيه ، حيث ظل يحس بالعجز عن رثائه) ولكن
ما تلبث الحياة ان تغطي تلك اللوعة وذلك الآسى :

ما كنت احسب بعد موتك يا ابي
ومشاعري غياء بالاحزان
اني ساظماً للحياة واحتسي
من كأسها المتوهج النشوان
واعود للدنيا بقلب خافق
للحب والافراح والالحان
حتى تحركت السنون واقبلت
فتن الحياة بسحرها الفتان
فاذا انا طفل الحياة المنتشي
شوقا الى الاضواء والالوان

هذا ما يقرره الشابي في العام الذي توفي فيه،
بعد وفاة والده بحوالي خمس سنوات . ولكن اقباله
على الحياة لم يكن يعني ان ظاهرة الموت بكل ما فيها
من عبثية وقسوة كانت قد توارت عن ضميره ، بل كان

دائم الاحساس بها ، وربما صرخ في وجهها صرخة
الإنكار والتمرد :

أيها الموت ، أيها القدر الأعمى ،
قفوا حيث انتم او فسيروا

ودعونا هنا تغني لنا الأحلام
والحب والوجود الكبير

واذا ما ابستم فاحملونا
ولهيب الفرام في شفتينا

وزهور الحياة تعبق بالمطر
وبالسحر والصبا في يدينا

وهكذا يريد الشابي ان يظل معانقا للحياة حتى
اللحظة الأخيرة . وانه لتشد عليه العلة ، وينصح له
الطبيب بالكف عن الانفعال والعمل حتى يبرأ ، ولكن
روحه المتوثب لم يستجب لذلك النصح ، وظل يرهق

قلبه حتى لفظ أنفاسه الأخيرة . ومن الطريف أن نجد شاعرنا ، والموت يتسلل الى قلبه شيئا فشيئا ، قد أدرك نهايته ، ولكنه أمام بطلان الحياة وعبيتها ينظر الى الموت بوصفه تجربة جديدة ، ربما كان فيها خلاصه . وهو من أجل هذا يقبل عليه وكأن دافعا غامضا في اغوار نفسه يدوقه اليه سوقا . ان الشاعر الذي « أراد » الحياة ذات يوم يفسح الطريق لارادة الموت ولكنه في الوقت نفسه يحيل الموت الى تجربة انسانية حية :

جف سحر الحياة يا قلبي الدامي فهيا نجرب الموت هيا!

وهكذا استمجل هذا الشاعر موته ، فوافته المنية وهو بعد في صدر شبابه ، في التاسع من اكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ففقدت به الحياة واحدا من القلائل الذين افنوا حياتهم في حبها والإخلاص لها .

ورغم قصر الفترة التي عاشها الشابي مبدا

ظفرت منه الحياة بشروة شعرية أصيلة تعد من أصدق الإضافات الجديدة القليلة الى الشعر العربي الحديث، التي انتجها جيله والجيل السابق له . واذا لم يكن حجمه الحقيقي قد تحدد على المستوى الوطني والقومي في حياته فلقد أخذ صوته يتردد على مر الأيام في شتى أرجاء الوطن العربي ، وبرزت قيمته بوصفه مناضلا خلاقا وفنانا مبدعا ، وثائرا رومنتيكيا من الطراز الاول .

وبين يديك الآن - أيها القارئ الكريم - حصاد هذه الحياة القصيرة الخصبة المثيرة من الشعر ، يقدمه اليك الشابي نفسه فيقول :

هذا حصادي من حقول العالم الرحب الخطير
هذا حصادي كله في يقظة العهد الأخير

فتجول فيه هونا ، وتأمله وتدبره بنفسك ، فما
تزال آفاق هذه النفس الزكية أرحب من أن يستوعبها
هذا التقديم .

بيروت في ١٩٤٢/٧/٢٢

د. عز الدين اسماعيل

الغزال الفاضل

بذر الحب بذرة في فؤادي فأورقنا
بيلحاظ نوافث فجنى حظي الشقا
وسمى فيه مهره عاديا ، ثم أعنفنا

*

رب ظبي علقته بالبهائم قد تقرطفا

ثُمَّ مِنْ وَصْلِهِ الْجَمِيلِ غَدَا الْقَلْبُ مُمْلِقًا
 سَحَرَ اللَّبَّ طَرْفُهُ مَادَهَا الرِّيقَ لَوْ رَقِيَ
 أَوْصَبَ الصَّبَّ صَدَاهُ وَالشَّفَا لَوْ تَوَفَّقَا
 صَارَ مُلْقَى بِحَبِّهِ مُوْتَقًا لَيْسَ مَطْلَقًا
 صَارَ ذَا جِنَّةٍ بِهِ ذَا عَذَابٍ ، مُؤَرَّقًا
 يَرْقُبُ الْبَدْرَ جَفْنُهُ لِيُنَاجِيَهُ مَا لَقِيَ
 هَامَ فِي الْعَيْنِ غَرْبُهُ وَهَمَى ثُمَّ أَغْدَقَا
 وَهَمَى صَوْبَ هـ (١) فَاسْتَقَى مِنْهُ مَا اسْتَقَى

*

كَمْ قُلُوبٍ تَفْطَرَتْ وَدَمٍ صَارَ مُهْرَقًا

(١) لعل صوابه « دمه »

ودموعٍ تسلت مثلَ غيمٍ تدفقا
 دون أن تبلغَ النفوسَ رُضاباً مروقاً
 وشقيقٍ بخده مهج الخلق شققاً؟
 ثغره من عقوده ودموعي تنسقا
 خصره من نحافتي ونحولي تنطقا
 مرشفاً بخده ودمائي تخلفاً^(١)
 من لظى جمرِ خده كبدي قد تحرقا
 قداه فوق ردفيه غصنُ بانٍ على نقا

(١) أي تطبأ .

جِیدُهُ تَحْتَ فِرْعِهِ بَرَقُ غَيْمٍ تَالَتْهَا
هَمَّتْ وَجَدًا بِحَبِّهِ قَدْ رَنَا لِي فَأَحْرَقَا
نَسِي فِي غَرَامِهِ نَسِبا صَارَ مُعْرِقَا

٧ رجب ١٣٤١

٢٣ فيفري ١٩٢٣

أيها الحب

أيها الحب ! أنت سرّ بلائي وهمومي ، وروعتي ، وعنائتي
ونحولي ، وأدممي ، وعذابتي وسقامي ، ولوعتي ، وشقائي

*

أيها الحب ! أنت سرّ وجودي وحياتي ، وعزّتي ، وإلإائي
وشعاعي ما بين ديمجور دهري وأليني ، وقرّتي ، ورجائي

يا سلافَ الفؤادِ ايا "سَمَّ" نفسي في حياتي ايا شدّتي ايا رخائي!
 الهيبُّ يثور في روضة النفس فيطغى ، أم أنت نور السماء؟

*

أيا الحبّ قد جرعتُ بك الحُزْ ن كُوساً، وما اقتنصتُ ابتغائي
 فبحقّ الجمال ، يا أيا الحد بّ حنانيك بي اوهو "ن بلائي
 ليت شعري ايا أيا الحبّ "قل لي: من ظلام "خلقت" ، أم من ضياء؟

٣٠ ذر الحبة ١٣٤٢

غرة اوت ١٩٢٤

خلة للموت

كلُّ قلبٍ حمل الحزن، وما
كلُّ شعبٍ قد طغت فيه الدما
ملّ من ذلِّ الحياة الأرذل
دون أنْ يشارَ للعقِّ الجلي
خلق الموت بطوبهٍ ... فما
حظّه غيرُ الفناء الأناكل

١ محرم ١٣٤٣

٢ اوت ١٩٢١

النجوم

واصطبرُ	قِفْ قليلاً ، أيها الساري القمرُ !
والضَّجَرُ	يا سميري ! في أَوَيْقاتِ الكدرِ
قدحاً	واسقني من جدولِ النورِ البديعِ
إن صحا	علَّني أفهمَ مَينُومَ الربيعِ
والهمومِ	كم فؤادٍ إذ تولته الشجونُ

بثّ أسلاكك ، والدمع تهتوت
 إن تكن تضحك سُخراً بالبشر
 فلنكنم أحزنك الدهرُ الخطير
 أيها القاموسُ يا صوتَ الحياة !
 وأغانيها العذابَ الشاديدات
 ما لأمواجك يُطفئها الضورُ
 ثم تأوى نحوها نيك الصغورُ
 أتراماً تذكر الأملَ الجميلُ
 فتعبي ذلك المجدَّ النبيلُ
 وتفنّي ، ثم لا تلبث أن
 لوعة اليوم ، فتبسكي وتثني

ما يروم
 يا قرأ !
 بالشكر
 وصداها
 ونيداها !
 فتشورُ
 كالكبير؟
 وسلامه
 بإيتامه
 تحنوها
 لشقاها ؟

٨ رمضان ١٣٤٣

٢ أفريل ١٩٢٥

لستُ أبكي لعسف ليلٍ طويلٍ ،
أو لرسمٍ غدا العفاءِ مراحةً
إنما عبثتني لخطبٍ ثقيلٍ ، قد عرانا، ولم نجد مَنْ أراحه
كلّما قام في البلاد خطيبٌ موقظٌ شعبه يريد صلاحه
ألبسوا روحه قبصَ اضهادٍ فانك شائكٍ يردّ جماحه

أخمدوا صوته الإلهي بالعصف، أمائنوا صداحه ونواحه
وتوخّوا طرائق العصف والإر هاق تَوّاً، وما توخّوا سمّاحه
مكذا المخلصون في كل صوب رشقات الردى إليهم مُتاحه
غير أنا تناوبتنا الرّزايا واستباححت حماناً أي استباحه

*

أنا يا قونس الجميلة في لجّ الهوى قد سبحت أي سباحه
شِرْعَتِي حُبُّكَ العميق وإنّي
قد تذوّقتُ مُرّه وقراحه
لست أنصاع للتواحي ولو مت وقامت على شبابي المناحه
لا أبالي . وإن أُرِيقَت دِمائي
فَدَمَاءُ العشاق دَوْماً مُباحه

وبطول المدى 'تريك' الليالي
صادق الحُب والولا وسجاجة
إن ذا عصرُ ظلمةٍ غير أني من وراء الظلام شممتُ صباحة
ضيق الدهرُ بجند شعبي ولكن ساردُ الحياة يوما وشاحه

١٠ ذو القعدة ١٣٤٣

٢ جوان ١٩٢٥

شعري نَفَاثَة صَدْرِي	إِنْ جَاشَ فِيهِ شَعُورِي
لَوْلَا مَا انْجَابَ عَنِّي	غَمُّ الْحَيَاةِ الْخَطِيرِ
وَلَا وَجَدْتَ اكْتِسَابِي	وَلَا وَجَدْتَ سُرُورِي
بِهِ تَوَانِي حَزِينَا	أَبْكِي بِدَمْعٍ غَزِيرِ
بِهِ تَوَانِي طُرُوبَا	أَجْرٌ ذِيْلَ حَبُورِي

لا أنظم الشعرَ أرجو به رضاء الأمير
بمدحة أو رثاء تُهدى لربّ السرير
حسبي إذا قلتُ شعراً أن يرتضيه ضميري

*

ما الشعر إلا فضاء يَرفُ فيه مقالِي
فيا يسرّ بلادي وما يسرّ المعالي
وما ينير شعوري من خافقات خيالي

*

لا أقرض الشعر أبغي به اقتناص نوالِ
الشعر إن لم يكن في جماله ذا جلال
فإنما هو طيف يَنمَى بوادي الظلال

يقضي الحياة طريدا في ذلّة ، واعزّال

*

يا شعرا أنت ملاكي وطارفي ، وتِلادي
أنا إليك 'مراد وأنت نعم مرادي
قف، لا تَدْعُنِي وحيدا ولا أدعك تنادي
فهل وجدت 'حساما يُنَاط دون نجاد

*

كم حطّم الدهرُ ذا هِمّةٍ كثيرَ الرّمادِ
ألقاه تحت نعالٍ من ذلّةٍ وحداد
رفقا بأهل بلادِي ! يا مجنون الموادي !

٢١ ذو القعدة ١٣٤٣

١٣ جوان ١٩٢٥

الصيحة

يا قوم ! عَيْنِي شامت	للجمل في الجوّ نارا
تتلو سحابة ركاما	يتلو فتاما مُثارا
يُثير في الأرض ريحا	يُهبج فيها غبارا
تلفي الشديد صريحا	تُبقي الأديب حارا !
منها الفضاءُ ظلامٌ !	والناسُ منها سُكاري !

قد أورثتهم دوارا وأعقبتهم خنارا !
 لا يعرف المرء منها لبلا رأى أم نهارا !
 بخال كل خيال سرى ، تسربلَ فارا !

*

يا قومِ سرتم حثيثا خطى ، وراء ، كبارا
 نبذتم العلم نبذ النوى قلنى ، وصغارا
 لبيتم الجهل نوبيا تخذلتموه شعارا
 يا قومِ مالي أراكم فطنتكم الجهل دارا ؟
 أضعتم مجد قوم شادوا الحياة فخارا
 أبقوا سماء المعالي بما أضاءوا منارا
 حاكوا لكم ثوب عز خلعتكموه احتقارا
 ثم ارتديتم لبسوا خزي ، وعارا

*

يَا لَيْتَ قَوْمِي أَصَاخُوا لَنَا أَقُولُ جَهَارًا
 يَا شُعْرَا! أَسْمَعْتَ لَكِنْ قَوْمِي أَرَامُ سَكَرَى
 فَلَا تُبَالِ إِذَا مَا أَعْطُوا نِدَاكَ أَزْوَِرَارَا
 وَاصْبِرْ عَلَى مَا تَلَا فِي وَاصْدَعْ، وَفِيَتَ الْعِثَارَا

٢١ ذو القعدة ١٣١٣

١٣ جوان ١٩٢٥

في الظلام

زُمرةُ الأحلامِ
ملؤها الآلام

بمئة المُشاقِ
تسكب الأحرارِ

رُفرت في دُجِية الليل الحزينِ
فوق سرب من غمامات الشجون

*

شخصت ، لما رأَت ، عينُ النجومِ
ورمتها من سماها بِرجُومِ

كنتُ إذ ذاك على نوب السكون
والهوى يسكب أصداء النون
أنثر الأحزان
في قوادٍ فان

*

ساكننا مثل جميع الكائنات
هائمٌ قلبي بأعماق الحياة
راكدة الألمان
ثانة ، حيران

*

إنَّ للحبِّ على الناس بدأ
وله فجرٌ على طول المدى
تقصف الأعمار
ساطعُ الأنوار

نورة الشرّ ، وأحلامُ السلام ،
وابتسامُ الفجر في حزن الظلام ،
وجمالُ النور
في الميول الحور

• ذو الحجة ١٤٤٣

٢٧ جوان ١٩٢٥

جمال الحياة

مِرَتْ في الروض، وقد
وَجَنَاحُ الفجر يُومي
والدجى يسمي رُوبِنداً
ونسيمُ الصبح يسري
وخريرُ النهر سَكراً
لاحت تبشيرُ الصباحِ
نحوَ رَبَّاتِ الجناحِ
سميَ غداءَ رَدَّاحِ
سَجَنَجَا، فوق البيطاحِ
نُ، وزهرُ الروض صاحِ

فرنتُ نحو جلال الكون جَوَاءُ اللَّيَّاحِ (١)
ثم بانت في سفور فاضحٍ أيْ افْتَضَّاحٍ
فاحتستْ خرندي الدَّاءِ مِسْ من كأس الأَفَاحِ
واعنلتْ بَلْقِيسُ عرَّشَ اللَّيْلِ في قَلْبِكَ النِّوَاحِ
ثم مالتْ لِغُرُوبِ بَعْدِ إِضْرَامِ الْكَفَّاحِ
واستوى اللَّيْلُ بِرَغَمِ الشَّمْسِ فِي الْعَرْشِ الْفُسَّاحِ

*

هكذا الدهرُ بأزْيَاءِ غَدُورٍ ، ورواحٍ
وضبَاءِ ، وظلامٍ وسكونٍ ، وصباحٍ

(١) الجَوَاءُ : الشمس ، واللَّيَّاحُ : العُصْبُ

ونشيد ، وفَوَاحٍ وانقباضٍ ، وانشراح
إنما الدهرُ وميثا قُ الليلي كَشْجَاحٍ

٢٧ ذر الحجة ١٣٤٣

١٩ جويلية ١٩٢٥

من حديث الشيخ

أَلَا إِنَّ أَحْلَامَ الشَّبَابِ ضَلِيلَةٌ تَحْطُمُهَا مِثْلَ الْفُصُونِ الْمَصَانِبِ
سَأَلْتُ الدِّيَّاجِيَّ عَنْ أَمَانِي شَبِيبِي
فَقَالَتْ: «تَرَامَتِهَا الرِّيحُ الْجَوَائِبُ»
وَلَمَّا سَأَلْتُ الرِّيحَ عَنْهَا أَجَابَنِي:
«تَلَقَّفَهَا سَيْلُ الْقَضَاءِ وَالنَّوَائِبُ»

«قصارت عفاء» ، واضمحلت كذرة

على الشاطئ المموم ، والموج صخب ،

١٥ محرم ١٣٤٤

٥ اوت ١٩٢٥

نظرة هي للحياة

إنّ الحياةِ صراعٌ فيها الضعيفُ يُداسُ
ما فاز في ماضئِها إلاّ شديدُ المراسِ
للخِيبِ فيها شجونٌ فكُن فتي الاحتراسِ
الكونُ كُنْ شقاءِ الكونُ كُنْ التباسِ
الكونُ كُنْ اختلاقِ وضجّةِ واختلاسِ

سَيَّانٌ عِنْدِي فِيهِ السَّرُورُ ، والابتئاسُ

*

بين النواثبِ بونٌ	للناسِ فيه مزايا
البعض لم يدرِ إلاّ	البليّ ينادي البليّا
والبعض ما ذاق منها	سوى حقير الرزايا
إنّ الحياةُ مُبَاتٌ	سينقضي بالمنايا
وما الرؤى فيه إلاّ	آمالنا ، والخطايا
فإن تَبَقَّظَ كانت	بين الجفون بقايا

*

إنّ السكينة رُوح	في الليل ليست تُضامُ
والرُوح شعلة نور	من فوق كلّ نظامُ
لا تتلفي برباح	الأرهابِ أو بالحمامُ

بل قد يعُجّ لظاها سبلاً، وبطنى الضرامُ
كلّ البلايا جميعاً تفر ويحيا السلام
والذلّ سبّة عار لا يرتضيه الكرام !

*

الفجر يسطع بعد الدجى ، وبأني الضياءُ
ويرقد الليل قسراً على مهاد العفاءُ
وللشعوب حياة حيناً وحيناً فناءُ
والباس موت ولكنْ موت ينير الشقاءُ
والجدُّ للشعب روح توحي إليه الهناءُ
فإن تولّتْ تصدّت حياته للبلاءُ

١٢ ربيع الاول ١٣٤٤

٣٠ سبتمبر ١٩٢٥

الحياة

إنّ هذي الحياةَ قيثارة الله، وأهلُ الحياةِ مثلُ اللّحونِ
نَفَمٌ يَسْتَبِيحِي المِشاعِرَ كالسحرِ ،
وصوتٌ يُغِلُّ بالتلحينِ
والليالي مغاورٌ، تُلحِدُ اللّحنَ وتقضي على الصّدى المسكينِ

• جمادي الثانية ١٣٤٤

٢١ ديسمبر ١٩٢٥

انغمود للرعء

في سكون الليل لما عائق الكون الخشوع
واختفى صوت الأمانى خلف آفاق المهجوع

*

رقت الرعد نشيدا ردة الكائنات
مثل صوت الحق إن صا ح بأعماق الحياة

*

يتهادى بضجيج في خلأ الأودية
مثل جبار بني العجّين بأقصى الهاوية

*

فألتُ الليل ، والليل كئيبٌ ، ورهيبٌ
شاخصاً بالليل والليل جميلٌ ، وغريبٌ :

*

وأقربُ أنشودة الرعد أنينٌ وحنينٌ
رنتمها بخشوع مهجة الكون الحزين ؟

*

أم هي القوة تسمى باعتساف واصطخاب

ينزأى في ثيابا صوتها روح' العذاب ؟ ،

*

غير أن' الليل قد ظلّ ركُودا ، جامدا
صامتا مثل غدير القفر ، من دون صدى!

١٥ شعبان ١٣٤٤

٢٨ فيفري ١٩٢٦

غرفة من يمر

ضعفُ المزيمةِ لَحْدُ ، في سكِتته
لَقْضِي الحِياةُ ، بَنَاءُ اليأسِ والوَجَلُ
وفي المزيمةِ قَوَاتٌ مُسَخَّرَةٌ
يَخِرُّ دون مداها الشامخُ الجبلُ
والناسُ شَخْصَان : ذا يسمَى به قَدَمٌ
من القنوطِ ، وذا يسمَى به الأملُ

هذا إلى الموت، والأحداث ساخرة ،
 وذا إلى المجد ، والدنيا كالهـ خول
 ما كل فعلٍ يُجِلُّ الناسَ فاعله
 مجداً، فإنّ الوري في رأيهم خطل
 ففي التاجد تمويه ، وشعوذة ،
 وفي الحقيقة ما لا يدرك الدجل
 ما المجد إلا ابتسامات بفيض بها
 فمُ الزمان، إذا ما انسدت الحيل
 وليس بالمجد ما تشقى الحياة به
 فيحصد اليوم أمسا ، ضمه الأزل

فما الحروب سوى وحشية نهضت
 في أنفُس الناس، فانقادت لها الدول
 وأيقظت في قلوب الناس عاصفة
 غام الوجود لها ، واربدت السبل
 فالدمر منتعل بالنار ، ملتحف
 بالهول ، والويل ، والآلام تشتعل
 والأرض دامية ، بالإثم طامية ،
 ومارد الشر في أرجائها فعل
 والموت كاللارد الجبار ، منتصب
 في الأرض ، يخطف من قد خانه الأجل

د وفي المهامر أشلاء ممزقة
تتلو على القفر شعرا، ليس يُنتحل،

١٣ رمضان ١٣٤٤

٢٧ مارس ١٩٢٦

ماهر الحب

ليت شعري ا
أي طير
يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوب
ثم لا يهتف في الفجر ، برنات النحيب
بخشوع ، واكتئاب ؟

*

لست أدري
أيُّ أمر
أخرس المصفور عني ، أتُرى مات الشعورُ
في جميع الكون ، حق في عُشاشات الطيور ؟
أم بكى خلف السحاب ؟

*

في الدياجي
كم أناجي
مَنعَ القبر ، بفصّات نحبي ، وشجوني
ثم أصغي ، عليّ أسمع ترديد أنيني
فأرى صوتي فريد !

*

فأناذي :

« يا فؤادي ،

« مات من تهوى ! وهذا اللحد قد ضمّ الحبيب »

« فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب »

« ابك يا قلب وحيد ! »

*

ذلّ قلبي ،

مات حبي !

فاذرفي يا مقلة الليل الدارري عبرات

حول حبي ، فهو قد ودّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق اللهب

*

واندبیه ،
واغسلیه ،
بدموع الفجر ، من أكوأب زهر الزنبقِ
وادفنبه یحلال ، فی ضفاف الشفقِ
لیری روحَ الحبيبِ

۲۳ محرم ۱۳۴۵

۲ اوت ۱۹۲۷

الكأبة المجهولة

أنا كئيب ،
أنا غريب ،
كأبني خالفت نظائرها
غريبة في عوالم الحزن
كأبني فكرة مفردة

مجهولة من مسمع الزمن

لكنني قد سمعت رنّتها
بمهجتي . في شبابي الثّمل
سمعتها . فأنصرفتُ مكتئبا
أشدو بحزني ، كطائر الجبل

سمعتها أنّة يرجّعها
صوتُ الليالي ، ومهجةُ الأزل
سمعتها صرخة مُضَعّضَة
كجدولٍ في مضائق السبل
سمعتها رنة ، يعانقها
شوقٌ إلى عالم يضمّضها

ضعيفةٌ مثل أنتِ صعدتِ
من مهجةٍ هدّتها توجّعها

كآبةُ الناسِ شملةٌ ، ومق
مرت ليالٍ خبّت مع الأمدِ
أما اكتشابي فلوّعةٌ سكنتِ
روحِي ، وتبقى بها إلى الأبدِ

*

أنا كتيب ، أنا غريب ،
وليس في عالم الكآبة من
يحملُ معشارَ بعضِ ما أجدُ

كأبني 'مرّة' ، وإن صرختُ
روحي فلا يسمعتها الجسد

كأبني ذات قسوةٍ صهرت
مشاعري في جهنّم الألم
لم يسمع الدّهرُ مثل قسوتها
في بقطةٍ قَطْ ، لا ، ولا حلُم

كأبني 'شعلة' مؤجّجة ،
تحت رماد الكون تستعِر
سيعلم الكونُ ما حقيقتها
ويطلع الفجر يوم تنفجر

*

كآبة' الناس شعة' ، ومق
مرّت لبالِ خبت مع الأمد
أما اكتشاي فلوعة' ، مكنت
روحي ، وتبقى بها إلى الأبد

٢٧ محرم ١٣٤٥

٧ اوت ١٩٢٩

هكوى اليعيم

على ساحل البحر ، أنى يَضجُ صراخُ الصباحِ ونوحُ المصا
تهدتُ من مهجةٍ أترعتُ بدمع الشقاء وشوك الأسى
فضاع التهدُّ في الضجّةِ
بما في ثناياه من لوعة
فسرتُ وفاديتُ: ديامُ أهنا

إِلَى ! فَقَدْ سُمْتَنِي الْحَيَاةُ ،

وَجِئْتُ إِلَى الْغَابِ . أَسْكَبُ أَوْجَاعَ قَلْبِي نَحِيْبًا ، كَلْفَحِ اللَّيْبِ
نَحِيْبًا كَدَافِحِ فِي مَهْجَتِي ، وَسَالَ يَرْنُ بِنَدْبِ الْقُلُوبِ

فَلَمْ يَفْهَمِ الْغَابُ أَشْجَانَهُ

وَوَظَلَ يُرَدِّدُ الْحَانَةَ

فَسَرَتْ وَنَادَيْتُ : يَا أُمُّ هَيْبَا

إِلَى ! فَقَدْ عَذَّبْتَنِي الْحَيَاةُ

وَقَمْتُ عَلَى النَّهْرِ ، أَهْرَقَ دَمْعًا تَفَجَّرَ مِنْ فَيْضِ حُزْنِي الْأَلِيمِ
يَسِيرُ بِصَمْتٍ عَلَى وَجْنَتِي وَيَلْعَقُ مِثْلَ دُمُوعِ الْجَحِيمِ

فَمَا خَفَّفَ النَّهْرُ مِنْ عَذْوِهِ

وَلَا سَكَتَ النَّهْرُ عَنْ شِدْوِهِ

فَسَرَتْ ، وَنَادَيْتُ : يَا أُمُّ هَيْبَا

إلى ! فقد أضجرتني الحياة ،

*

ولمّا ندبتُ ولم ينفـعِ
وناديتُ أمّي فلم تسمعِ
رجعتُ بحزني إلى وحدتي
وردّدتُ نوحِي على مسمعي
وعانقتُ في وحدتي لوْعتي
وقلت لنفسي: «ألا فاسكتي!»

٢١ صفر ١٣٤٥

٣١ أوت ١٩٢٦

الزنبقة الزاوية

أزنبقة السفح؟ مالي أراك
أفي قلبك الغض صوت اللهب،
أأسمعك الليل ندب القلوب
أصبّ عليك شمع الغروب
أأوقفك الدهر حيث يفجّ
تعانقك اللوعة القاسية؟
يرتل أنشودة الهاوية؟
أأرشفك الفجر كأس الأسى؟
نجيب الحياة، ودمع المصا
ر نوح الحياة صدوع الصدور؟

وَيَنْبْتُقُ اللَّيْلَ طَيْفًا ، كَثِيبًا رَهِيْبًا ، وَيَخْفَقُ حَزْنُ الدَّهْوَرِ ؟

*

إِذَا أَضْجَرْتُكَ أَغَانِي الظَّلَامِ	فَقَدْ عَذَّبْتَنِي أَغَانِي الْوَجُومِ
وَأِنْ هَجَرْتُكَ بَنَاتُ الْغِيُومِ ،	فَقَدْ عَانَقْتَنِي بَنَاتُ الْجَحِيمِ
وَأِنْ سَكَبَ الدَّهْرُ فِي مَسْمِعِكَ	نَحِيبَ الدَّجَى ، وَأَنْيْنَ الْأَمْلِ
فَقَدْ أَجْجَ الدَّهْرُ فِي مَهْجَتِي	شَوَاطِلًا مِنَ الْحَزَنِ الْمَشْتَمَلِ
وَأِنْ أَرَشَفْتُكَ شِفَاءَ الْحَيَاةِ	رُضَابَ الْأَسَى ، وَرَحِيقَ الْأَلَمِ
فَأَنْتِي نَجَرْتِ عَيْنِي مِنْ كَفِّهَا	كُؤُوسًا مُؤَجَّجَةً ، تَضْطَرِمُ

*

أَصِيغِي ! فَمَا بَيْنَ أَعْشَارِ قَلْبِي بِرِفِّ صَدَى نُوحِكِ الْخَافَتِ

معيداً على مهجتي بجفيف جناحيه صوت الأسى المائت
 وقد أترع الليلُ بالحبِّ كأسِي وشعثها بلهيب الحياة
 وجرتني من ثُمالاتِه مرارة حزنٍ، تذيب الصفاة
 إليّ! فقد وُحِدَتْ بيننا قساوةُ هذا الزمانِ الظلومِ
 فقد فجّرتُ في هذِي الكلومِ كما فجّرتُ فيكَ تلكَ الكلومِ

*

وإن جرّفتني أكفُ المنونِ
 إلى اللحدِ أو سحقتكِ الخطوبُ
 فعزني وحزنك لا يبرخانِ
 أليفينِ رغم الزمانِ العصيبِ
 وتحت رواقِ الظلامِ الكثيبِ
 إذا شمل الكونَ روحُ السحرِ

يُسْمَعُ صَوْتُ ، كَلْحَنُ شَجِيٍّ
تَطَايَرَ مِنْ خَفَقَاتِ الْوَرْدِ
يَرْدُدُهُ حُزْنُنَا فِي سَكُونِ
عَلَى قَبْرِنَا الصَّامِتِ ، الْمَطْمَئِنِّ
فَنَرْقُدُ تَحْتَ التُّرَابِ الْأَصَمِّ
جَمِيعًا عَلَى نَفْثَاتِ الْحَزَنِ

٩ جمادى الأولى ١٣٤٥

١٥ نوفمبر ١٩٢٦

يا شعر

يا شعرُ أنتَ فمُ الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبُ
يا شعر أنتَ صدى نحيب القلب ، والصَّبَّ الغريب

*

يا شعر أنتَ مدامعٌ علقتُ بأهداب الحياة
يا شعر أنتَ دمٌ ، تفجّرُ من كلِّوم الكائنات

*

يا شعر ! قلبي - مثلما تدري - شقي * مظلّم
فيه الجراحُ النجّل ، يقطر من مفاورها الدمُ

*

جذت على شفتيه أرزاءُ الحياة العابسهُ
فهو التعيسُ ، يُذيبه نوحُ القلوب البائسهُ

*

أبدا ينوح بحرقةٍ ، بين الأمانى الهاويهُ
كالبلبل الغريد ما بين الزهور الداويهُ

*

كمْ قد نصحتُ له بأن يسلو ، وكمْ عزيتُه

فأبى ، وما أصغى إلى قولي ، فما أجديته

*

كم قلت : « صبرا يا فؤاد ! ألا تكف عن النحيب ؟ »
« فإذا تجللتِ الحياةُ تبددتْ شعلُ اللهب ،

*

« يا قلب ! لا تجزع أمامَ تصلبِ الدهرِ المصور »
« فإذا صرختَ توجعنا هزأتَ بصرختكِ الدهور »

*

« يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع »

*

« يصفي لضجّات المواقف قبل أنغام الربيع »

*

« يا قلب ! لا تقنعْ بشوك اليأس من بين الزهور »
« فوراءَ أوجاع الحياة عذوبةُ الأمل الجور »

*

« يا قلب ! لا تكبْ دموعَك بالفضاء فتندم »
« فعلى ابتسامات الفضاء قسوةُ المنهكم »

*

لكنّ قلبي وهو - مُخضّلُ الجوانب بالدموع -

جاشتْ به الأحرانُ ، إذ طفعت بها تلك الصدوع

*

يبكي على الحلم البعيد بلوعةٍ ، لا تنجلي
غردا ، كصدّاح الهوائف في الفلا ، ويقول لي :

*

« طهرْ كلومكَ بالدموع ، وخلصها وسيلها ،
« إن المدامع لا تُضيع حقيرها وجليلها ،

*

« فَمِنْ المدامع ما تدفع جارفا حَكَّ الحياة ،

« يرمني لهاوية الوجود بكل ما يبني الطغاة »

*

« ومن المدامع ما تألق في الفياهب كالنجوم »
« ومن المدامع ما أراح النفس من عبء الموم »

*

فارحم تعاسته ، ونحّ معه على أحلامه
فلقد قضى الحلم البديع على لظى آلامه

*

يا شعر ! يا وحشي الوجود الحي ! يا لغة الملائك

غرَّدْ ، فأيتامي أما تبكي على إيقاع نايك

*

ردَّدْ على مع الدجى أناتِ قلبي الواهية
واسكب بأجفان الزهور دموعَ قلبي الدامية

*

فلعلَّ قلب الليل أرحم بالقلوب الباكية
ولعلَّ جفنَ الزهر أحفظُ للدموع الجارية

*

كم حرَّكت كفاً الأسى أوتارَ ذيثاك الحنين
فتهاملتُ أحزانَ قلبي في أغاريد الأنين

*

فَلَكُمْ أَرَقْتُ مدامي ، حتى تَقَرَّحتِ الجفونُ
ثم التفتَ ، فلم أجد قلباً يقاسمني الشجون

*

فمضى يكون الليل أرحمَ ، فهو مثلي يندبُ
وعسى يصون الزهرُ دمعي ، فهو مثلي يسكبُ

*

قد قنعتُ كفُ المساء الموتَ بالصمتِ الرهيبِ ،
فقدأ كأعماق الكهوف ، بلا ضجيج أو وجيب

*

يأتي بأجنحة السكون ، كأنه الليل البهيمُ

لكنّ طيفَ الموت قاسٍ ، والدجى طيفٌ رحيم

*

ما للفنية لا ترقُ على الحياة النائحه ؟
سيان أفئدةُ تشنّ ، أو القلوب الصادحه ؟

*

يا شمرُ ! هل 'خلق' المنون بلا شعورٍ كالجماد ؟
لا رعشة تعرو يديه إذا قلّقه الفؤاد ؟

*

أرأيتَ أزهارَ الربيع ، وقد ذوت أوراقها

فهوت إلى صدر التراب ، وقد فقت أشواقها ؟

*

أرأيت شعورَ الفلا ، مترنّما بين الغصون ؟
جد النسيْدُ بصدّره ، لما رأى طيفَ المنون ؟

*

فقضى ، وقد غاضت أغاريدُ الحياة الطاهرة
وهوى من الأغصان ، ما بين الزهور الباسرة ؟

*

أرأيتَ أمَّ الطفل تبكي ذلك الطفلَ الوحيدَ

لَمَّا قَتَاوْهُ بِغَضَبٍ سَاعِدُ الْمَوْتِ الشَّدِيدِ ؟

*

أَسَمِعْتَ نَوْحَ الْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ ، مَا بَيْنَ الْقُبُورِ
يَبْكِي حَبِيبَهُ ؟ فَيَا لِمَصَارِعِ الْمَوْتِ الْجَوْرِ !

*

طَفَعْتُ بِأَعْمَاقِ الرَّجُودِ سَكِينَةَ الصَّبْرِ الْجَلِيدِ
لَمَّا رَأَى عَدْلَ الْحَيَاةِ يَضُمُّهُ اللَّعْدُ الْكَنُودُ

*

فَتَدَفَّقَتْ لَحْنًا يَرُدُّهُ عَلَى سَمْعِ الدَّهْوَرِ

صوتُ الحياة بضجة . . ، تسمى على شفة البحور

*

يا شعر ! أنتَ نشيدُ أمواج الخضمِّ الساحرة
الناصعات ، الباسمات ، الراقصات ، الطاهرة

*

السافرات ، الصادحات مع الحياة إلى الأبد ؟
كعرانس الأمل الضحوك ، يمين ما طال الأمد

*

ها إن أزهارَ الربيع قدبمت أكامها

ترنو إلى الشفق البعيد ، تفرها أحلامها

*

في صدرها أملٌ ، يحدق نحو هاتيك النجوم
لكنه أملٌ ، ستلعه جبابرة الوجوم

*

فلسوف تغمض جفنها عن كل أضواء الحياة
حيث الظلام مخيمٌ في جو ذبائك السبات

*

ها إنها همت بأذان الحياة غريدها

قتلتُ عصفيرُ الصبحِ 'صداحا' ونشيدَها

*

يا شعرُ ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة
يا ليتني مثلُ الزهور ، بلا حياة واجه

*

إن الحياة كثيبةٌ ، مغفورة بدموعها !!
والشمسُ أضجرتها الأسى ، في صحوها وهجوعها

*

فتجرت عت كاسا دهاقا من 'شمعة' الشفق

فتأملت ، سكرى إلى كهف الحياة . . ولم تق

*

يا شعرُ ! أنتَ نحيبها لما هَوَتْ لُباتها
يا شعرُ ، أنتَ صُداها ، في موتها وحياتها

*

أنظر إلى شفق السماء ، يفيض عن تلك الجبال
بشعاعه الخلاب ، يغمرها ببسات الجمال

*

فيثير في النفس الكثيبة عاصفا لا يركد

ويؤجّج القلب المذبذب شعله لا تخمد

*

يا شمر ! أنت جمال أضواء الغروب الساحره
يا همس أمواج المساء الباسمات الحائره

*

يا ناي أحلامي الحبيبة ! يا رفيق صباي
لولاك مت بلوعي ، وبشقوتي ، وكآبتي

*

فيك انطوت نفسي ، وفيك نفخت كل مشاعري
فاصدق على قم ابياء بلوعي ، يا طائري

١٤ رجب ١٣٤٥

١٨ جانفي ١٩٢٧

الى الطاغية

يقولون : « صوت المستذللين خافت »
وسمع طغاة الأرض [أطرش] أضخم ،
وفي صيحة الشعب المسخر زعزع
تَخِرُّ لها شمُ العروش ، وتُهْدَمُ
ولمعلمة الحقّ الغضوب لها صدى
ودمدمة الحرب الضروس لها قمُ

إذا التفّ حول الحقّ قوم فإنّه
يصرّم أحداث الزّمان ويبرّم

*

لك الويل يا صرّح المظالم من غدٍ
إذا نهض المستضعفون ، وصمّوا !

إذا حطّم المستعبّدون قيودهم
وصبّوا حمى السخط أيّان تعلم . . !

أغرّك أن الشعب مُغضٍ على قذى
وأنّ الفضاء الرّحّب وسنان ، مظلم ؟

ألا إنّ أحلام البلاد دفينّة
تجمجم في أعماقها ما تجمجم

ولكن سيأتي بعد لأي نشورها
 وينبثق اليوم الذي يترنم
 هو الحق يُنفّي... ثم ينهض ساخطا
 فيهدم ما شاد الظلام^(١) ويحطم
 غدا الرثع، إن هب الضعيف بياسه،
 ستعلم مَنْ مِننا سيغيره الدّم
 إلى حيث تجني كفته بذرا أمسه
 ومُزْدَرَعُ الأوجاع لا بُدَّ يندم
 ستجرع أوصاب الحياة، وتنتشي
 فتصفي إلى الحق الذي يتكلم

(١) الظلام بكسر الظاء : الظلم

إذا ما سفاك الدهر من كأسه التي

قرارتها صابٌ مَرَّيرٌ ، وعلقم

إذا صغق الجبار تحت قيوده

يصيح لأوجاع الحياة ويفهم !!

١٥ شعبان ١٣٤٥

١٨ فيفري ١٩٢٧

السّاهة

سُمتُ الحياة ، وما في الحياة
وما إن تجاوزتُ فجر الشبابُ
سُمتُ الليالي ، وأوجاعها
وما شغشت من رحيق بصباب
فحطمتُ كأمي ، وألقيتها
بوادي الأسى وجحيم العذاب

فأنت . وقد غمرتها الدموع
وقرّت . وقد فاض منها الحباب
وألقى عليها الأسى ثوبه
وأقبرها الصمت والاكئاب

*

فأين الأمانى وألحائها ؟
وأين الكؤوس ؟ وأين الشراب
لقد سحقتها أكف الظلام
وقد رشفتها شفاة السراب

*

فما العيش في حومة بأسها
شديد ، وصداها لا يُجاب

كَتِيبٌ ، وَحِيدٌ بِأَلَامِهِ
 وَأَحْلَامِهِ ، شَدْوَاهُ الْإِنْتِعَابِ
 مَوْتٌ فِي الرَّبِيعِ أَزَاهِيرُهَا
 فَنِيمَنٌ ، وَقَدْ مَضَتْ التُّرَابُ
 سَوْبَتُنْ لِنُشُورٍ عَلَى ذِلَّةِ
 وَمُتْنٌ ، وَأَحْلَامُهُنَّ الْعِذَابِ
 مَسْحُورُ الْجَدَلِ ، وَغَايُ الْمَبِيرِ
 وَأَذْوَى الرَّدَى مَحْرَقُنَ الْمُجَابِ

١٥ رمضان ١٣٤٥

١٩ مارس ١٩٢٧

اغنية الاحزان

غنّني أنشودةَ الفجر الضحوكُ
أهـا الصـدّاحُ !
فلقد جرّعتني صوتُ الظلام
ألما علّمني كره الحياة
إن قلبي كلّ أصداء النواحِ
غنّني ، يا صاخ !

حطمت كف' الأسى قيثارتي
في يد الأحلام

فلقت صمتاً أناشيد الغرام
بين أزهار الحريف الذاوية
وقلاشت في مكنون الاكثاب

كصدي الغريد

*

كُف عن تلك الأغاني الباسمة
أها المصفور !

فحياتي ألفت لحن الأسى

من زمان قد تقضى . وعسى
أن يثير الشدو في صمت الفؤاد

أنّة الأوتار ... !

*

لا تغتني أغاريد الصباح .

بلبل الأفراح !

فؤادي ، وهو مغمور الجراح
بتباريح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور

وأغاني النور

إِنَّ مَنْ أَصْفَى إِلَى صَوْتِ الْمَسْنُونِ

وصدى الأجداد

ليس تستهويه ألحان الطيور
بين أزهار الربيع الساحرة
وابتسامات الحياة ، السافرة

عن جلال الله !

*

غشني يا صاح . أنتات الجحيم

واسقني الآلام

أترع الكأمر بأوجاع الموم
واسقني إنشي كرهت الانتقام

غنني ندبَ الأمانى الخائبة

والليالي السود

*

غنني صوت الظلام المكتئب

إنني أهواه

هاك كأس القلب فاملأها نواح
واسكب الحزن بها حتى الصباح!
إنها من طينة الحزن المرير

صاغها الغلّاق

*

بُستِ الأفراحُ ، أفراح الحياة

إنها أحلام

تخلب اللبّ بالحنّ عذاب
وأغاريده كأملاك السما
ثم لا تلبث أن تدوري كما

تذبل الأزهار

*

خبريني. ما الذي خلف الغيوم ؟...

ربّة الأحلام

أفق الهول وجبّار الموم ؟
أم عروسة الأمل المذبذبة الشرود

تتهادى بين لآلاء الصباح ؟

كملاك النور

*

أنا في درب الحياة الغامضه

قائه ، حيران

بينما أبصر في وجه الحياة

ظلمة الأحزان في ظلّ الألم

إذ أرى في جفنها نورا بديع

باسمها ، فتان

*

ها أنا أسمع في قلب الحياة

صبيحة الألام

مُرَّة تنساب من قلب عظيم
ملاً الحزن أفاصيه دموع
ها أنا أسمع أصوات السرور

كَضَّت الأيَّام

٢٠ شوال ١٣٤٥

٢٦ افريل ١٩٢٧

الدموع

بنقضي العيش بين شوق وبأس
والتي بين نوعة وتأس
هذه سنة الحياة ، ونفسي
لا تؤدّ الرحيق في كأس رجس
مليء الدهر بالخداع ، فكم قد
ضللّ الناس من إمام وقس

كلنا أسأل الحياة عن الحق
تكف الحياة عن كل منس
لم أجد في الحياة لحناً بديعاً
يستبيني سوى سكينه نفسي
فسمت الحياة ، إلا غرارا
تتلاشى به أفاشيدُ يأسِي

*

ناولتني الحياة كأساً دهاقا
بالأمان ، فما تناولت كأسِي
وسقني من التماسه أكوا
بأ نجر عنها ، فيا شد نفسي !

إن في روضة الحياة لأشوا
كما بها مُزقت زقاق نفسي

*

ضاع أمسي وأين منيَ أمسي ؟
وقضى الدهرُ أن أعيش بيامي ؟

وقضى الحبُّ في سكون مريعٍ
ساعةَ الموت بين سخط وبؤس

لم تُخَلِّفْ ليَ الحياة من الأم
س سوى لوعةٍ ، تهبُ وترسي

تتهادى ما بين غصات قلبي
بسكونٍ وبين أوجاع نفسي

كخيال من عالم الموت . ينما
ب بصمتٍ ما بين رسمٍ ورسم
تلك أوجاعُ مهجة ، عذبتُها
في جميع الحياة أطرافُ نحس

١٩ ذو الحجة ١٣٤٥

٢٠ جوان ١٩٢٧

أيها الليل

أيها الليل ! يا أبا البؤس والهم
ل ، أيا هيكل الحياة الرهيب !
فيك تجثو عرائس الأمل العذ
ب . تُصلي بصوتها المحبوب
فيثير النشيد ذكرى حياة
حجبتها غيوم دهر كئيب

وترفّ الشجون من حول قلبي
 بسكون ، وهيبة ، وقطوب
 أنت يا ليل ذرّةٌ ، صمدت للكون من موطيء الجحيم الغضوب
 أيها الليل ! أنت نفيم شجيّ
 في شفاء الدهور ، بين النحيب
 إنّ انشودة السكون ، التي ترتجّ
 في صدرك الركود ، الرحيب
 تُسمِع النفس ، في هدوء الأمان
 رنة الحق ، والجمال الخَلُوب
 فتصوغ القلوب منها أغاريدا
 تهزّ الحياة هزّ الخطوب

تتلوّى الحياة ، من ألم البؤ
 س فتبكي بلوعة ونحيب
 وعلى مسمعك ، قتلٌ نوحا
 وعويلا 'مرّا' ، شجونُ القلوب
 فأرى برقما شفيفا من الأو
 جاع ، يُلقني عليك شجواً كئيب
 وأرى في السكون أجنحة الجب
 سار ، مخضلة بدمع حبيب
 فلك الله ! من فؤاد رحيم
 ولك الله ! من فؤاد كئيب
 يجمع الكون ، في طمانينة العص
 فور ، طفلا بصدركَ الغريب

وبأحضانك الرحيمة يستيقظ في
 نضرة الضحك الطروب
 شادياً كالطيور بالأمل العذ
 ب ، جيل كبهجة الشؤبوب
 يا ظلام الحياة ! يا روعة الحز
 ن ! ويا معزف التemis الغريب
 إن في قلبك الكئيب لمرقا
 دا لأحلام كل قلب كئيب
 وبقيارة السكينة في
 فتيك تنهل رنة المكروب
 فيك تنمو زنابق الحلم العذ
 ب ، وقذوي لدى هيب الخطوب

خلف أعماقك الكئيبة تنسا
بِظلال الدمور ، ذات قطوب
وبفؤديك ، في صفائك الس
ود ، تدب الأيام أي دبیب

*

صاح ! إن الحياة أنشودة الحز
ن ، فرتل على الحياة نحبي
إن كأس الحياة مترعة بال
دمع ، فاسكب على الصباح حبيبي
إن وادي الظلام يطفح بالهو
ل ، فما أبعد ابتسام القلوب !

لا يغرّتك ابتسام بني الأَر
ض فخلف الشعاع لدعُ اللهب
أنت تدري أن الحياة قطوب
وخطوب ، فما حياة القطوب ؟
إنّ في غيبة الدهور تباعا
لخطيب يمرّ إثر خطيب

*

سَدَدَتْ في سَكينة الكون ، للأء
باق ، نفسي لحظا بعيد الرُبوب
نظرة مزّقت شفاف الليالي
فرأت مهجة الظلام الهَيوب

ورأت في صميمها لوعة الحزن
 ن ، وأصفت إلى صراخ القلوب
 لا نحاول أن تنكر الشجوة ، إني
 قد خبرت الحياة خبر لبيب
 فتبرمت بالسكينة والضجّة
 ة ، بل قد كرهت فيها نصيبي...
 كن كما شئت السماء كئيبا
 أي شيء يسرّ نفس الأريب ؟
 أنفوس تموت ، شاخصة بالهو
 ل ، في ظلمة القنوط العصيب ؟
 أم قلوب محطّات على سا
 حل لُجّ الأسى ، بموج الخطوب ؟

إنما الناس في الحياة طيورٌ
قد رماها القضا بوادٍ رهيب
يمصف الهولُ في جوانبه السو
د فيبضي على صدَى العندليب

*

قد سألت الحياة عن نعمة الفجر
ر ، وعن وَجْنة المساء القَطُوب
فسمعتُ الحياة، في هيكل الأحرار
ن ، تشدو بلهينها المحبوب
ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ
ما نشيدُ الصباح غيرُ نحيب

ليس في الدهر طائرٌ يتفتى
في ضفاف الحياة غيرَ كئيب
خضب الاكتئابُ أجنحة الأيا
م ، بالدمع ، والدم المسكوب
وعجيبٌ أن يفرح الناس في كهف الليالي ، بحزنها المشوب !

*

كنت أرنو إلى الحياة بلحظٍ
باسم ، والرجاءُ دون لغوب
ذاك عهد حسبته بسمة الفجر ، ولكنّه شعاع الغروب
ذاك عهد ، كأنّته رنة الأفرا
ح ، تنساب من فم المندليب

خَفَّتْ - ريثما أصغت لها بالقلب ، حيناً - وبُدِّلَتْ بنحيب
إن خمر الحياة وردية اللو
ن ، ولكنها سِهام القلوب

*

جرفت من قرارة القلب أحلا
مي ، إلى اللحد ، جائرات الخطوب
فتلاشت على تخوم الليالي
وتهاوت إلى الجحيم الفضوب
وثوى في دُجْنَةِ النفس ، ومض
لم يزل بين جيئة ، وذُهوْب
ذكريات تميس في ظلمة النفس ، ضلّالا ، كرائعات المشيب

*

يا لقلب تجرّع اللوعة المرّة
ة من جدول الزمان الرهيب!
ومضت في صميمه شُعلةُ الحز
ن، فَمَعَشَتْهُ من شماع اللهب...

٢٣ ذو الحجة ١٣٤٥

٢٤ جوان ١٩٢٧

المجد

يوده الفقى لو خاض عاصفة الردى
وصدّ الخيلس المَجْرَ والْأَسَدَ الْوَرْدَا
ليدرك أجماد الحروب ، ولو درى
حقيقَتَها ما رامَ من بينها مجدًا
فما الجُدُ في أن تُسَكِرَ الأرض بالدماء
ومركبَ في هيجاءها فرسا نهذا

ولكنه في أن قصدَ بهمةٍ
عن العالم المرزومِ ، فيضَ الأسى صدّاً

٢ صفر ١٣٤٦

غرة - أوت ١٩٢٧

الحب

الحب شعلة نورٍ ساحرٍ ، هبّطت
من السماء ، فكانت ساطعَ الفلقِ
ومزقت عن جفون الدّهر أغشيّةً
وعن وجوه الليالي بُرقعَ النّسقِ
الحبّ روحٌ إلهيٌ ، مجنّعةٌ
أبامه بضياءِ الفجرِ والشّفقِ

يطوف في هذه الدنيا ، فيجعلها
 نجما ، جملا ، ضحوكا ، جدّ مؤثلق
 لولاه ما سُمِعت في الكون أغنية
 ولا تآلف في الدنيا بنو أفق
 الحبُّ جدولٌ خمرٍ ، مَنْ تذوّقه
 خاض الجميع . ولم يُشفّق من الحرق
 الحب غاية آمال الحياة ، فما
 خوفي إذا ضمّني قبيري؟ وما فراقِي ؟

٢٩ صفر ١٣٤٦

٢٨ اوت ١٩٢٧

جدول الحب بين الأمس واليوم

بالأمس قد كانت حياتي كالسحاب الباسمة
واليوم ، قد أمت كأعماق الكهوف الواجمة
قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدول
يجري به ماء المحبة طاهراً ، يتسلسل
تسمى به الأمواج باسمه كأحلام الصبا ،

بيضاء ، ناصعة ضحوكاً مثل أزهار الربى
مياسة كعرائس الفردوس بين حقوله
تتلو أناشيد المني في مَدَدِهِ وقُفُولِهِ

*

مُوجَدٌ وَلُ الحُب الذي قد كان في قلبي الحَصِيلُ
بمراشف الأحلام منطلقاً ، يسير على مَهَلٍ
ينلو على حممي أغاريدَ الحياة الطاهرة
ويُنثِر في قلبي أناشيدَ الخلود الساحرة
تقف العذارى الخالدات ... عرائس الشعر البديع
في ضفَّتَيْهِ ، مُرَدَّاتٍ نعمةَ الحلمُ الوديعُ
يلسن من قَبْثارة الأحلام أوتار الغزل
فتفيض ألحانُ الصباية عذبةً ، مثل الأمل
وتطير بالبَسَمَات والأنغام أجنحةُ الصدى

في ذلك الأفق الجميل ، وذلك النَّسَمَ الرُّخا
وهناك ، حيث تُعانقُ البسماتُ أنفامَ الغزل
يتمايل الحلمُ الجميل ... كبسمة القلب التَّمِيلِ

★

هُوَ جَدولٌ ، قد فجَّرتُ بَنبوعَهُ في مهجتي
أجفانُ فاتنة أرثنيها الحياة لشقوتي
أجفان فاتنة تراءتُ لي على فجر الشباب
كمروسة من غايات الشعر، في شَفَقِ الحساب
ثم اختفت خلف السماء ، وراء هاتيك الغيوم
حيث العذارى الخالداتُ، يَمِيسُنَ ما بين النجوم
ثم اختفت أواه ! طائفة بأجنحة المنون
نحو السماء ، وما أنا في الأرض تمال الشجون

قد كان ذلك كله بالأمس ! بالأمس البعيد ...
 والأمس قد جرفته مقهوراً يدُ الموت العتيد
 قد كان ذلك تحت ظلّ الأمس ، والماضي الجميل
 قد كان ذلك في شعاع البدر من قبل الأقول
 واليوم اذ زالت ظلال الأمس عن زَهْرِي البديع
 وتجلّببَ الزَّهْرُ الجميلُ بظُلْمَةِ الليل المريع
 ذبلت مرأشفه ، فأصبح ذاوياً، نِضْوَ الكلام
 وهوى لأنّ الليل أسمعهُ أناشيد الوجوم ...

*

بالأمس قد كانت حياتي كالسّماء الباسمة
 واليوم قد أمست كأعماق الكهوف الواجمة

*

إِذَا أَصْبَحَ النُّبْعُ الْجَمِيلُ بِسِيرٍ فِي وَادِي الْأَلَمِ
 مَتَعَثِّرًا بَيْنَ الصَّخُورِ . يَغُورُ فِي تِلْكَ الظُّلُمِ
 جَفَّتْ بِهِ أَمْوَاجُ ذِيكَ الْغَرَامِ الْآفِلِ
 فَتَدَفَّقَتْ فِيهِ الدَّمُوعُ بِصَوْبِهَا الْمُتَهَاوِلِ
 قَدْ حَجَبَتْهُ غَيُومُ أَحْزَانِ الْوُجُودِ الْقَائِمِ
 قَدْ أَخْرَسَتْهُ مِرَارَةُ الْقَلْبِ التَّمْيِيسِ الظَّالِمِ
 جَمَدَتْ عَلَى شَفْتَيْهِ أَنْفَامُ الصَّبَابَةِ وَالْهُوَى
 وَقَضَتْ أَغَانِي الْحُبِّ ، فِي أَعْمَاقِهِ ، لَمَّا هَوَى
 وَعَدَتْ بِهِ الْأَمْوَاجُ ، جَامِدَةَ الْمَلَامِ ، قَائِمِ
 قَدْ أَسْكَنْتَهَا لَوْعَةَ الرُّوحِ الْحَزِينِ الْوَاجِمِ
 غَاضَتْ أَمَانِيهَا . وَغَارَ بِهَا الْجَمَالُ السَّاحِرُ
 فَأَصَابَهَا - لَهْفًا عَلَيْهِ - الْاِكْتِثَابُ الْكَافِرُ
 فِي ضِفْتَيْهِ عِرَائِسُ الْأَشْعَارِ تَنْصَبُ مَأْنَمًا

يُهرقن فيه الدمعُ ، حق بلطم الدمعُ الدّما
فيسيل ذاك المدمعُ الدّامي لقلب الجدولِ
حيث المرارةُ ، والأسى ، بين الزهور الذُّبُلِ
وينشعن حتى يُفْنِمَ الآفاق صوت الإنتعابِ
فتسير أصداءُ النّسيّاحة نحو أطباق الضّبابِ
وهناك ما بين الضّباب الأقم الساجي الكئيبِ
تهتزُّ آلامي ، ونخنلج الكتابة بالنّحيبِ

٢ ربيع الأول ١٣٤٦

٣٠ اوت ١٩٢٧

سر مع الدهر

سر مع الدهر، لا قصدك الأحوال، أو تفزع عنك الأحداث
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخذعنك النفاث
فالذي يرهب الحياة شقي ، سخوت من مصيره الأحداث

١٠ ربيع الاول ١٣٤٦

٧ سبتمبر ١٩٢٧

الذكر

كُنَّا كزوجي طائر ، في دوحه الحبّ الأمين
تلا أناشيدَ المنى بين الخائل والفصون
متفرّدين مع البلبل في السهول وفي الحزون
ملأ الهوى كأس الحياة لنا ، وشعشعها الفتون
حتى إذا كدنا نرشفُ خمرها ، غضب المنون
فتخطف الكأسَ الخلوبَ ، وحطّم الجام الثمين

وأراق خمر الحبّ في وادي الكتابة والأنين
وأهاب بالعُقبُ الوديع ، فودّع العُشّ الأمين
وشدا بلعن الموتِ في الأفق الحزين المستكين
ثمّ اختفي خلف الغيوم ، كأنّه الطيف الحزين ...

* * *

يا أيها القلب الشجيّ ! إلام تحرسك الشجون
رحماك قد عذّبتني بالصمت والدمع الهتون
مات الحبيب ، وكلّ ما قد كنتَ ترجو أن يكون !
فاصبرْ على سخط الزّمان ، وما قصرْه الشؤون
فلَسوف يُنقذك المنونُ ، ويفرح الروح السجين ...

* * *

ورّدُ الحياة مُرنّقٌ ، والموت مورده مَعين

ولربما شاق الرّدى الداجي ، وأعماقُ المنون
قلبا ، قروءه الحياة ، ولا تُهادنه السنون
ومشاعرا حشرى ، يسيرُ بها القنوط إلى الجنون

٢٩ جمادي الاولى ١٣٤٦

٢٤ نوفمبر ١٩٢٧

الطفولة

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة
عهدٌ كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات...
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه
وتسير في عدّواتٍ وادها بنفس حاله .

* * *

إنّ الطفولة تهتزُّ في قلب الربيع

ريانة من ريتق الأنداء في الفجر الوديع
غنّت لها الدنيا أغاني حبّها وحبورها
فتأودت نَشوى بأحلام الحياة ونورها

* * *

إن الطفولة حَقبةٌ شمريةٌ بشعورها
ودموعها ، وسرورها ، وطموحها ، وغرورها
لم تمس في دنيا الكآبة ، والتعاسة ، والعذاب
فترى على أضوائها ما في الحقيقة من كِذاب

١٢ رجب ١٣٤٦

• جانفي ١٩٢٨

فالت الأيام

يا أيها السادر في غيِّه !
يا واقفاً فوق حطام الجِبياه !
مهلاً ! ففي أنات من دستهم
صوتٌ رهيبٌ سوف يدوي صداه ...

* * *

لا تأمننْ الدهر ، إمّا غفا

في كهفه الداجي ، وطالت رؤاه
فإن قضى اليوم وما قبله
ففي الفد الحي صباح الحياة

* * *

يا أها الجبار ! لا تزدي
فالحق جبار ، طويل الأناة
ينغي ، وفي أجفانه يقنطة
ترنو إلى الفجر الذي تراه ...

١٥ رجب ١٣٤٦

٨ جافقي ١٩٢٨

المساء الحزين

أظَلَّ الوجودَ المساءُ الحزينُ ، وفي كفه مِعْزَفٌ لا يُبِينُ
وفي ثغره بسمات الشجون ، وفي طرفه حشرات السنين
وفي صدره لوعة لا تَقِيرُ ، وفي قلبه صعقات المذون
وقبله قُبَلًا صامتاتٍ ، كما يلثمُ الموتُ وَرَدَ الفصون
وأفضى إليه بوحى النجوم ، وسرَّ الظلام ، ولحن الكون
وأوحى إليه مزاميرَه ، ففتنتُ بها في الظلام الحزون

وعلمته كيف تأسى النفوس ، ويقضي يُؤوساً لديها الحنين
وأسمعه صرخاتِ القلوب ، وأنهله من سلاف الشؤن
فاغفى على صدره المطمئن ، وفي رُوحه حلمٌ مستكين
قويٌ ، غلوبٌ ، كسحر الجفون ، شجيٌ ، لعوبٌ كزهر حزين
ضعوك ، وقد بليتته الدموع ، طروبٌ وقد ظلتته الشجون
تعانقه سكرات الهوى . وتحضنه شهقات الأنين
يشابه 'روح' الشباب الجميل إذا ما تألق بين الجفون
أعاد لنفسي خيالاً جميلاً ... لقد حجبته صروف السنين
فطافت بها هجسَاتُ الأسى ، وعادت لها خطوات الجنون

• • •

أظّل الفضاءَ جناح الغروب ، فالقى عليه جمالاً كئيباً
وألبسه حلةً من جلالٍ . شجيٌّ ، قويٌّ جميل ، غلوبٌ

فنامت على العُشب تلك الزهورُ لمأى المساء الحزين الرهيب
وآبت طيورُ الفضاء الجميل لأوكارها ؛ فرحاتِ القلوب
وقد أضرمت بأغاريدها خيالَ السماء الفسيح الرحيب
وولتِ رعاةُ السوَّامِ إلى الحيِّ يزجونها في صمات الغروب
فتَنفُو ، حينئذٍ حُمْلانها ، وتطفُ زهرَ المروج الخصب
وهم ينشدون أهازيجهم بصوت ، بهيج ، فرُّوح ، طروب
ويَسْتَمْنِحُونَ مزاميرهم ، فتمنعهم كلَّ لحنٍ عجيب
تطير به نسماتُ الغروب إلى الشفقِ المستطير الخلوب
وتوحي لهم نظراتُ الصبايا أناشيدَ عهد الشباب الرطيب
وأقبل كلُّ إلى أهله ، سوى أملي ، المستطار ، الغريب
فقد تاه في مَعَسَبَات الحياة ، وسُدَّتْ عليه مناحي الدروب
وظلَّ شريداً ، وحيداً ، بعيداً ، يغالب عنف الحياة العصب
وقد كان من قبلُ ذا غبطةٍ ، يرفرف حول فؤادي الخصب

* * *

ولما أظلم المساءُ السماءَ ، وأسكر بالحزن روحَ الوجودِ
وقفتُ، وساءلته : « هل يؤوب لقلبي ربيعُ الحياةِ الشُّرود ؟ »
« فتخفقُ فيه أغاني الورود ويخضرُ فردوسُ نفسي الحصيد ؟ »
« وتختال فيه عروس الصباح ، وتمرح نَشْوَى بذاك النشيد ؟ »
« ويرجع لي من عراص الجحيم سلامُ الفؤاد ، الجميل ، المهيّد ؟ »
« فقد كبَلتَه بناتُ الظلام ، والقيئنه في ظلام اللحد ؟ »
فأصغى إلى لَهْفِي المستمر ، وخاطبني من مكان بعيد :
« تعودُ أدِّ كاراتُ ذاك الهوى ، ولكن سحر الهوى لا يعود ، »
فجاشتُ بنفسي مآسي الحياة ، وسخطُ القنوط القويُّ المرِيد
ولما طغت عصافُ القنوط فمادتُ بكلِّ مكين ، عتيد
أهبتُ بقلبي ، الهلوع ، الجزوع ، وقد كان من قبلُ جلداً ، شديد :
« تجلّد ، ولا تستكن لليبالي ، فما فاز إلاّ الصبور الجليد ، »

« ولا تأسَ من حادثات الدهور ، فغلف الدياجير فجرٌ جديد »
« ولولا غيومُ الشتاء الغِضابُ لما نضدَ الرّوضُ تلك الورود »
« ولولا ظلام الحياة العبوسُ لما نسجَ الصبحُ تلك البرود »

٢٧ رجب ١٣٤٦

٢٠ جانفي ١٩٢٨

بقايا الخريف

كرهتُ القصورَ ، وقطّانها ، وما حولها من صرّاعٍ غنيفٍ
وكيدِ الضّعيفِ لسمي القوي ، وعصفِ القويِّ يجهد الضّعيفُ
وجاشت بنفسي دموع الحياة ، وعجبتُ بقلبي رياح الصروف
لقلب الفقير الحطيم الكسير ، ودمع الآيامي السفيح الذريف
ونوح اليتامى على أمهات ، تواربنَ خلف ظلام الحُتوف
فسرتُ إلى حيث تأوي اغاني الربيع ، وتذوي أمانِي الخريف

وحيث الغضاء شاعر حالمٌ ، بناجي السهول بوحى طريف
 وقد دثرت غيومُ المساء بظلٍ حزين ، ضريحٍ ، شفيف
 وبين الفصون التي جردتها ليالي الخريف القوي ، العُوف
 وقفتُ ، وحوالي غديرٌ ، مواتٌ ، تمادت به غفوات الكهوف
 قضت في حفافيه تلك الزهور ، فكفتها بالصقيع الخريف
 سوى زهرةٍ شقيت بالحياة ، ومكثتُها بالمقام الخيف
 يرونها فيه قصصُ الرعود ، ويحزنها فيه ندبُ الزفيف
 وينتابها في الصباح السديم ، وفي الليل حلمٌ ، مريعٌ مخيف
 وقسرها غادات الغمام ، وتؤلمها كلُّ ربيعٍ عصوف
 تترنؤ لها حولها من زهور ، وما ثم إلا السحيق ، الجفيف
 فتبكي بكاء الغريب ، الوحيد ، بشجنٍ كظيم ، ونوحٍ ضعيف
 تباكي به لبها المستطار ، وترثي به ما طوته الختوف
 وتشكو أساما بياض النهار ، وتندبُ حظَّ الحياة السخيف

ولكنّ لقد فقدت في الوجود رفيقاً مُصينغا ، وقلبا رؤوف
فما نسمّ إلا الصخورُ القواسي ، وإلاّ الصدى المستطارُ المتوف
فجادتُ بروحٍ شقيّ ، شجيّ ، لقد عذبتُه الليالي صنوف
ومائت ، وقد غادرتُها بقاعٍ من الأرض ضنكٍ ، حياة الصروف
فبانَت حَيالُ الغديرِ الأصمّ ، وقد أخرس الموتُ ذاك الحفيف
وقد خضبتُها غيومُ المساء ، كفانيّة ضرّجتها السيوف
فلها : « تُرى كيف غاض الأريج ؟ »

وكيف ذَوَى سحرُ ذاك الرفيف ؟ ،
« وكيف خَبَّتْ سَمَاتُ الحَيَاةِ
بأجفانها ، وعراها الكسوف ؟ ،
« وكيف لَوَتْ جِداها الحَادَثَاتُ
وَأَلْوَتْ بِذاكَ القَوامِ اللَطيف ؟ ،

ذكرت بمضجها المطمئن
 ومرقدها في السَّفير الجفيف
 مصارعَ آمالي القنابر
 وخيبتَها في الصراع العنيف
 فقلبتُ طرفي بهوى الزهور
 وصعدته في الفضاء الأسيف
 وقلت: «هو الكون مهْدُ الجمال
 ولكن لكل جمالٍ خريف!...»
 وأطرقتُ ، أصغي لممس الأسي
 وقد غَشِيَ النفسَ همٌ كثيف
 وغاضتُ شمالة نور النهار
 وأرْخى ظلامُ الوجود السجوف

٦ رمضان ١٣٨٦

٢٧ فيفري ١٩٢٨

اغنية الشاعر

يا ربّة الشعرِ والأحلام ، غنّيني
فقد سُمْتُ وُجُومُ الكون ، من حين
إن الليالي اللواني ضمتْ كبدي
بالسّعر أضعتْ مع الأيام ترميني
فاختْ بنفسي مآسيتها ، وما وجدتْ
قلبا عطوفا يُسلّيها ، فعزّيني

وهدّ من خلّدي نوحٌ ، ترجّعه
 بَلَوَى الحياة ، وأحزانُ المساكين
 على الحياة أنا أبكي لشقوتها
 فمن إذا متُ يبكيها ويبكيّني ؟
 يا ربّة الشجر ، غشّيني ، فقد ضجرت
 نفسي من الناس أبناء الشياطين
 تبرّمت ببني الدنيا ، وأعوزها
 في مِعْزَفِ الدهر غرّيدُ الأرانين
 وراحةُ الليل ملأى من مدامعه
 وغادة الحب ثكلى ، لا تغشّيني
 فهل إذا لذت بالظلماء ، منتحبا
 أسلو ؟ وما نَسْفَعُ محزون لـمحزون ؟

يا ربّة الشعر ! إنّي بائسٌ ، تعسٌ
 عدِمْتُ ما أرتجى في العالم الدّون
 وفي يديكِ مزاميرٌ يخالجهما
 وحي السماء ؛ فهاتيها ، وغنّيني
 ورنّلي حولَ بيت الحزن أغنيةً
 بجلّو عن النفس أحوانَ الأحايين
 فإن قلبي قَبْرٌ ، مظلمٌ ، قُبُيرٌ
 فيه الأمانى ، فما عادت تناغيني
 لولاكِ في هذه الدنيا لما لمستُ
 أوتارَ روحي أصواتُ الأفانين
 ولا تغنّيتُ مأخوذاً .. ، ولا عذبتُ
 لي الحياةُ لدى غصن الرياحين

ولا أصغنتُ إلى الأصداء ، راقصةً
بين الكهوف ، على عزف الشياطين
ولا ازدهى النفسَ في أشجانها شفقٌ
يلوّنُ الغيمَ لهواً أيّ تلوين
ولا استغفَ حياتي ، وهي هائمةٌ
فجرُ الهوى في جفون الخُرَدِ العين

١٦ رمضان ١٣٤٦

٨ مارس ١٩٢٨

في علاج الالام

يا لابتسامة قلبٍ مطلولةٍ بدموعه
غاضت، فلم تبق إلا الدموع بين صدوعه
فظل يهتف من شجورٍ و ، وفرطٍ ولوعة
« وينح الحياة ! أما تنقضي لديها الرزايا ؟ ! »
« أما يكفكف هذا الزمانُ صوبَ البلايا ؟ ! »
« يا دهر ! رفقا ! فإن القلوب أمست شطايا، »

* * *

يا قلب نهته دموعَ الأمل ، ولو عة روعك
إنّ الدهور البواكي غنية عن دموعك
حسب الحياة أساها

فاطمة الأمل في صدوعك
واحلم بفجر اللبالي .. ، ففجرها في هجوعك
وإن غفوت فإن الحياة ليست تروك
وسوف يمضي شتاء الأمل ، ويأتي ربيعك

* * *

بين القبور فتاة جارة الزمان عليها
فافتكت منها بمنف كفه الردي أبوبها
تقول والليل ساجر والقبور مصغرة إليها :
« يا ليتني مت من قبل أن تعود حياتي ،

« وَيَنْضَبُ الدَّمْعُ مِنْ لَوْعَتِي، وَمِنْ حَسْرَاتِي!،
« مَنْ لِي بِحُفْرَةِ قَبْرِ تَضْمُنِي وَشَكَاتِي!،

* * *

فِي الْحَيِّ صَبٌّ يَعْانِي	فِي الصَّدْرِ دَاءٌ دَفِينَا
وَفِي الْفؤَادِ جَوَى كَا	مِنْأَوْحَا مَكِينَا
حَتَّى دَهْتَهُ اللَّيَالِي	وَجَرَّعَتْهُ مَنُونُهُ
فَشَبَّعَ الْمَيْتَ جَمْعٌ	مِنْ حَيٍّ، يَنْدُبُونَهُ
حَقٌّ إِذَا مَا أَرَادُوا	رَضْفَ الصَّفَائِحِ دُونَهُ
فَاسْتَعْطَفَتْهُ فَتَاةٌ :	« وَيَلِي، لَمَنْ تَقْرُ كُونَهُ!،

* * *

كَانَ الصَّبِيُّ يَصِيدُ	الْفَرَاشَ بَيْنَ الزُّهُورِ
فَدَاسَ زَهْرًا نَدِيًّا	أَلْقَى بِهِ فِي الْغَدِيرِ

فأخرجوه ، ولكن بعد القضاء الأخير .
 فخرت الأم حوم الصبي ، تصرخ : «ويلي !»
 فقلت - والقلب دام -
 والناس يكون حولي -
 « ما أسخف العيش تقضي عليه زلة نعل !»

* * *

شيخ ، شاء دهر الأسى ، وحيد شئت
 بين الخرائب يُمسي على الطوى ، ويبيت
 في ظلمة الليل فاضت على الوجود حياته
 وطرفه يرمق النجم ملؤه عبراته
 وما حوالته إلا الخراب يُشجي صماته
 فما بكاء فتاه ولا بكته فتاته

يا زهرة سَامَهَا العابرون خسفاً وهُونًا !
لو كنتِ شوكاً عَضُوضاً ما داسكِ العابرون
لأنّهم يجهلون الوحيَ الذي تُضْمِرينا
هم يسخرون بهمس الزهور ، وهو بديع !
ويُنصتون لصوت الأشواك ، وهو مُربيع !
فلا تبالِ بقوم الحقّ فيهم صريعُ

* * *

ربّاه كم من فتاة ، تشكو الحياة وتبكي ،
ومعتمدٍ ، بَوَّأتَهُ الدهورُ مقعدَ ضحكِ
ويائسٍ مات في لُبِّهِ المرام الوحيدُ
وقائسٍ ، ضاع بين القفار ، وهو فريدُ
حقّ طوقه من العاصفاتِ ريحُ شرودُ

ربّاه ! رُحّاكَ إن الزمان فضُّ شديدُ

* * *

يا طائر الشّعر ! رَوِّحْ على الحياة الكئيبة
وامسحْ بريحك دمع القلوب فهي غريبة
وعزّها عن أساها فقد دهمتها المصيبة
وأنتَ روحٌ جميلٌ ، بين الهضاب الجديبة
فانفخْ بها من لبيب السماء رُوحاً خضيبه
وابعثْ بسحركَ في قلبها ضرامَ الشّيبه

١٠ شوال ١٤١٦

غرة افريل ١٩٢٨

مناجاة عصفور

يا أيها الشادي المغرّد هنا
ثَمِلًا بَغِيظَةً قلبه السرور
متنقلاً بين الحماثل ، قَالِيَا
وَحْيَ الرِّبِيعِ السَّاحِرِ المَسحُورِ
غُرْدٌ ، ففِي تِلْكَ السَّهولِ زَنَابِقُ
تَرْنُو إِلَيْكَ بِناظِرٍ مَنْظُورِ

غرّد ، ففي قلبي إليك مودةٌ
 لكن مودة طائرٍ مأسور
 هجرته أمراب الحائم ، وانبرت
 لعذابه جنّة الديجور
 غرّد ، ولا تهرب يميني ، إنني
 مثل الطيور بهجتي وضميري
 لكن لقد هاض التراب ملاحمي
 فلبثتُ مثل البلبل المكور
 أشدُّ برناتِ النباحه والأسى
 مشبوبة بمواطني وشعوري
 غرّد ، ولا تحفل بقلبي ، إنه
 كالمزف ، التخطّم ، المهجور

* * *

رتلْ على سمع الربيع نشيدَه
 واصدحْ بفيضِ فؤادك المسجور
 وانشد اناشيد الجمال ، فإنها
 روحُ الوجود ، وسلوة المقهور
 أنا طائر ، متفردٌ ، مفرّجٌ
 لكن بصوت كآبتي وزفيري
 يحتاجني صوت الطيور ، لأنه
 مُتدفّقٌ بحرارة وطهور
 ما في وجود الناس من شيء
 يَرْضَى فؤادي أو يُسِرُّ ضميري
 فإذا استمعتُ حديثهم أَلْبَيْتُهُ
 غشاً ، يفيض بركةٍ وفور

وإذا حضرتُ جوعهم أَلْفَيْتَنِي
 ما بينهم كالبلبل المأسور
 متوحدا بعواطفِي ، ومشاعري ،
 وخواطري ، وكأبني وسروري
 بِنَقَابِنِي حَرَجُ الحياة كأنني
 منهم بوهدة جندل وصخور
 فإذا سكث تضجروا ، وإذا نطقت
 تدمروا من فكري وشعوري
 آهِ من الناس الذين بلوتهم
 فقلوتهم في وحشي وحبوري !
 ما منهم إلا خبيث غادر
 متربص بالناس مُرَّ مصير

ويودُّ لو ملك الوجودَ بأسره
 ورمى الورى في جاحم مسجور
 ليُبَلِّغَ غَلَّتَه التي لا تقوى
 ويكضُ تهمة قلبه المغفور
 وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنَّ أفلا
 ري ترفرف في سفوح الطُور
 حيث الطبيعة حلوة فتانةُ
 تختال بين تبرُّج وسفور
 ماذا أودُّ من المدينة ، وهي غارقةُ
 بموار الدم المهذور ؟
 ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا
 تَرثي لسوت تفجُّع الموتور ؟

ماذا أودُّ من المدينة ، وهي لا
تَعْنُو لغير الظالم الشرير ؟
ماذا أودُّ من المدينة ، وهي مُرْتَادَةٌ
لكلِّ دَعَاة وفجور ؟

* * *

يا أيتها الشادي المفرد هنا
ثَمَلًا بقبضة قلبه الممرور
قبل أزاهير الربيع ، وغنثها
رنم الصباح الضاحك المهور
واشرب من النبع ، الجميل ، الملتوي
ما بين دَوْح صنوبرٍ وغدير

واتركُ دموع الفجر في أوراقها
حتى تترشفها عروسُ النور
فلربما كانت أنينا صاعدا
في الليل من متوجع، مقهور
ذرفته أجفانُ الصباح مدامعا
ألافةً ، في دوحة وزهور ...

٢٧ محرم ١٣٤٧

١٦ جويلية ١٩٢٨

يا رفيقي

يا رفيقي ! وأين أنت ؟ فقد أعمت جفوني عواصف الأبتام
ورمتني بهمهم ، قاتم ، قفر ، تفسّيه داجيات الغمام ..
خذ بكفسي ، وغني ، يا رفيقي ، فسبيل الحياة وعرو أمامي
كلما سرت زلّ بي ، فيه مهوى ، تتضاغى به وحوش الحيام
شعبته الدهور ، وانطمس النور ، وقامت به بنات الظلام
راقصات ، يخلبن في حلك الليل ، ويلمن بالقلوب الدوامي

غثني ، فالغنياءُ يَدْرَأُ عَنَّا السَّاحِرَ الجَنُّ... ، ساكنَ الآجام .
 قد تفكرتُ في الوجود ، فأعياي ، وأدبرتُ آيساً لظلامي
 أنشدُ الرَّاحَةَ البعيدةَ ، لكنْ خاب ظنِّي وأخطأت أحلامي
 فعمي في جوانحي أبَدَ الدهرِ فؤادُ إلى الحقيقةِ ظلامي
 ما تراخى الزَّمانُ إلاّ وألقى في طواياه قَبْضَةً من ضَرامِ
 تلتظُّى ، يدُ الحياةِ ، وزادتْ معضلاتُ الدُّهورِ والأعوامِ
 أظلماتُ مهجتي الحياةِ ، فهل يوماً تُبَلِّغُ الحياةُ بعضَ أوامي؟
 يا رفيقي ! ما أحسبُ المنبَعِ المنشودَ إلا وراءَ ليلِ الرُّجامِ
 غثني ، يا أُخَيَّ ، فالكونُ نَيْهائُ ، بها قد تمزقت أقدامي
 غثني ، علَّني أنيمُ همومي ، إنَّني قد ملَّيت من تهيامي .

* * *

يا رفيقي ! أمّا تفكرتَ في الناس ، وما يحملون من آلام ؟

فلفد حَزَّ في فؤاديَ ما يَلْقَوْنَ من صولة الأسي الطلام
 فإذا سرتني من الفجر نُورُ ساءني ما يُسرُّ قلبُ الظلام
 كم بقلب الظلام من أنثى تهفو بغضات صبيّة أيتام
 ونشيج مُضَرَّمٍ من فتاةٍ ، أبهظتها قوارعُ الأيتام
 ونوَّاحٍ يفيضُ من قلب أمٍّ فُجعتُ في وحيدها البسام ،
 فَطَمَ الموتُ طفلها ، وهونورُ في دجائها ، من قبل عهد الفطام
 وأنينٍ من مُعْدَمٍ ، ذي مقامٍ ، عضه الدهر بالخطوب الجسام
 ما إخال النُجُوم إلا دموعاً ، ذرَّفتها محاجرُ الأعوام
 فلفد ضرَّم الشجونَ بنوها ، فإذا بالشتجون سيلُ طام
 وإذا بالحياة في ملعب الدهر تدوس الرؤوس بالأقدام
 وإذا الكون فلذة من جحيمٍ ، تنفذي بكلِّ قلبٍ دام
 وهمُّ في جحيمهم يتناغون بما في الوجود من أنعام
 عجباً للنفوس ، وهي بواكير ، عجباً للقلوب ، وهي دوام

كيف تشدو وفي محاجرها الدمع، وتلهوما بين سودِ الموامي؟!

* * *

يا رفيقي ! لقد ضللتُ طريقِي ، وتخطتُ مَحَجَّتِي أَقْدامي
خذ بكفتي ، فانتني قائمٌ ، أحمي ، كثيرُ الضلال والأوهام
وانفخ النسيَّ ، فالحياة ظلامٌ ، ما لمرقاده من الهول حام
مِلْهُ آفاقه فصحُّ الأفاعي ، وعجيجُ الآثام والآلام
فانفخ النسيَّ ، إنه هِبَةُ الأملاك للمستعبد بالإلغام
واغذُذِ السَّيْرَ ، فالنهارُ بعيدٌ ، وسبيلُ الحياة جَمُّ الظلام...

٢٧ محرم ١٣٤٧

١٦ جويلية ١٩٢٨

إلى الموت

صبيّ الحياة ، الشقيّ العنيدُ ألا قد ضللتَ الضلالَ البعيدُ !
أَتُنشدُ صوتَ الحياةِ الرخيمَ ، وأنتَ سجينٌ بهذا الوجودِ ؟
وتطلبُ ورَدَ الصباحِ المُضَيَّبِ من كَفِّ حَقْلِ ، جديبٍ ، حصيدٍ ؟
إلى الموتِ ! إنْ شئتَ هَوِّنَ الحياةَ ، فخلفِ ظلامَ الردى ما تريد ..

* * *

إلى الموت! يا ابن الحياة التعيس، ففي الموت صوت الحياة الرحيم
إلى الموت؟ إن عذبتك الدهور، ففي الموت قلب الدهور الرحيم
إلى الموت! فالموت رُوحٌ جميل، يرفرف من فوق تلك الغيوم
فروحاً بفجر الخلود البهيج، وما حوله من بنات النجوم...

* * *

إلى الموت! فالموت جامٌ روي لمن أظمأته سَمُومُ الفلاة
ولست براوي - إذا ما ظمِئت - من المنبع العذب قبل المات
فما الدمع إلا شراب الدهور، وما الحزن إلا غداء الحياة
إلى الموت! فالموت مهدٌ وثير، تنام بأحضان الكائنات

* * *

إلى الموت إن حاصرتك الخطوب، وسدت عليك سبيل السلام
ففي عالم الموت تنضو الحياة رداء الأسى، وقناع الظلام

وتبدو ، كما خُلِقَتْ غُضَّةٌ بفيض على وجهها الابتسام
تعيدُ عليها ظِلَالُ الخلود ، وتهفو عليها قلوبُ الأنام

* * *

إلى الموت ! لا تخشِ أعماقه ففيها ضياء السماء الوديعُ
وفيها تيس عذاري السماء ، عواري ، ينشدن لحنا بديع ..
وفي راحنٍ غصونُ النخيل يحرّكنها في فضاءٍ يضوع ..
تضيء به بساطُ القلوب ، وتخبو به حشرات الدموع

* * *

هو الموت طيفُ الخلود الجميل ، ونصف الحياة الذي لا ينوحُ
هنالك ... خلف الفضاء البعيد ، يعيش المنون القوي الصَّبوحُ
يضمُّ القلوب إلى صدره ، ليأسوا ما مضى من جروح
ويبعثَ فيها ربيعَ الحياة ، ويُبهِجَها بالصباح الفَروح

٢٤ صفر ١٣٤٧

١٢ اوت ١٩٢٨

الى عازف اعمو

أدركتَ فجر الحياة أعمى وكنتَ لا تعرف الظلامُ
فأطبقتَ حولك الدبابجي وغمّام من فوقك الغمام
وعشتَ في وحشة ، تقاسي خواطرًا ، كلتها ضرام
وغربةٍ ، ما بها رفيق وظلمةٍ ، ما لها ختام
تشقُّ تيبهَ الوجودِ فرداً قد عضّك الفقر والسقام

وطاردت نفسك المآمي وفرت من قلبك السلام

* * *

هوّن على قلبك المعنى إن كنت لا تبصر النجوم
ولا ترى الغاب ، وهو يلفو وفوقه تخطر الفيوم
ولا ترى الجدول المغنّي وحوله يرقص القيم
فكلنا بئس ، جدير برأفة الخالق العظيم
وفاثنا في الحياة أعمى يسوقه زعزع عقيم
وحوله تزعق المنايا كأنها جينة الجحيم :

* * *

يا صاح ! إن الحياة قفرٌ مروعٌ ، مأوه سراب
لا يحتمي الطرف منه إلا عواطف الشوك والقراب

وأَسعدُ الناس فيه أعمى لا يبصر الهول والمصاب
ولا يرى أنفَسَ البرايا تذوب في وقدة العذاب
فاحدِ إله الحياة ، واقنعْ فيها بألحانك العذاب
وعِشْ ، كما شئت الليلي من آهة الناي والرباب

٢٨ صفر ١٣٤٧

١٨ اوت ١٩٢٨

قضيتُ أدوارَ الحياة ، مفكراً
في الكائنات ، معذباً ، مهموماً
فوجدتُ أعراسَ الوجود مآتماً
ووجدت فردوسَ الزمان جحيماً
قدوي بخارمه بضجة صرصر ،
مشبوبة ، تذرّ الجبال هشياً

وحضرتُ مائدةَ الحياة فلم أجد
 إلا شراباً آجناً مسموماً
 ونفقت أعماق الفضاء فلم أجد
 إلا سكوناً ، متنعباً محموماً
 تلبخُرُ الأعمار في جنباتِهِ
 وتموتُ أشواقُ النفوس وجُوماً
 ولمست أوتار الدهور ، فلم تَقِضْ
 إلا أنيناً ، دامياً ، مكلوماً
 يتلو أقاصيص التعاسة والأسى
 ويصيرُ أفراح الحياة هموماً
 شرّدتُ عن وطني السماوي الذي
 ما كان يوماً واجباً ، مغموماً
 شرّدتُ عن وطني الجميل ..أنا الشقيّ ،
 فعمت مشطورَ الفؤاد ، يتما ...

في غُربهِ ، روحِيَّةٍ ، مَلْعُونَةٍ
 أَشْوَاقُهَا تَقْضِي ، عِطَاشًا ، هِيَا ...
 يَا غَرْبَةَ الرُّوحِ الْمَفْكَرِ ! إِنَّهُ
 فِي النَّاسِ يَحْيَا ، سَائِماً ، مَسْئُوماً
 شُرِّدَتْ لِلدُّنْيَا ... ، وَكَلَّ قَائِلُهُ
 فِيهَا يَرْوَعُ رَاحِلًا وَمَقِيماً
 يَدْعُو الْحَيَاةَ ، فَلَا يُجِيبُ سِوَى الرَّدَى
 لِيَدُئِهِ تَحْتَ التُّرَابِ رَمِيماً
 وَتَظَلُّ سَائِرَةً ، كَأَنَّ فَقِيدَهُمَا
 مَا كَانَ يَوْمًا صَاحِباً وَحِيداً !

* * *

يَا أَيُّهَا السَّارِي ! لَقَدْ طَالَ الشَّرَى
 حَتَّى تَرْقُبَ فِي الظَّلَامِ نَجُوماً .. ؟

أَنخَالُ فِي الْوَادِي الْبَعِيدِ الْمُتَرَجِّجَى ؟
هيهات ! لن تلقى هناك مَرُوما
سرُما استطعت ، فسوف تُلْفِي - مثلها
خَلْفَتَ - مَمَشُوقَ الْفُصُونِ حَطِيمَا

٣ ربيع الاول ١٣٤٧

٢٠ اوت ١٩٢٨

قبضة من ضباب

مهما تأملتُ الحياةَ ، وجئتُ مجهلاً الرهيبُ
ونظرتُ حولي ، لم أجد إلاَّ شكوكَ المستريب
حقّ دَهِشتُ ، وما أفدتُ بدمشتي رأياً مُصيب
لكنني أجهدتُ نفسي ، وهي باديةُ اللُغوب
ودفعتُها وهي الهزيلةُ في مُغالبةِ الكُروب
في مَهْمَةٍ متقلبٍ ، تُخشى غوائله ، جديب

فإذا أصابت من مناهله شرابا تستطيب
أروت جوائنحها ، وذلك حسبها كَيْمَا تَووب
ومَن ارتوى في هذه الدنيا تسنمها خطيب ؟
أولا فقد ركبت من الأيام مركبها العصيب .
رقضت كما شاء الخلود ، وفي جوائنحها اللهب !.

• جمادي الاولى ١٣٤٧

٢٠ أكتوبر ١٩٢٨

نشيد الأسير

يا ليت شمري اهل الليل النفس من صبح قريب ؟
فتقرّ عاصفة الظلام ، ويهجع الرعد الغضوب
ويرتل الانسان اغنية مع الدنيا طروب

* * *

ما للرياح ثعب في الدنيا ، ويدركها اللغوب
إلا رياحي ، فهي جامحة ، ترثها عصيب ؟

مالي تعدّ بني الحياة كأنني خلّقتُ غريب ؟
 وتهنّد من قلبي الجميل ؟ فهل لقلبي من ذنوب ؟
 وإذا سألتُ : « لِمَ الوجود » وكلّهُ همٌ مذيب ؟ ،
 قالت : « نواميسُ السماء قضت » ، وما لك من هروب ؟ ،
 أو على قلبي ! وإني شقيتُ كشِقوته قلوب
 أنقى من الموج الوضيء ، ومن نشيد الغندليب
 لم تقترفْ إثمَ الحياة ، وكان مأواها اللهب

* * *

يا مهجّة الغاب الجميل ألم يصدّغكِ النحيب ؟
 يا وجنّة الورد الأنيق ألم تشوّهكِ الندوب ؟
 يا جدول الوادي الطروب ألم يرتّقكِ القطوب ؟
 يا غيمة الأفق الخضيب ألم تمزّقكِ الخطوب ؟

يا كوكبَ الشفقِ الضعوكِ أما أَلَمَ بكِ الشعوب ؟
 ها أنتِ ذا في الأفقِ تضحكُ ، لا تُهمُّ ، ولا تحجبُ
 'تلقي على قُننِ الجبالِ رداءَ لآلئِ قشيبِ
 لتنامَ أوراؤُ الجبالِ الشَّمُ ، في مَهْدٍ عجيبِ
 ولكي تغنيكِ الجداولُ لحنَها العذب الحبيبِ
 وعرى جمالكِ من بناتِ الغابِ مِطَاطِرُ ، لَعوبِ
 معشوقَةٍ ، في فرعها تاجٌ من الوردِ الخضيبِ
 تلو أناسيدَ الربيعِ كأنَّها نجوى القلوبِ
 يا كوكبَ الشفقِ الضعوكِ ! وأنتِ مُبْتَهَلُ الكُتَيْبِ
 لُحْ في السماءِ ! وغنِّ أبناءَ الشقاوةِ والخطوبِ
 أنشودةَ تَهَبُ العزاءَ لكلِّ مُبْتَسِرٍ غريبِ
 فالطيرُ قد أغفتْ ، وأسكتَ صوتُها الليلُ الهَيُوبِ

وابسط جناحك في الوجود، فإنته عذب، خلّوب
 متألّق بين النجوم ، كأنه حلّم طروب
 وانتشر ضياءك ساطعاً ، لبنيّ أعماق القلوب
 فعلى جوانبها من الأحزان ديجور رهيب

* * *

ما للغياء نقيّة حولي ، وينبوعي مشوب؟
 ما للصباح يعود للدنيا ، وصنّحي لا يؤوب؟
 ما لي بضيق بيّ الوجود ، وكلّ ما حولي رحيب؟
 ما لي وجّمت وكلّ ما في الغاب مفترّد طروب؟
 ما لي شقيت ، وكلّ ما في الكون أخاذ عجيب :
 في الأرض أقدام الربيع تلامس السهل الجديب

فإذا به يحيا ، وينبت رائق الزهر الرطيب
وهناك أنوار النهار تَطلُّ من خلف الغروب
فتغضب الأمواج ، والآفاق ، والجبل الحُصيب
إنَّ الوجودَ الرُحْبَ ، والغاباتِ ، والأفقَ الحُضيب
لَمْ تحبْ أشواق الحياة بها ، فغادرها القُطوب
أما أنا ففقدتها ، والليل مُرْبَدٌ ، رهيب
والريحُ تعصفُ بالورود...، فَمِشْتُ سَغرِيَّةَ الخطوب..

* * *

مها تضاحكت الحياة فلأنني أبدا كُتِيبُ
أصني لأوجاع الكتابة ، والكتابة لا تحيب

في مهجتي تتأوهُ البلوى ، ويمتلج النسيب
ويضجُ جبارُ الأسى ، وتجيش أمواج الكروب
إنّني أنا الرُّوحُ الذي سبّطلَ في الدنيا غريب
ويميش مضطلماً بأحزان الشيبة والمشيّب .

١٣ جمادي الأولى ١٣٤٧

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

قلت للشعر

أنت يا شعر ، فِلْذَةٌ من فؤادي
تتغنّى ، وقطعةً من وجودي
فيك ما في جوانحي من حنينٍ
أبديّ إلى صميم الوجود
فيك ما في خواطري من بكاء
فيك ما في عواطفي من نشيد

فيك ما في مشاعري من وُجومِ
 لا يُفَنِّتِي ، ومن سرور عهيد
 فيك ما في عوالي من ظلامِ
 سرمديّ ، ومن صباحٍ وليد
 فيك ما في عوالي من نجوم
 ضاحكات خلف الغمام الشرود
 فيك ما في عوالي من ضباب
 وسراب ، ويقظة ، وهجود
 فيك ما في طفولتي من سلامِ
 وابتناسٍ ، وغبطةٍ ، وسعود
 فيك ما في شبّيتي من حنينِ
 وشجون ، وبهجة ، وجود

فيك - إن عاتق الربيع فؤادي -

تلتفتني سنابلي وورودي
ويغني الصباح أنشودة الحب ،

على مسمع الشباب السعيد
ثم أجنني في صيف أحلامي

الساحر ما لذت من ثمار الخلود
فيك يبدو خريف نفسي مكلولا ،

شاحب اللون ، عاري الأملود
جللته الحياة بالحزن الدا

مي وغشته بالفيوم السود
فيك يشي شتاء أيتامي البا

كي ، وتُرغي صواعقي ورعودي

وتجنّف الزمور في قلبي الدا
 جي وتهوي إلى قرار بعيد
 أنت يا شعر قصّة عن حياتي
 أنت يا شعر صورة من وجودي
 أنت يا شعر- إن فرحت- أغار يدي
 - وإن غنت الكأبة - عودي
 أنت يا شعر كأس خمر عجيب
 ألهي به خلال اللحد...!
 الحمّاء في الصباح ، لأنسى
 ما تقضى في أمسيّ المفقود
 وأناجيه في المساء ، ليُلهيني
 مرآة عن ظلام الوجود

أنا لولاك لم أطق عنتَ الدهر،
ولا فرقة الصباح السعيد
أنت ما نلتُ من كهوف الليالي
وتصفحت من كتاب الخلود
فيك ما في الوجود من حلكِ دا
جٍ ، وما فيه من ضياء بعيد
فيك ما في الوجود من نغم
حلو ، وما فيه من ضجيج شديد

فِيكَ مَا فِي الوجود من جبل وعري ، وما فيه من حضيض وهيد
 فِيكَ مَا فِي الوجود من حسل ، يُدْمِي ، وما فيه من غضب الورد
 فِيكَ مَا فِي الوجود .. حَبُّ بَنِي الأَرْضِ قَصِيدِي ، أَمْ لَمْ يُحِبُّوا قَصِيدِي
 فسواءٌ عَلَى الطيور - إِذَا غَنَّتْ - هُتَافُ السُّورِ والمستعبد
 وسواءٌ عَلَى النجوم - إِذَا لَاحَتْ - سَكُونُ الدُّجَى وقصفُ الرعود
 وسواءٌ عَلَى النسيم أَيْ القفر تَغْنَى ، أَمْ بَيْنَ غُضِّ الورد
 وسواءٌ عَلَى الورد أَيْ القيران فاحت ، أَمْ بَيْنَ نَهْدٍ وجيد .

١٣ جمادى الأولى ١٣٤٧

٢٨ أكتوبر ١٩٢٨

يا ابن آدم

'خلقتَ طليقاً كطيف النسيم ، وحرراً كنور الضحى في سماء'
تفرّد كالطير أين اندفعت ، وتشدو بما شاء وحي' الإله
وتمرحُ بين ورود الصباح ، وتنعم بالنور ، أنسى وراء
وتمشي - كما شئتَ - بين المروج ، وتقطف ورد الرُبى في رباه

* * *

كذا صاغك الله يا ابن الوجود، وألقنك في الكون هذي الحياة

فمالك ترضى بذلّ العبود ، وتحنى لمن كبلوك الجباه ؟
 وتُسكتُ في النفس صوت الحياة القويّ إذا ما تغنّى صداه ؟
 وتطبق أجفانك النبرات عن الفجر ، والفجرُ عذبٌ ضياء ؟
 وتقنع بالعيش بين الكهوف ، فأين النشيد ؟ وأين الإياه ؟
 أنتحى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور الفضا في ضحاه ؟
 ألا انهضْ وسر في سبيل الحياة ، فمن نام لم تفتظِرْهُ الحياة ؟
 ولا تحشَ ممّا وراء التلاع ... فما ثَمَّ إلا الضحى في صباه ...
 وإلا ربيعُ الوجود الغرير ، يطرزُ بالوردِ ضافي رداء ...
 وإلا أريجُ الزهور الصّباح ، ورقصُ الأشعة بين المياه ...
 وإلا حَمَامُ المروج الأنيق ، يغرّدُ ، منطلقاً في غناه ...
 إلى النور ! فالنور عذبٌ جميلٌ ، إلى النور ! فالنور ظلُّ الآله .

١٠ رمضان ١٣٤٧

٢٠ فيفري ١٩٢٩

اغاني الدانه

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،
وبحارٌ ، لا تُغشّيها الغيومُ
وأناشيدٌ ، وأطيّارٌ تحوم
وربيعٌ ، مشرقٌ ، حلوٌ ، جميلٌ
كان في قلبي صباحٌ ، وإياه
وابتساماتٌ ، ولكن... وأأساه!

آه ! ما أهولَ إعصارَ الحياة !

آه ! ما أشقى قلوب الناس ! آه !

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ ،

فإذا الكلُّ ظلامٌ وسديمٌ ...

كان في قلبي فجرٌ ، ونجومٌ

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟

قد تقضى العمرُ والفجرُ بعيدُ

وطغى الوادي بمشوبِ النواحِ

وانقضتْ أنشودة الفصل السعيد

أين نايي ؟ هل ترامته الرياح ؟

أين غابي ؟ أين حراب السجود .. ؟

خبروا قلبي - فما ألقى الجراح -
كيف طارتْ نشوة العيش الحميد ؟

يا بني أمي ! ترى أين الصباح ؟
أوراء البحر ؟ أم خلفَ الوجود ؟
يا بني أمي ! ترى أين الصباح !

* * *

ليت شعري ! هل ستليني الغداة
وتُعزِّيني عن أمس الفقيـد
وتربني أن أفراح الحياة
'زمر' تمضي ، وأفواج تمود
فإذا قلبي صباح ، وإياه .. ،
وإذا أحلامي الأولى ورود .. ،

وإذا الشعرور حلو النغمات . ،

وإذا الغاب ضياءً ونشيد .. ؟

ليت شعري ! هل ستسليني الغداة

أم ستنساني ، وتبقيني وحيد ؟

ليت شعري ! هل تعزّيني الغداة ؟

١٥ شوال ١٣٤٧

٢٧ مارس ١٩٢٩

الو قلبی الحاله

ما لآفاقك يا قلبي سوداً ، حالكات ؟
ولأورادك بين الشوك صفراً ، ذابوات ؟
ولأطسارك لا تلتغو ؟ فأين النسمات ؟
ما لزمارك لا يشدو بغير الشبهات ؟
ولأوتارك لا تحفّق إلا شاكيات

ولأنغامك لا تنطق إلاّ بكيات
ولقد كانت صباحَ الأمس بين النسمات
كعذارى الغاب ، لا تعرف غير البسات ؟
هو ذا يا قلبيّ البحر ، وأمواج الحياة !
هو ذا القارب مشدودا إلى تلك الصفاة !
هو ذا الشاطئ ! لكنّ أين ربّانك ؟ مات !
أين أحلامك يا قلبيّ ؟ لقد فات الفوات !
تلك أطيّارٌ أنيقاتٌ ، طيرابٌ ، فرحات
غرّدتٌ ، ثم توارتٌ في غيابات الحياة

* * *

أنت يا قلبيّ قلبٌ ، أنضجته الزفرات
أنت يا قلبيّ عُشٌّ ، نفرت عنه القطاة

فأطارقه إلى النهر الرياحُ العاتيات
فهو في التيار أوراق ، وأعواد عُرّة
أنت حقلٌ مُجذّبٌ ، قد هزأت منه الرعاة
أنت ليلٌ مُعتِمٌ ، تندب فيه الباكيات
أنت كهف مظلمٌ ، تأوي إليه البائسات
أنت صرّحٌ ، شاده الحبُّ على نهر الحياة
لِبَنَاتِ الشمر .. ، لكن قوّضته الحادقات
أنت قبرٌ ، فيه من أيامي الأولى رُفات
أنت عودٌ ، مزقتْ أوتارَه كفُّ الحياة
فهو في وحشته الخرساء بين الكائنات
صامتٌ كالقبر ، إلا من أنينِ الذكريات
أنت لحنٌ ساحرٌ ، يخبط في التّبرِ المَوَات

أنت أنشودة' فَجَرِير...، رتلتها الظلمات...

* * *

أيها الساري مع الظلمة ، في غير أناة
مُطرقاً ، يخبِطُ في الصحراء ، مكبوح الشكاة
تَهْتَ في الدنيا ، وما أُبْتُ بغير الحسرات
صلِّ يا قلبي إلى الله ، فإنَّ الموت آت
صلِّ فالنَّازعُ لا تبقى له غير الصلاة

١٠ ذو القعدة ١٣٤٧

٢٠ أفريل ١٩٢٩

اكفرت يا قلبي فماداً تروم

يا قلبي الدامي ! إلّامَ الوجوم ؟
يكفيك ! إنّ الحزن فظٌ ، غشوم
هذي كغوسي مُرّة كالردي
ما ملئُها إلّا عصير الهموم
وذاك نابي صامتٌ ، واجمٌ

يُصْغِي إِلَى صَوْتِ الْغَرَامِ الْقَدِيمِ
يَا قَلْبِي الْبَسَاكِي إِلَامَ الْبُكَاءِ ؟
مَا فِي فِضَاءِ الْكَوْنِ شَيْءٌ يَدُومُ
فَانْتَشِرْ غُبَارَ الْحُزْنِ فَوْقَ الدَّجَى
وَاسْمِعْ إِلَى صَوْتِ الشَّبَابِ الرَّخِيمِ
وَانْقُرْ عَلَى دَفِّ الْهَوَى لِحَنَهُ
وَارْقِصْ مَعَ النُّورِ الضَّعُوكِ الْوَسِيمِ
يَا قَلْبِي الدَّاجِي ! إِلَامَ الْوَجُومِ ؟
إِنْ أَسْمُ أَلْسُنٍ قَلْبِي فَمَنْ ذَا أَلُومِ ؟
مَالِكَ لَا تُصْغِي لِغَيْرِ الْأَسَى ؟
مَالِكَ لَا تَسْرَتُوْهُ لِغَيْرِ الْكَلُومِ ؟
مَالِكَ قَدْ أَصْبَحْتَ لَا تَصْرِفُ الْآيَاتِمَ

إلا في شِعَاب الجحيم ؟
 أما ترى البلبل في غابه
 يشدو وفوق الغاب تخطو النجوم ؟
 أما ترى الأسفار تبده بها للغابات
 كالأحلام - خلَّبَ السديم
 أما ترى الآمال في سحرها ؟
 أما ترى الليل يناغي النجوم ؟
 يا قلبي الداجي ! إلامَ الوجوم ؟
 أكثرتَ يا قلبي ، فماذا تروم ؟
 هل تحسبُ الأيامَ في زحفيها
 ورثي لمن قد هدمته الرجوم ،
 كلا ! فإنَّ الدهر يمضي ولا

يلوي على ما خلفه من كلم
 والم لا يرني لمن طمه
 والسيل لا يبكي لنوح الهيم
 والمعاصف الجبار في سخطه
 لا يرحم الفصن ، الرشيق ، القويم
 هذي هي الدنيا فماذا الأسى
 يا قلبي الدامي ، وماذا الوجوم ؟

١٢ صفر ١٣٤٨

٢٠ جويلية ١٩٢٩

يا موت

هي صرخة من صرخات نفسي الملوثة
بالاحزان والذكريات ، وشظية من شظايا هذا
القلب المحطم على صخور الحياة ، قلتها في أيام
الأسى التي تلت نكبتني بوفاة الوالد ، رحمه الله .

يا موت ! قد مزقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاء ظهري
ورميتني من حالي ، وسخّرتَ مني أيّ سخر

قلبشتُ مرضوضَ الفؤاد أجرُ أجنحتي بذُعر ...
 وقسوتَ إذ أبقيتني في الكون أذرعُ كلِّ وعُر
 وفجعتني فيمن أحبَّ ، ومن إليه أبثُ سري
 وأعدّه ، فجري الجيلَ ، إذا ادلهم علي دهرِي
 وأعدّه ، ورُدِّي ، ومزماري ، وكاساتي ، وخمري
 وأعدّه ، غابي ، ومحراي ، وأغنيي ، وفجري ...
 ورزأتني في عمدي ، ومشورتني في كل أمر
 وهدمتَ صرحاً ، لا ألوذ بغيره ، وهتكت سدي
 وفقدتُ روحاً ، طاهراً ، شهياً ، يبيش بكلّ خير
 وفقدتُ قلباً ، منه أن يستوي في الأفق بدري
 وفقدتُ كفاً ، في الحياة يصدُّ عنِّي كلَّ شرّ
 وفقدتُ وجهاً ، لا يُعبّسه سوى حزني وضُرِّي

وفقدتُ نفسي، لا تنسي عن صون أفراسي وبشري
وفقدتُ ركني في الحياة ، ورايتي ، وعماد قصري

* * *

يا موت ! قد مزقتَ صدري
وقصمتَ بالأرزاء ظهري
يا موت ! ماذا تبغني مني وقد مزقتَ صدري ؟
ماذا تودُّ ، وأنت قد سوّدتَ بالأحزان فكري
وتركتني في الكائنات أئنُّ ، منفردا بإصري
وأجوبُ صحراء الحياة، أقول : «أين قُراءُ قبري؟»
ماذا تودُّ من المعضب في الوجود بغير وزرٍ؟
ماذا تودُّ من الشقي بعيشه ، النكيد ، المضّر ؟
إن كنتَ تطلبني فهاتِ الكأسَ ، أثربها بصبر

أَوْ كُنْتَ تَوَقَّبَنِي فَهَاتِ السَّهْمَ ، أُرْشِقُهُ بِنَحْرِي
 خُذْنِي إِلَيْكَ ، فَقَدْ تَبَخَّرَ فِي فِضَاءِ الْهَمِّ عُمْرِي ...
 وَتَهَدَّلْتُ أَغْصَانُ آبَائِي ، بِلَا ثَمَرٍ وَزَهْرٍ
 وَتَنَاسَلَتْ أَوْرَاقُ أَحْلَامِي عَلَى حَكِّ الْمَرِّ ...
 خُذْنِي إِلَيْكَ ! فَقَدْ ظَلِمْتُ لِكَأْسِكَ ، الْكَدِيرِ ، الْأَمْرِ ...
 خُذْنِي فَقَدْ أَصْبَحْتُ أَرْقُبُ فِي فِضَاكَ الْجَوْنَ فَجَرِي
 خُذْنِي ، فَمَا أَشْقَى الَّذِي يَقْضِي الْحَيَاةَ بِمِثْلِ أَمْرِي ...

* * *

يَا مَوْتَ ! قَدْ مَزَقَّتْ صَدْرِي
 وَقَصَمَتْ بِالْأَرْزَاءِ ظَهْرِي

يا موت ! قد شاع الفؤاد، وأقفرت عَرَصَاتُ صدري
وغدوتُ أمشي مطرقاً من طول ما أثقلت فكري
يا موت ! نفسي ملّت الدنيا ، فهل لم يأت دوري ؟

٢٦ ربيع الثاني ١٣٤٨

غرة أكتوبر ١٩٢٩

لِلّوَالله

تعرض لقلب الإنسان الذي لا تفتحي أطواره أزمات نفسية فائرة ، يعصف فيها الألم والفنوط بكل حقائق الحياة ، وتزعزع معها كل قواعد الإيمان والحق والجمال ، فيشهر المرء كأنما انبت ما بينه وبين الكائنات من وشائج الرحم والقربى ، فأصبح غريباً في هاته الدنيا الغريبة في نفسه ، وكأنما الحياة فنّ من العبث المرعب الملّ الذي لا يجدر بالعطف ولا بالبقاء . ولكن من رحمة الأقدار أنها حال عارضة لا تدوم إلا كما تدوم عاصفة البحر . تكدر صفاءه ، وتحيل جماله إلى شناعة ، وأنغامه إلى عويل ، وانسجامه إلى فوضى ، ثم تفر العاصفة وتسكن ويرجع البحر إلى ذرقته الصافية ، وألحافه المتزنة . وجماله الساحر الأبدي . وتحت تأثير هذه الحالة النفسية الجارحة نظمت القصيد التالي ، ونفسي سكرى بأحزانها الدامية وآلامها المتشحة بالهيب .

يا إله الوجود ! هذي جراح
في فؤادي، تشكو إليك الدواهي
هذه زفرةٌ يُصعّدها الهمُّ
إلى مسمع الفضاء السامي
هذه مهبجة الشقاء تناجيك
فهل أنت سامع يا إلهي ؟
أنتَ أنزلتني إلى ظلمة الأرض
وقد كنتُ في صباح زاه
كالشعاع الجميل، أصبحُ في الأفق
وأصغي إلى خرير المياه
وأغشي بين الينابيع للفجر
وأشدو كالليل النسياء

أنتَ أوصَلتني إلى سبيل الدنيا
 ومهّدي كثيرة الاشتباه
 ثم خلّفتني وحيدا ، فريدا
 بين داعٍ من الرياح وناء
 أنتَ أوقفتني على لُجّة الحزن
 وجرت عني مرارة دآء ! ،
 أنتَ أنشأتني غريبا بنفسي
 بين قومي ، في نشوتي وانتباهي
 أنتَ كرمّمتني الحياة وما فيها
 وحبّبتني جُودَ السامي
 أنتَ جبّلتَ بين جنبي قلبا
 سرمدِيّ الشّعور والانتباه

عبقرى الأسمى : تعذيبه الدنيا
 ونشجيه ساحرات الملامى !
 أنت عذبني بدِفْشِ حشبي
 وتعتبتني بكلِّ الدواهي
 بالأسمى ، بالقام ، بالهم ، بالوحشة ،
 بالباس ، بالشقا ، المتناهي
 بالنايا نقتال أشهى أماني
 وتذوي محاجري ، وشفاهي
 فإذا من أحب حفة تُرَب
 ناقة ، من ترايب وجباه
 وإذا فتنة الحياة وسحر الكون
 ضرب من الغمام الزاهي

يتلأأ فوق الحظم : ويبقى اليم^ه
كالعهد مُزِيدَ الأمواه .

* * *

يا إله الوجود ! مالك لا ترثي
لحزن المذنب الأواه ؟

قد تأوّهتُ في سكون الليالي
ثم أطبقتُ في الصباح شفاهي

وتغزّلتُ بالحياة ، وبالحب ، وغنّيتُ كالسعيد اللاهي
وزرعتُ الأحلام في قلبي الدامي ، وحوّطتها بكلّ انتباهي
ثمّ لما حصّدتُ لم أجنّ إلاّ الشوك ، ماذا ترى فعلتُ ؟ إلهي !

* * *

يا رباح الوجود ! سيري بعنف
 وتغنّي بصوتك الأواه
 وانفحني من روحك الفخّم ما يُبلّغ
 صوتي آذانَ هذا الإلاه
 فهو يُصفي إلى القوي ، ولا يُصفي لصوتٍ بين العواصف راه
 وانثري الوردَ للثلوج بدّاداً
 واصعقي كلّ بلبل تَبَاه
 فالوجود الشقيّ غير جدير
 بالأغاني ، وبالجمال الزّاهي
 واسعقي الكائناتِ كونا بكونٍ ، قبل أن تنتهي أذلّ تناء
 فالإلاه العظيم لم يخلق الدنيا
 سوى للفناء تحت الدواهي

يا ضمير الوجود ! يا عالم الأرواح ! يا أيها الفضاء السامي !
يا خضم الحياة ، يزخر في الآفاق في التراب ، في قرار المياه !
خبروني ، هل للورى من إله ، راحم - مثل زعمهم - أو آه
يخلق الناس باسماء ، ويواسيهم ، ويرنو لهم بعطف إلهي
ويرى في وجودهم روحه السامي ، وآيات فنه المتناهي
إنني لم أجده في هاته الدنيا ، فهل خلف أفقها من إله ؟ !
ما الذي قد أتيت يا قلبي الباكي ؟ ! وماذا قد قلت يا شفاهي
يا إلهي ؟ قد أنطق لهم قلبي بالذي كان .. ، فاعترف يا إلهي !
قدم اليأس والكآبة دانت قلبي المتشعب ، الغريب ، الواهي
فتشظني ، وتلك بعض شظايا .. ، فسامح قنوطه المتناهي
فهو يا رب مصد الحق ، والإيمان والنور والنقاء الإلهي
وهو ناي الجمال ، والحب ، والأحلام ، لكن قد حطمت الدواهي

٢٥ جمادي الاول ١٣٢٨

٢٩ أكتوبر ١٩٢٩

النبي المجهول

أهـا الشعب ! ليتني كنتُ حطاباً
فأهـوي على الجذوع بفأسي !
ليتني كنت كالسيول ، إذا سالت
تهـدُ القبورَ : رماً برمس !
ليتني كنت كالرياح ، فأطوي
كلَّ ما يخنق الزهور بنحسي !

ليتني كنت كالشَّاء ، أُغَشِّي
 كلَّ ما أذبلَ الحَريفُ بِقرسي !
 ليت لي قوَّةَ العواصف ، يا شعبي
 فأُلقِي إِلَيْكَ ثُورَةَ نَفسي !
 ليت لي قوَّةَ الأعاصير ، إن ضَعُفْتُ
 فأدعرك للحياة بنبسي !
 ليت لي قوَّةَ الأعاصير .. ! لكن
 أنت حيٌّ ، يقضي الحياة برمس .. !
 أنت رُوحٌ غَيبِيَّةٌ ، تَكره النُّورَ ،
 وتقضي الدهورَ في ليلٍ مَلس ..
 أنت لا تدرك الحقائق إن طافتْ
 حوالبك دونَ مَسِّ وجس ...

في صباح الحياة ضُمَّخْتُ أَكْوَابِي
 وَأَتَوَعَّضْتُهَا بِخُمْرَةِ نَفْسِي ...
 ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ ، فَأَهْرَقْتُ
 رَحِيْقِي ، وَدَسْتُ يَاسَعْبُ كَاسِي !
 فَتَلَلْتُ .. ثُمَّ أَسَكْتُ آلَامِي ،
 وَكَفَفْتُ مِنْ شُعُورِي وَحَمِي
 ثُمَّ نَضَدْتُ مِنْ أَزَاهِيرِ قَلْبِي
 بَاقَةً لَمْ يَمَسَّهَا أَيُّ إِنْسِي ..
 ثُمَّ قَدَمْتُهَا إِلَيْكَ ، فَمَزَقْتُ
 وَرُودِي ، وَدَسْتُهَا أَيُّ دَوْنِي
 ثُمَّ أَلْبَسْتُ مِنَ الْحَزَنِ ثَوْبًا
 وَبَشُوكَ الْجِبَالِ تَوَجَّعَ رَأْسِي

* * *

إنّني ذاهبٌ إلى الغاب ، يا شعبي
لأقضي الحياة ، وحدي ، بيأس

إنّني ذاهب إلى الغاب ، عليّ
في صميم الغابات أدفن بؤسي
ثم أنساك ما استطعت ، فما أنتَ
بأهلٍ لحرّتي ولكأني

سوف أتلو على الطيور أناشيدي ،
وأفضي لها بأشواق نفسي

فهي تدري معنى الحياة ، وتدري
أنّ مَجْدَ النفوس بقِطْعةُ حسّ
ثمّ أقضي هناك ، في ظلمة الليل ،
وَأَلْقِي إلى الوجود بيأسي

ثم تَحَدَّثُ الصَّنَوْبَرُ ، الناصر ، الحلو ،
 تَخُطُّ السُّيُولُ حَفْرَةَ رَمْسِي
 وَتَظَلُّ الطُّيُورُ تَلْعَوُ عَلَى قَبْرِ
 وَيَشْدُو النِّسَمُ فَوْقِي بِهِمْ
 وَتَظَلُّ الْفُصُولُ تَمُشِي حَوَالِي ،
 كَمَا كُنَّ فِي غَضَارَةِ أَمْسِي
 أَيُّهَا الشَّعْبُ ؟ أَنْتَ طِفْلٌ صَغِيرٌ ،
 لَاعِبٌ بِالْأُتْرَابِ وَاللَّيْلِ مُغْنِسٌ !
 أَنْتَ فِي الْكَوْنِ قُوَّةٌ ، لَمْ تَسُئْهَا
 فِكْرَةً عِبْقَرِيَّةً ، ذَاتَ بَأْسٍ
 أَنْتَ فِي الْكَوْنِ قُوَّةٌ ، كَبَّلْتَهَا
 ظِلْمَاتُ الْعُصُورِ ، مِنْ أَمْسٍ أَمْسٍ ..

والشقيّ الشقيّ من كان مثلي
في حساسيتي ، ورقّة نفسي

* * *

هكذا قال شاعرٌ ، ناولَ الناسَ
رحيقَ الحياة في خير كأس
فأشاحوا عنها ، ومرّوا غضاباً
واستخفّوا به ، وقالوا بيأس :
« قد أضاع الرشاد في ملعب الجن
فيا بؤسه ، أصيب بمن »
« طالما خاطبَ العواطفَ في الليل
وتأجى الأموات في غير رمس »
« طالما رافقَ الظلامَ إلى الغاب
ونادى الأرواحَ من كلّ جنس »

« طالما حدثَ الشياطين في الوادي ،
 وغنى مع الرياح يجرس ،
 « إنّه ساحرٌ ، تملّقه السحرُ
 الشياطينُ ، كلُّ مطلعِ شمس ،
 « فأبعدوا الكافرَ الخبيثَ عن الهيكل
 إنَّ الخبيثَ منبعٌ رجس ،
 « أطرده ، ولا تُصيخوا إليه
 فهو روحٌ شريرةٌ ، ذاتِ نحس ،

* * *

هكذا قال شاعرٌ فيلسوف ،
 عاش في شعبه الفبيّ بتعش
 جهلَ الناس روحه ، وأغانيها
 فساموا شعوره سونم بنحس

فهو في مذهب الحياة نبي
 وهو في شعبه مصاب بمس
 هكذا قال ، ثم سار إلى الغاب ،
 ليحيا حياة شعر وقُدس
 وبعيداً .. ، هناك .. ، في معبد الغاب
 الذي لا يُظلمه أيّ بؤس
 في ظلال الصنوبر الحلو ، والزيتون
 يقضي الحياة : حرّاً بحرس
 في الصباح الجميل ، بشدو مع الطير ،
 ويمشي في نشوة المتحسّي
 نافخاً نايه ، حوالبه ، تهتز
 ورود الربيع من كلّ قنس

شَفَرُهُ مُرْسَلٌ ، تداعبه الريحُ
 على منكبيه مثل الدمقس
 والطيورُ الطرابُ تشدو حواله
 وتلفو في الدوح ، من كل جنس
 وتراه عند الأصيل ، لدى الجدول ،
 يرنو للطائر المتحسي
 أو يغنسي بين الصنوبر ، أو يرنو
 إلى سُدْفَةِ الظلام الممسي
 فإذا أقبل الظلامُ ، وأمستُ
 ظلماتُ الوجود في الأرض قُسُفي^(١)
 كان في كوخه الجميل ، مقبلاً
 يسأل الكون في خشوع وهمس
 (١) أغشى الليل : أظلم .

عن مصب الحياة ، أين مداه ؟
وصميم الوجود ، أيتان يُرسي ؟
وأريج الورود في كل وادٍ
ونشيد الطيور ، حين تمسي
وهزيم الرياح ، في كل فجٍّ
ورسوم الحياة من أمس أمس
وأغاني الرعاة أين بنوارها
سكون الفضا ، وأيتان تمسي ؟؟

* * *

هكذا يصرف الحياة ، ويُنفي
حلقات السنين : حرسا بحرس
يا لها من معيشة في صميم الغاب
تُضحى بين الطيور وتمسي !

يا لها من معيشة ، لم تُدَنَّسْها
نفوس الوري بـجُثِّ ورجس
يا لها من معيشة ، هيَ في الكون
حياة غريبة ، ذات 'قدس

٢٠ شعبان ١٣٤٨

٢١ جانفي ١٩٣٠

يا قلب! كم فيك من 'دنيا' محجبة
كانتها ، حين يبدو فجرها 'إرَم' (١١)

(١) ارم : مدينة اسطورية احاطتها الحرافات بجو خيالي مسحور ،
فزعت أنها بنيت على ضفة الجنة : أرضها من مسك وقصورها من خالص الذهب
واللؤلؤ والرجان ، وسماؤها من سحر مرصع بالأحلام ... ، وأنها لا زالت الى
يومنا هذا في صحراء العرب ، ولكنها محجوبة لا يراها أحد .

يا قلب! كم فيك من كونٍ، قد انتقدت
 فيه الشمسُ وعاشت فوقه الأممُ
 يا قلب! كم فيك من أفقٍ، تستقبه
 كواكبٌ تتجلى ، ثمّ تنعدمُ
 يا قلب! كم فيك من قبرٍ ، قد انطقات
 فيه الحياةُ ، وضجت تحتها الرّممُ
 يا قلب! كم فيك من غابٍ ومن جبلٍ
 تندوي به الريحُ أو تدمو به القِدمُ
 يا قلب! كم فيك من كهفٍ قد انبجست
 منه الجداولُ تجري ما لها لجُمُ
 تمّي . فتحملُ غصنا مُزهرا نَضِرا
 أو رَزْدَةً لم تُشَوِّهْ حُسنها قَدَمُ

أَوْ نَحْلَةً جَرُّهَا التَّيَّارُ مُنْدَقِمًا
 إِلَى الْبَحَارِ ، تُفْتِي فَوْقَهَا الدَّيْمُ
 أَوْ طَائِرًا سَاحِرًا مَيَّنَا قَدْ انْفَجَرَتْ
 فِي مُقْلَتَيْهِ جِرَاحٌ جُمَّةٌ وَدَمٌ
 يَا قَلْبُ ! إِنَّكَ كَوْنٌ مُدْهِشٌ عَجَبٌ
 إِنَّهُ يُسْأَلُ النَّاسُ عَنْ آفَاقِهِ يَجِئُوا
 كَأَنَّكَ الْأَبَدُ الْمَجْهُولُ .. ، قَدْ عَجَزَتْ
 عَنْكَ النَّهْيُ ، وَاكْفَهَرَتْ حَوْلَكَ الظُّلُمُ

* * *

يَا قَلْبُ ! كَمْ مِنْ مَسْرَاتٍ وَأَخْيَلَةٍ
 وَلَذَّةٍ ، يَتَحَامَى ظِلُّهَا الْأَلَمُ
 غَنَّتْ لِفَجْرِكَ صَوْتًا حَالِمًا ، فَرِحَا ،
 نَشْوَانًا ثُمَّ تَوَارَتْ ، وَانْقَضَى النِّعَمُ

وكم رأى لَيْلِكَ الأشباحَ هائمةً
 مذعورة قتهاوى حولها الرُّجُمُ
 ورفرفَ الألمُ الدامي ، بأجنحة
 من اللهب ، وأنَّ الحزنُ والنَّدَمُ
 وكمُ مشى فوقك الدنيا بأجمعها
 حتَّى توارتْ ، وسار الموتُ والعدمُ
 وشبَّدتْ حولك الأيامُ أبنيةً
 من الأفاشيد قُبْنَى ، ثم تنهدمُ

* * *

تمضي الحياةُ بماضيها ، وحاضرها
 وتذهبُ الشمسُ والشيطانُ والقمرُ

وَأَنْتَ، أَنْتَ الْخِضْمُ الرَّحْبُ ، لَا فَرَحُ
يَبْقَى عَلَى سَطْحِكَ الطَّاعِي ، وَلَا أَلَمُ

* * *

يَا قَلْبُ ! كَمْ قَدْ غَلَبْتَ الْحَيَاةَ ، وَكَمْ
رَقَصْتَهَا مَرَحًا مَا مَسَكَ السَّامُ

وَكَمْ تَوَشَّعْتَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ شَفَقٍ
وَمِنْ صَبَاحٍ تَوْشِي ذَيْلَهُ السُّدُمُ

وَكَمْ فَسَجْتَ مِنَ الْأَحْلَامِ أُرْدِيَّةَ
قَدْ مَزَّقَتْهَا اللَّيَالِي ، وَهِيَ تَبْتَسِمُ

وَكَمْ ضَفَرْتَ أَكَالِيلًا مُورَدَّةَ
طَارَتْ بِهَا زَعَزَعٌ تَدْوِي وَتَعْتَدِمُ

وكمّ رسمت رسوماً ، لا تشابهها
هذي العوالم ، والأحلام ، والنظم
كانها ظلل الفردوس ، حافية
بالخور ، ثم تلاشت ، واختفى الخلس

* * *

تبلو الحياة فتبليها وتخلعها
وتسجد حياة ، ما لها قدم
وأنت أنت شباب خالد ، نضير
مثل الطبيعة : لا شيب ولا هرم

٢٠ رمضان ١٣٤٨

١٩ فيفري ١٩٣٠

صفحة من كتاب الدموع

غناه الأمس ، وأطربه وشجاء اليوم ، فما غده ؟
قد كان له قلب ، كالطفل ، يدُ الأحلام تهدئده
مُنْ كان له ملكٌ في الكون جميلُ الطلعة ، يعبد
في جَوْفِ الليل ، يناجيه وأمامَ الفجر ، يحجده
وعلى الهضبات ، يغشيه آياتِ الحب ، ويُنشده

لولا لما عذبت في الكون مصادره وموارده
ولمّا فاضت بالشعر الحبي مشاعره وقصائده
تمشي في الغاب فتتبعه أفراح الحب ، وتنفسه
ويرى الأفاق فيُبصرها زمرأ في النور ، تراصده
ويرى الأطيّار ، فيحسبها أحلام الحب تفرده
ويرى الأزهار ، فيحسبها بساتين الحب توادده
فيخال الكون يناجيه ! وجمال العالم يسعده !
ونجوم الليل تضاحكه ! ونسيم الغاب يطاردده !
ويخال الورد يداعبه فرحاً ، فتعابشه يده ..
ويرى ينبوع ، ونضرتّه ، ونسيم الصبّح يجعده
وخرير الماء له نغمٌ نسائم الغاب تردده
ويرى الأعشاب وقد سمقت بين الأشجار تشاهده

وَنِطَافُ الطِّفْلِ تُنَمِّقُهَا فَيَجِلُّ « الحب » ويحمده

* * *

يا للأبتام ! فككم سرّتْ قلوبنا في الناس لتكده
هي مثل العاهر ، عاشقُها تسقيه الخمر .. ، وتطرده !
يعطيك اليوم حلاوتها كالشهد ، ليسلبها غدّه !

* * *

بالأمس يعانقها فرحاً ويضاجعُها ، فتوسّده
واليوم ، يسابرُها شبحاً أضناه الحزن ، ونكّده
يتلو في الغاب مراثيه وجدوع السُرورِ تسانده
وبماشي الناس ، وما أحد منهم يشجيه تفرّده
في ليل الوحشة مسرّاه وبكهف الوحدة مرقده

أصوات الأمس تمذّبه وخيال الموت 'يهدّده

* * *

بالأمس له شفقٌ في الكون يضيءُ الأفق تورّده
واليومَ ، لقد غشاه الليلُ فما في العالمِ يُسمّده
غشاه الأمسُ وأطربه وشجاه اليومُ ، فما غده؟

١٠ محرم ١٤٢٩

٧ جوان ١٩٣٠

إلى عذارى أفروديت

الجمال المنغود

يا عذارى الجمال، والحب، والأحلام،
بل يا بهاء هذا الوجود !
قد رأينا الشعور منسدلاتٍ
كَلَلْتِ حَسَنَهَا صَبَاحُ الورود

ورأينا الجفون تبسم .. ، أو تحلم
بالنور ، بالهوى ، بالفتيد ...

ورأينا الحدودَ ، ضرجَها السَّحَرُ ،
فأما من سحر تلك الحدود !

ورأينا الشفاءَ تبسم عن دنيًا
من الورد غضةٍ ، أملود

ورأينا النهودَ تهتزُّ ، كالأزهار
في نشوة الشباب السعيد

فتنةٌ ، توقف الغرام وتذكّيه ،
ولكن ماذا وراء النهود ؟

ما الذي خلف سحرها الحالم ، السكران ،
في ذلك القرار البعيد .. ؟

أنفوس جميلةٌ ، كطيور الغاب
 تشدو بساحر التفريد
 طاهرات ، كأنها أَرَجُ الأزهار
 في مولد الربيع الجديد ؟
 وقلوبٌ مُضيئةٌ ، كنجوم الليل
 ضواعةٌ ، كفضء الورد ؟
 أم ظلامٌ ، كأنه قِطْعُ الليل ،
 وهولٌ يُثيبُ قلبَ الوليد
 وخِضَمٌ ، بموج بالإثم والنكر ،
 والشر ، والضلال المديد ؟
 لستُ أدري ، فرُبَّ زهرٍ مُذِيٍّ
 قاتل رغم حُسْنِهِ المشهود

صَانَكُنَّ الْإِلَآهَ مِنْ ظِلْمَةِ الرُّوحِ
 وَمِنْ ضِلَّةِ الضَّمِيرِ الْمُرِيدِ
 إِنَّ لَيْلَ النُّفُوسِ لَيْلٌ مُرِيحٌ
 سِرْمَدِي الْأَسَى ، شَنِيعِ الْخُلُودِ
 يَرْزَحُ الْقَلْبُ فِيهِ بِالْأَلَمِ الْمُرِّ ،
 وَيَسْقَى بِعَيْشِهِ الْمُنْكَوْدِ
 وَرَبِيعِ الشَّبَابِ يُنْذِلُهُ الدَّهْرُ ،
 وَيَمْضِي بِحَسَنِهِ الْمَعْبُودِ
 غَيْرَ بَاقٍ فِي الْكَوْنِ إِلَّا جَمَالَ
 الرُّوحِ غَضًّا عَلَى الزَّمَانِ الْأَبِيدِ

٢٢ صفر ١٣٤٩

١٩ جويلية ١٩٣٠

طريق الهاوية

يا عذارى الجمال ، والحب ، والأحلام ،
بل يا بهاء هذا الوجود !
خلق البلبل الجحيل ليشدو
وخلقتن للغرام السعيد
والوجود ' الرحيب ' كالقبر ، لولا
ما تَجَلَّينَ من قُطُوب الوجود

والحياةُ التي تحيرُ لها الأحلامُ
 موتٌ مثقلٌ بالقيود ...
 والشبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسمى
 إلى الموت في طريق كؤو ...
 والربيعُ الجميلُ في هاته الدنيا
 خريفٌ يذوي رفيفَ الورود .
 والورودُ العذابُ في ضفّةِ الجدول
 شوكٌ ، مُصَفَّحٌ بالحديد ...
 والطيورُ التي تغنّي ، وتفضي
 عيشها في ترنّمٍ وغريد ؟
 إنها في الوجود تشكو إلى الأيتام
 عبءَ الحياة بالتفريد ...

والأناشيد ؟ إنها شهباء
تتشتلى من كل قلب عميد ...
صورة للوجود شوهاء ، لولا
شفق الحسن فوق تلك الحدود

* * *

يا زهور الحياة ، للحب أنتن
ولكنه مخيف الورود
فسيل الفرام جم المهاوي
وافر الهول ، مستراب الصعيد
رغم ما فيه من جمال ، وفن
عبري ، ما إن له من مزيد
وأناشيد ، تذكير الملا الأعلى ،
وتشعبي جوانح الجلود

وأريج ، يكاد يذهب بالألباب
 ما بين غامضٍ وشديد
 وسبيلُ الحياة رُحْبٌ ، وأنْتُنْ
 اللواتي قفرشنه بالورود
 إن أردْتُنْ أن يكون بهيجا
 رائع ، سحر ، ذا جمالٍ فريد
 أو بشوكٍ ، يدمي الفضيلة والحب
 ويقضي على بهاء الوجود
 إن أردْتُنْ أن يكون شنيعا ،
 مظلم الأفق ميتَ التفريد

٢٢ صفر ١٣٤٩

١٩ جويلية ١٩٣٠

يا حماد الدين

لقد نام أهلُ العلمِ نوماً مغنطساً
فلم يسمَعُوا ما رَدَّ دَنَّهُ العوالمُ
ولكنَّ صوتاً صارخاً ، متصاعداً
من الروحِ يَدري كنهَ المتصائمِ

سَيُوقِظُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ قَائِمٌ
وَيُنْطِقُ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ هُوَ وَاجِمٌ

* * *

سَكَنْتُمْ حِمَاةَ الدِّينِ اسْكَنَةَ وَاجِمٍ
وَرِغَمَ بِلَاءِ الْجَفَنِ ، وَالصِّلِ دَامِ

سَكَمَ ، وَقَدْ شَمِنْتُمْ ظِلَامًا ، غَضُوْنَهُ
عَلَانِمْ كُفْرٍ قَائِرٍ وَمَعَالِمِ

مَوَاكِبِ الْحَادِ وَرَاءَ سَكُونِكُمْ
تَفْجِجٌ ، وَهِيَ إِنْ الْفَضَاءَ مَا تُمْ

أَفِيقُوا فَلَيلُ النُّومِ وَلَيْ شَبَابُهُ
وَلَا حَتَّ لِلْآلَاءِ الصَّبَاحِ عَلَانِمْ

فدوت ضجيج الفاسقين مكينة
 هي الموت ، مما أورتته التهام
 عوائد تحيي في البلاد نواثبا
 تقد قوام الدين ، والدين قائم
 أفيقوا ، وهبوا هبة ضيغية
 ولا تحجموا ، فالموت في الجبن جائم
 فدوت نقاب الصمت تنمو ملامح
 تبرقت الشر الذي لا يقاوم
 فقد فت في زند الديانة معشر
 آثاروا على الاسلام من قد يهاجم
 فوالحق ، ما هذي الزوايا وأهلها
 سوى مصنع فيه تصاغ السخائم

لحى الله من لم تستثره حبة
على دينه ، إن دأبته العظام

لحى الله قوما ، لم يُبالوا بِأْسْهُمْ
'يُصَوِّها' نحو الديانةِ ظالم

١٦ جمادى الاولى ١٣٤ (١)

(١) هكذا بالأصل المكتوب بخط الشاعر .

شجون

عجبا لي أودُّ أن أفهم الكون، ونفسي لم تستطع فهم نفسي
لم أفيد من حقائق الكون إلا

أنتي في الوجود 'مرقاد' رمس
كل دهر يمرُّ يفجع قلبي
ليت شعري أين الزمان المؤسّي

في ظلام الكهوف أشباحُ شؤمٍ
وبهذا الفضاء أطيانُ نحس
وخلال القصور أفئآتُ حزنٍ
وبتلك الأكواخ أنضاء بؤسٍ
والقضاء الأصم يعتسف الناسَ وَيَقْضِي ما بين سيف وقوس

* * *

هذه صورة الحياة ، وهذا
لونها في الوجود، من أمس أمس
صورة للشقاء دامعة الطرف
ولونٌ يسودُ في كلِ طرس

هـ جمادي الثانية ١٣٤٩

٢٨ أكتوبر ١٩٣٠

الآهواق العاتية

يا صميم الحياة ! إنتي وحيد
مدلج ، تانه . فأين شروقك ؟
يا صميم الحياة ! إنتي فؤاد
ضائع ، ظامي ، فأين رحيبك ؟
يا صميم الحياة ! قد وجم الناي
وغام الفضا . فأين بروفك ؟

يا صميم الحياة ! أين أغانيك !
فتحت النجوم يُصفي مشوقك

* * *

كنتُ في فجرِكَ، الموشح بالأحلام، عطرًا، يَرِفُ فوق ورودِكَ
حالمًا ، ينهل الضياءَ ، ويُصفي
لكَ ، في نشوةٍ يوحى نشيدك
ثمَّ جاء الدجى .. فأمسيتُ أوراقًا، بدادًا، من ذابلات الورود
وضبابًا من الشذى ، يتلاشى
بين هول الدجى وصمت الوجود
كنتُ في فجرِكَ المخلّف بالسحر،
فضاءً من الشيد الهادي

وسحاباً من الرؤى ، يتهادى
في ضمير الآزال والآباد
وضياء ، يعانق العالمَ الرحب ، ويسري في كل خافٍ وباد
وانقضى الفجرُ .. ، فأنحدرتُ من الأفق تراباً إلى صميم الوادي

* * *

يا صميم الحياة ! كم أنا في الدنيا غريبٌ ! أشقى بغربة نفسي
بين قومٍ ، لا يفهمون أناشيدَ فؤادي ، ولا معاني بؤسي
في وجودٍ مكبّل بقيودٍ ، نائه في ظلام شكٍّ ونحس
فاحتضنني ، وضمني لك . كالماضي . فهذا الوجودُ علّةُ بؤسي

* * *

لم أجد في الوجود إلا شقاءً
سرمدياً ، ولذّةً ، مضمحلّة

وأما نيتي، يُغرق الدمعُ أحلاها، ويُفني يمُّ الزمان صداها
وأنا شيد، يأكل الشَّهْبُ الدامي مسراتيها، ويُبقيني أساها
وورودا، تموت في قبضة الأشواك. ما هذه الحياة المِيلة؟
سأمٌ هذه الحياة مُعَادٌ

وصباحٌ، يكرُّ في إثر ليل

ليتني لم أفِدُ إلى هذه الدنيا، ولم تسبح الكواكب حولي !
ليتني لم يعانق الفجر أحلامي، ولم يلثم الضياءُ جفوني !
ليتني لم أزل - كما كنت - ضوءً، شائعاً في الوجود، غيرَ سجين !

٥ شعبان ١٣٤٩

٢٦ ديسمبر ١٩٣٠

احلام هاجر

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا
سعيداً بوحدي وانفرادي
أصرف العمر في الجبال، وفي الغابات ،
بين الصنوبر المباد
ليس لي من شواغل العيش ما يصرف
نفسي عن استماع فؤادي

أرقبُ الموتَ ، والحياةَ ، وأصغِي
لحديث الأزال والآباد
وأغنِّي مع البلبل في الغاب ،
وأصغِي إلى خرير الوادي
وأناجي النجومَ والفجرَ ، والأطيارَ
والنهرَ ، والضياءَ الهادي
عِدْشَةً للجمال ، والفن ، أبغِيها
بعيدا عن أمتِي وبلادي
لا أعنِّي نفسي بأحزانٍ شعبي
فهو حيٌ ، يعيش عيشَ الجماد !
ومجسي من الأمى ما بنفسي
من طريفٍ مُسْتَحْدَثٍ ، وولاد

وبعيدا عن المدينة ، والناس ،
 بعيدا عن لقو تلك النوادي
 فهو من معدن السخافة والإفك
 ومن ذلك الهراء العادي
 أبْنَهُ هُوَ مِنْ خَرِيرِ سَاقِيَةِ الْوَادِي
 وخفقِ الصدى ، وشدوِ الشادي
 وحفيفِ الفصون ، نغقها الطلُ
 ومسرِ النسيم للأوراد ؟
 هذه عيشةٌ تقدِّسها نفسي
 وأدعو لجهدها ، وأنادي

١٩ ذو القعدة ١٣٤٩

٤ أفريل ١٩٣١

قيود الاحلام

وأودُّ أنْ أحيا بفكرة شاعر
فأرى الوجودَ يضيق عن أحلامي
إلاّ إذا قطعتُ أسبابي مع الدنيا
وعشتُ لوحدتي وظلامي
في الغاب، في الجبل البعيد عن الوري
حيث الطبيعة، والجمال السامي

وأعيشُ عيشةَ زاهدٍ مُتَنَسِّكٍ
 ما إنْ تُدَنِّسَهُ الحياةُ بِذامٍ
 هَجَرَ الجماعةَ للجبالِ ، تورُّعا
 عنها وعن بطشِ الحياةِ الدامي
 تمشي حوالبه الحياةُ كأنَّها
 الحلمُ الجميلُ ، خفيفةُ الأقدامِ
 وتَخِرُّ أمواجُ الزمانِ بهيبةٍ
 قدسيةٍ ، في يَمِّها المترامي
 فأعيشُ في غابي حياةً ، كلَّها
 للفنِّ للأحلامِ ، للإلهامِ
 لكنني لا أستطيعُ ، فإنْ لي
 أمّا ، بصدِّ حنانها أوهامي

وصِفَارَ إِخْوَانٍ ، يرون سلامهم
في الكائنات معلقا بسلامي
فقدوا الأب الحاني، فكنت لضعفهم كهفاً يصدُّ غوائلَ الأيام
ويقيمهم وَهَجَ الحياة ، ولفحها
ويذود عنهم شِرَّةَ الآلام
فأنا المكبلُ في سلاسلَ ، حَبَّةِ ،
ضعُيتُ من رأفي بها أحلامي
وأنا الذي سكَنَ المدينة، مُكْرَها
ومشى إلى الآتي بقلبٍ دام
يصفي إلى الدنيا السخيفة راغماً
ويميش مثلَ الناس بالآوهام

وأنا الذي يجيأ بأرض ، قفرةٍ
مدحوةٍ للشكِّ والآلام ...
هجمتُ بيَ الدنيا على أهوالها
وخضمتها الرحب ، العميق الطامي
من غير إنذارٍ فأحملُ عُدتِّي
وأخوضه كالساح العوام
فتعطمتُ نفسي على شطآنه
ونأججتُ في جوّه آلامي

* * *

الويل في الدنيا التي في شرعها
فأسُ الطعام كريمة الرسام ؟

٧ صفر ١٣٥٠

٢٤ جوان ١٩٣١

(؟)

أرى هيكلاً الأيتام يعلو ، مُشيداً
ولا يسدّ أن يأتي على أسسه الهدمُ
فيُصبحُ ما قد شيّد اللهُ والورى
خراباً ، كأنّ الكلّ في أمسه وهم !
فقل لي : «ما جدوى الحياة وكرّبيها ،
وتلك التي تذوي ، وتلك التي تنمو؟»

« وفوَّجٍ ، تغذِّيه الحياةُ لِيَبَانَهَا ،
وفوَّجٍ ، يُرى تحت التراب له ردم ؟ »
« وعقلٍ ، من الأضواء ، في رأس نابغ
وعقلٍ ، من الظلمات ، يحمله قَدَم ؟ »
« وأفئدةٍ حسرى ، تذوب كآبة
وأفئدةٍ سكرى ، يَرِفُ لها النجم ؟ »
لِنَعْسِ الورى ، شاء الإلاه وجودهم
فكان لهم جهلٌ ، وكان لهم فهمٌ !!

٢٥ ربيع الأول ١٣٥٠

١٠ اوت ١٩٣١

رثاء فجر

يا أيها الغاب ، المُنْتَقُ بِالْأَشْعَةِ والورودُ
يا أيها النّور النقي ! وأيّها الفجر البعيد !
أين اختفيت ؟ وما الذي أقصاك عن هذا الوجود
أم ! لقد كانت حياتي فيك حاملةً تميد
بين الخائل ، والجداول ، والترنم ، والنشيد
تُصَفِّي لنجواك الجميلة ، وهي أغنية الخلود

وتعيش في كوني من الغفلات، فتسان، سعيد
آه! لقد غنى الصباح، قد مدمّ الليل العنيد
وتألق النجم الوضيء، فأعتم الغيم الركود
ومضى الردي بسعادتي، وقضى على الحب الوليد

١ جمادي الأولى ١٣٥٠

١٤ سبتمبر ١٩٣١

أنا أبكيك للحب

لستُ يا أمسيَ أبكيك لِجَدِ أو لِحِماةِ
سلبته منِّي الدُّنيا ، وبزّني رداةِ
فأنا أحتقرُ المجدَ وأوهامَ الحياهِ

* * *

أو لمُمرِّ ، بلفتُ منه اللّيلِ انتهاءِ

وتلاشتُ في خضمّ الزّمنِ الطّاغي قواءُ
فأنا ما زلت في فجر شبّابي أو ضُعاء

* * *

لا ، ولا أبكيك يا أمسي ، إذا ما قلت : وآه ،
لنعم ، لم ينل قلبي منه 'مشتها'
فبنو الأيتام في الدنيا كما شاء الإلاه

* * *

إنما أبكيك للحب ، الذي كان بهاء
يعلّ الدنيا فأنّي سرتُ في الدنيا أراء
فإذا ما لاح فجرٌ ، كان في الفجر سناء
وإذا غرّد طيرٌ ، كان في الشّدو صداه
وإذا ما ضاع عطرٌ ، كان في العطر شذاه

وإذا ما رفا زهرٌ ، كان في الزهرِ صباهُ
 فهو في الكونِ جالٌ ، يملأُ الأفقَ ضياءُ
 وتوشتي هذه الأكوانَ بالسَّحَرِ رؤاءُ
 وهو في قلبي - الذي عانقه الفجرُ - إلهٌ !
 عبقرِيُّ السَّحَرِ ، ممراحٌ وديعٌ في سماه
 يَنسجُ الأحلامَ في قلبي بأضواءِ الحياة
 ويغنيّني ، فأنسى في مسراتِ غناهِ
 كلُّ ما في الكونِ من حزنٍ وأفراحٍ ، عداهُ

٨ جمادي الاول ١٣٥٠

٢١ سبتمبر ١٩٣١

ابناء الشيطان

أيُّ ناس هذا الوري ؟ ما أرى إلّا برايا ، شقيّة ، مجنونه
جبلتُها الحياةُ في ثورة اليأسِ من الشرِّ ، كيّ "تجنّ" جنونه
فأقامتْ له المعابدَ ، في الكون ، وصلتْ له وشادت حصونه

* * *

كم فتاةٍ ، جميلةٍ ، مدحبوها وتغنّوا بها لكيّ "بمقطنوها"
فإذا صانت الفضيلةَ عابوها ، وإن باعت الحنا عبدوها

أصبحَ الحسنُ لعنةً ، تهبطُ الأرضُ ، ليغوى أبناؤها وذووها

* * *

وشقيّ ، طاف المدينةُ ، يستجدي ليحيا ، فخيّبوه احتقارا
أبطلوا فيه نزعَةَ الشرِّ ، فانقضَّ على الناسِ فاتكا جبّارا
يبلر الرُّعبَ في القلوبِ ، ويذكّي - حيثما حلّ - في الجوانح نارا

* * *

ونبيّ قد جاء للناس بالحقّ ، فكالوا له الشتائمَ كيلا
وتنادوا به : « إلى النار ! فالنار

روح الخبيث أخرى وأولى ،
ثمّ ألقوه في اللهب ، وظلّوا
يملاون الوجودَ رُعباً وهولاً

* * *

وشعوبٍ ضعیفَةٍ تلتظئ
 في جميع الآلامِ عاماً فعاماً
 والقويُّ الظلومُ يَغْصِرُ من
 آلامها السودِ لذّةً ومُدَاماً
 يتعسّاه ضاحكاً ، لا يراها
 خلّقت في الوجود إلاّ طعاماً !

* * *

وفناءٍ حسبَتُها مَعْبَدَ الحبِّ ، فألفيت قلبها ماخُوراً !
 ونبلٍ وجدته في ضياء الفجرِ قلباً مُدَنِّساً شريراً !
 وزعيمٍ أجَلُّهُ النَّاسُ حقّ ظنٍّ في نفسه إلهاً صغيراً !

* * *

وخبيثٍ ، يعيشُ كالْفَأْسِ ، هدّاماً ، ليُعْلِي بينَ الخرابِ بناءً

وقمي ، يُطاولُ الجبلَ العالِي ، فله ما أشدَّ غباءه !
ودنيء تاريخه في سجلِّ الشر : إفاك ، وقبحة ، ودناءة

* * *

كان ظنِّي أنْ النفوس كِبارُ
فوجدتْ النفوس شيئا حقيرا
لوثته الحياة ثم استمرت
تبذرُ المالمَ المريضَ شرورا
فاحصدوا الشوك . يا بنيها وضجوا
واملأوا الأرضَ والسماءَ حبوراً

١٧ جمادي الاولى ١٣٥٠

٣٠ سبتمبر ١٩٣١

صلوات هي هيكल الحب

عذبة أنتِ كالطفولة ، كالأحلام
كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوة كالليلة القمر
كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال
وشباب منقسم أملود !

يا لها من طهارة ، تبعثُ التقدير
 سَ في مهجة الشقيّ العنيد ! ...
 يا لها رقّة تكادُ يرفُّ الورّ
 دُ منها في الصخرة الجلود !
 أيُّ شيء تُراكِ؟ هل أنتِ «فينيس»
 تهادتُ بين الوري من جديد
 لتُعيدَ الشبابَ والفرح المعسولَ للعالم التعيسِ العميد !
 أم ملاكُ الفردوس جاء إلى الأر
 ض لبُحني روحَ السلام العميد !
 أنتِ ... ، ما أنتِ؟ رسمٌ جميلٌ
 عبقرِيٌّ من فنِّ هذا الوجود

فيك ما فيه من غموضٍ وعمقٍ
 وجمالٍ مُقدَّسٍ معبود
 أنتِ ما أنتِ؟ أنتِ فجرٌ من السحر
 تجلّسى لقلبي المعبود
 فأراه الحياةَ في مونيّ الحسن
 وجلّسى له خفايا الخلود
 أنتِ روح الربيع ، تختال في الدنيا فتتهزّ رائعاتُ الورود
 وتهبُّ الحياةُ سكرى من العطر ، وبدوي الوجود بالتغريد
 كلما أبصرتكِ عبايَ تمشين
 بخطوي موقّع كالنشد
 خفقَ القلبُ للحياة ، ورفّ الزهرُ في حقل عمري المجرود
 وانتشتُ روحي الكنيبةُ بالحب
 وغنّتُ كالبلبل الغريد

أنتِ "مُحَيِّينَ" في فؤاديَ ما قد
 مات في أُمسيَ السعيدِ الفقيدِ
 وتشيدن في خرائبِ روحي
 ما تلاشى في عهديَ المجدود
 من طموح إلى الجبالِ إلى الفنْ ،
 إلى ذلك الفضاء البعيد
 وتَبَيَّنَ رَقَّةَ الشوقِ ، والأحلامِ
 والشدِّ ، والهوى ، في نشيدي
 بعد أن عانقتُ كآبةَ أَيْامي
 فؤادي ، وألجمتُ تغريدي
 أنت أنشودةُ الأناشيدِ غنائكِ
 إلهُ الغناءِ ، رَبُّ القصيدِ

فيكِ شبّ الشّبابُ ، وشحّه السّحرُ
 وشدوُ الهوى ، وعِطرُ الورود
 ونراى الجمالُ ، يرقص رقصاً
 قدسيّاً ، على أغاني الوجود
 وتهادتُ في أفقِ روميكِ أوزانُ
 الأغاني ، ورقّةُ التفرّد
 فتمايلتِ في الوجود ، كلحنِ
 عبقرى الخيالِ حلوى النشيد :
 خطواتُ ، سكرانةُ بالأناشيد ،
 وصوتُ ، كرجع نايٍ بعيد
 وقوامُ ، يكاد ينطق بالألحان
 في كلّ وقفَةٍ وقعود

كلُّ شيءٍ موقعٌ فيكِ ، حتّى
 لفِستةُ الجيدِ ، واهتزازُ النُّهودِ
 أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ في قدسها السامي ، وفي سحرها الشجبي الفريد
 أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ ، في رِقّةِ الفجرِ في روثقِ الربيعِ الوليد
 أنتِ .. أنتِ الحياةُ ، كلُّ أوَانٍ
 في رُواءٍ من الشبابِ ، جديد
 أنتِ .. ، أنتِ الحياةُ فيكِ وفي عَيْنَيْكِ آياتُ سحرها الممدودِ
 أنتِ دنيا من الأناشيد والأحلام
 والسحرِ والخيالِ المديد
 أنتِ فوقَ الخيالِ ، والشَّعرِ ، والفنِّ
 وفوقَ النّهْيِ وفوقَ الحدودِ

أَنْتِ قَدْ نَمِي ، وَمَعْبُدِي ، وَصَبَاحِي
وَرَبِيعِي ، وَنَشْوَائِي ، وَخُلُودِي

* * *

يَا ابْنَةَ النُّور ، إِنِّي أَنَا وَحْدِي
مَنْ رَأَى فِيكَ رَوْعَةَ الْمَعْبُودِ
فَدَعِينِي أَعِيشُ فِي ظِلِّكَ الْعَذْبِ
وَفِي قَرَبِ حُسْنِكَ الْمَشْهُودِ
عَيْشَةَ الْجَمَالِ ، وَالْفَنِّ ، وَالْإِلْهَامِ
وَالطُّهْرِ ، وَالسَّنَى ، وَالسَّجُودِ
عَيْشَةَ النَّاسِكِ الْبَتُولِ يُنْسَاجِي الرَّبَّ
بِأَيِّ نَشْوَةِ الذَّهْوِ الشَّدِيدِ
وَأَمْنَعِينِي السَّلَامَ وَالْفَرَحَ الرَّوِّ
حَيَّ يَا ضَوْءَ فَجْرِي الْمَلْشُودِ

وارحيني ، فقد تَهَدَّمتُ في كُو
 نٍ من اليأس والظلام مَشِيد
 أنقذيني من الأسى ، فلقد أُمِيتُ لا أَسْتَطِيعُ حَلَّ وجودي
 في شباب الزمان والموت أُمِيتُ
 نَحْتُ عِيبٍ الحِياة جَمَّ القِيود
 وأماشي الورى ونفسي كَالْقَبْرِ ، وقلبي كَالْعَالَمِ المَهْدُودِ :
 ظُلُمَةٌ ، ما لها خَتَامٌ ، وهولٌ
 شائعٌ في سكونها المهدود
 وإذا ما اسْتَخَفَّتِي عَبَثُ الناسِ
 تَبَسُّمْتُ في أَسَى وجمُود
 بَسْمَةٌ مُرَّةٌ ، كَأَنِّي أَسَلُ
 من الشوك ذابلاتِ الورود

وانتفخي في مشاعري مَرَحَ الدنيا
وشُدِّي من عزميَ الجهود
وابعثي في دمي الحرارةَ ، علّتي
أتقنى مع المنى مِن جديد
وأبثُ الوجودَ أنغامَ قلبِ
بُلْبُلِي ، مكبِّلِ بالحديد
فالصباحُ الجميلُ يُنعشُ بالدّفءِ
حياةَ المُعظَّمِ المكدود
أنقذيني ، فقد سُمْتُ ظلامي !
انقذيني ، فقد ملّكتُ ركودي ؟

* * *

آه يا زهرتي الجميلة لو قدرين
 ما جَدَّ فؤادي في الوحيد
 في فؤادي الغريبِ تَخْلُقُ أَكْوانُ
 من السحر ذاتُ حسن فريد
 وشموسٌ وضاءةٌ ونجومٌ
 تنثر النورَ في فضاءٍ مديد
 وربيعٌ كأنه حلُمُ الشاعرِ
 في سكرة الشباب السعيد
 ورياضٌ لا تعرف الحُكَّ الداجي
 ولا ثورةَ الخريف العتيد
 وطيورٌ سحريةٌ تتناغى
 بأناشيد حلوةٍ التفريد

وقصورٌ كأنّها الشَّفَقُ الخَضُوبُ
 أو طلعةُ الصّباحِ الوليدِ
 وغيومٌ رقيقةٌ تتهاذى
 كأبّاديدَ من نَسَارِ الورودِ
 وحياةٌ شعريّةٌ هي عندي
 صورةٌ من حياةِ أهلِ الخلودِ
 كلُّ هذا يشيده سحرُ عينيكِ
 وإلهامُ حسنكِ المعبودِ
 وحرامٌ عليكِ أن تهتمي ما
 شادهُ الحُسنُ في الفؤادِ العميدِ
 وحرامٌ عليكِ أن تسحّقي آمالَ نفسٍ تصبو لعيشٍ رعيدِ

منكِ تَرجو سعادةً لم تجدها
في حياة الوري وسحر الوجود
فالإلاه العظيم لا يَرْجُمُ العَبْدَ
إذا كان في جلال السجود

٣٠ جمادي الاولى ١٣٥٠

١٣ أكتوبر ١٩٣١

أراك

أراكِ ، فتحلو لديّ الحياة
ويملاً نفسي صباحُ الأملِ
وقتمو بصدري ورؤودُ عذابِ
وتحنو على قلبي المشتعلِ
ويفتنني فيك فيضُ الحياة
وذاك الشّبابُ الوديعُ ، الثمّلِ

ويفتنني سحرُ تلك الشفاء
تفرّف من حولهن القُبُل
فأعبدُ فيكِ جمالَ السماء ،
ورقّةَ وَرَدِ الربيع ، الخضيل
وطُهرَ الثلوج ، وسِحْرَ المروج
مَوْشَعَة بشمع الطفّل

* * *

أراكِ ، فأُخلّقُ خَلْقاً جديداً
كأنّني لم أبُلْ حربَ الوجودِ
ولم أحتمل فيه عيبتنا ، ثقيلاً
من الذكريات التي لا تبِيدُ

وأضغاثِ أياميَ ، الغابرات ،
 وفيها الشقيُّ ، وفيها السعيدُ
 ويفغمرُ رَوْحِي ضياءُ رفيقُ
 تُسكِّله رائعاتُ الورود
 وتُسَمِّعُنِي هاته الكائناتُ
 رقيقَ الأغاني ، وحلَّو النشيد
 وترقص حولي أمانٍ ، طيرابُ
 وأفراحُ عُمرٍ خَلِّيَ ، سعيدُ

* * *

أراكِ ، فتخفق أعصابُ قلبي
 وتهتزُّ مثلَ اهتزاز الوترِ

ويُجْرِي عليها الهوى ، في حُنُوءٍ
أامل ، لدنًا ، كرطنب الزهر

فتخطو أناشيد قلبي ، سُكْرَى
تفرّد ، تحت ظِلّال القمر

وتملأني نشوة ، لا تُحَدُّ
كأني أصبحت فوق البشر

أودّ بروحي عناق الوجود
بما فيه من أنفُسٍ ، أو شجر

وليل يفرّ ، وفجر يكرّ ،
وغيم يوشّي رداء الصحر

١١ جمادي الثانية ١٣٥٠

٢٤ أكتوبر ١٩٣١

فكرة اللانان

عش بالشعور ، وللشعور ، فإنما
دنياك كون عواطف وشعور
شيدت على العطف الممبق ، وإنها
لتجف لو شيدت على التفكير
وتظل جامدة الجمال ، كئيبه
كالهكل ، المتهدم ، المهجور

وتظلل قاسية الملامح ، جبهة
كالموت ، مقفلة ، بغير سرور
لا الحب يرقص فوقها متغنيا
للناس ، بين جداول وزهور
متوردة الوجنات سكران الخطى
يهتز من مراح ، وفرط حبور
متكللا بالورد ، ينثر اللوى
أوراق ورد « اللذة » المنصور
كلا ! ولا الفن الجميل بظاهر
في الكون تحت عمامة من نور
متشوشعا بالسحر ، ينفخ نايه المشبوب بين خمائل وغدير
أو يلمس العود المقدس ، واصفا
لموت ، للأيام ، للديجور

ما في الحياة من المِسرّة ، والأسى ،
والسّحر ، واللّذات ، والتفريـر
أبدا ولا الأملُ المُجَنّحُ مُنْشِداً
فيها بصوت الحالم المهبور
تلك الأناشيد الـقيّ كَهَبُ الوري
عزَمَ الشبابِ ، وغبطةَ العصفور

* * *

واجمل شعورك ، في الطبيعة قائدا
فهو الخبير بقبها المسحور
صحبَ الحياةَ صغيرةً ، ومشى بها
بين الجحام ، والدم المهدور
وعداً بها فوق الشواهِقِ ، باسماً
متفنياً ، من أعصر دهور

والعقل ، رغمَ مَشْيِيهِ ووقاره ،
 ما زال في الأيتامِ جدٌ صغيرِ
 يمشي .. فتصرعه الرياح ، فَيَنْتَنِي
 مُتَوَجِّعاً ، كالطائر المَكْسورِ
 ويظلُّ يسألُ نفسه ، متفلسفاً
 مُتَنَطِّساً ، في خِفَّةٍ وغرورِ :
 عما 'تَحَجَّبَتْهُ' الكواكبُ خلفها
 من سرِّ هذا العالمِ المستورِ
 وهو المهشمُ بالعواصف .. يا لهُ
 من ساذجٍ ، متفلسفٍ ، مغرورٍ !

* * *

وافتحْ فؤادكَ للوجود ، واخلُ
 للهِمَّ ، للأمواج ، للديجورِ

للثلج تنشرُهُ الزوايِعُ للأسى ،
 للهول ، للآلام ، للمقدور
 وأتركه يقتحم العواصف ، هائماً
 في أفقها ، المتلبّد ، المَقرور
 ويخوض أحشاءَ الوجود ، مُغامِراً
 في ليْلِها التَّهَيّبِ ، المَهدور
 حتّى تعانقه الحياةُ ، ويرتوي
 من ثغرها المتأجّج ، المسجور
 فتعيشَ في الدنيا بقلب زاخِرٍ
 يقيظُ المشاعرَ ، حالمٍ ، مسحور
 في نشوةٍ صوفيّةٍ ، قدسيّةٍ ،
 هيَ خير ما في العالم المنظور

٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٠

٧ نوفمبر ١٩٣١

سر النهوض

لا ينهض الشعبُ إلاّ حين يدفعه
عزمُ الحياة ، إذا ما استيقظتْ فيه
والحَبُّ يَخترقُ القبراءَ ، مندفعاً
إلى السماء ، إذا هبَّتْ تناديه
والقيدُ يَألفهُ الأمواتُ ، ما لبثوا
أُمّا الحياةُ فيبليها وتبليهِ

١ رجب ١٣٥٠

١٢ نوفمبر ١٩٣١

قلب الأم

يا أيُّها الطفلُ الذي قد كان كاللّحن الجميلِ
والوردةِ البيضاءِ ، تعبَقَ في غياباتِ الأصيلِ
يا أيُّها الطفلُ الذي قد كان في هذا الوجودِ ،
فَرِحاً ، يَنَاجِي فتنةَ الدنيا بمعمولِ النَشِيدِ
ها أنتَ ذا أَطَبَقْتَ جَفَنِيكَ أَحْلَامُ المَنُونِ
وطَاطَيرتَ زُمُرُ الملائكِ حولَ مضجِعِكَ الأَمِينِ

ومضت بروحك للسماء عرائس النشور الحبيب
يحملن تيجاناً مذهبةً ، من الزهر الغريب
ها أنت ذا قد جللتك سكينه الأبد الكبير
وبكتك هاتيك القلوب ، وضمك القبر الصغير
وتفرق الناس الذين إلى المقابر شيعوك
ونسوك من دنياهم ، حتى كأن لم يعرفوك
شغلهم عنك الحياة ، وحرب هذي الكائنات
إن الحياة - وقد قضيت قبيل معرفة الحياة -
بحر ، قرارته الردى ، ونشيد لبعثته شكاة
وعلى شواطئه القلوب تن دامية عراة
بحر ، نجيش به العواصف في العشي والغداة
وتظليه سحب الظلام ، فلا سكون ولا إياة

نَسِيتُكَ أمواجُ البُحَيْرَةِ ، والنجومُ اللامعةُ
والبلبلُ الشادي ، وهاتيكِ المروجُ الشامعةُ
وجداولُ الوادي النضيرِ برقصها وخريرها
ومسالكُ الجبلِ الصغيرِ بعُشْبها وزُهورها
حتَّى الرفاقُ . ، فإنَّهم لبشوا مدىَّ يتساءلونُ
في حيرةٍ مشبوبةٍ : « أين اختفى هذا الأمين ؟ ،
لكنَّهم عِلِموا بأنَّك في الليالي الداجيةِ
حملتُكِ غيلانُ الظلامِ إلى الجبالِ النائيةِ
فنسُوكَ مثلَ الناسِ .. ، وانصرفوا إلى السَّهْلِ الجميلِ
بينَ الحماثلِ ، والجداولِ ، والروابي ، والسُّهولِ
ونسُوا وداعةَ وجهك الهادي ، ومنظَرَكَ الوسيمِ
ونسُوا قَفَنِيكَ الجميلَ بصوتِكَ الحُلُوِّ ، الرخيمِ

ومضَوْا إلى المَرَجِ البهيج ، يطاردون طيوره
 ويُزحزحون صُخوره ، ويمابثون زهوره
 ويُشيدون من الرمال البيض ، والحصب النضير
 عُرفا ، وأكواخا تكللها الحشائش والزهور
 ويُنضدون من الرُبى ، بين التضاحك والحبور
 طاقاتٍ وردٍ ، أبدٍ ، تُزري بأوراد القصور
 يُلقونها في النهر ، قربانا لآلهة السرور
 فتسير في التيار ، راقصة على نغم الخريف
 كل نسوك ، ولم يعودوا يذكرونك في الحياة
 والذهر يدفن في ظلام الموت حتى الذكريات
 إلا فؤادا ، ظل يخفت في الوجود إلى لقاء
 ويود لو بذل الحياة إلى المنية ، وافتمداك

فإذا رأى طفلاً بكاك ، وإن رأى شعباً دعاك
 يصفي لصوتك في الوجود ، ولا يرى إلا بهاك
 يصفي لنفمتك الجميلة في خريف الساقية
 في رنة الزمار ، في لغو الطيور الشادية
 في ضجة البحر المتججل ، في هدير العاصفة
 في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفة
 في نغمة الحبل الوديع ، وفي أناشيد الرعاة
 بين المروج الخضراء والسفح المجلجل بالنبات
 في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبة
 في شهقة الباكي يؤججها 'فواح' النادية
 في كل أصوات الوجود : طروبها وكنيها
 ورخيما ، وعنيفها ، وبغيضا ، وحبيها

وبراك في صُورِ الطبيعة حلوها ، وذميمة
 وحزينة ، وبهجتها ، وحقيرتها ، وعظمتها
 في رقة الفجرِ الوديع ، وفي الليالي الخاملة
 في فتنة الشفقِ البديع ، وفي النجوم الباسمة
 في رقصِ أمواجِ البُحيرة تحت أضواء النجوم
 في سحرِ أزهارِ الربيع ، وفي تهاويل الغيوم
 في لُسنة البرق الخفوق ، وفي 'هوي' الصاعقة
 في ذلة الوادي ، وفي كبرِ الجبال الشاهقة
 في مشهدِ الغابِ الكثيب ، وفي الورود^(١) العاوية
 في ظلُمة الليلِ الحزين ، وفي الكهوف العارية
 أعرفتَ هذا القلبَ في ظلماءِ هاتيك اللُحود ؟
 هو قلبُ أمك ، أمك السُكُرى بأحزانِ الوجود

(١) الورود : جمع وردة : الأسد .

هو ذلك القلب الذي سيميش كالشادي الضرب
 يشدو بشكنوى حزنه الداجي إلى النفس الأخير
 لا ربة' النسيان روحه حزنه وترى شقاء
 كلا ! ولا الأيتام تبلي في أناملها أساء
 إلا إذا صفرت له الأقدار إكليل الجنون
 وغدا شقيا ضاحكا ، تلهو بمرآة السنون
 هو ذلك القلب الذي مها تقلبت الحياة
 وتدفع الزمن المدمند في شعاب الكائنات
 وتغنت الدنيا ، وغرد بلبل الغاب الجميل
 سبطله بعيد ذكرياك : لا يمل ، ولا يميل
 كالأرض : تمشي فوق تربتها المسرة ، والشباب
 والليل ، والفجر المجنح ، والمواصف ، والسحاب

والحُبُّ تَنَبْتُ فِي مَوَاطِنِهِ الشَّقَائِقُ ، وَالْوَرُودُ
وَالْمَوْتُ تَحْفَرُ - أَيْنَا يَخْطُو - الْمَقَابِرُ وَاللَّحُودُ
وَقَمْرُ بَيْنَ فَجَاجِهَا اللَّذَاتُ ، حَالَةً ، تَمِيدُ
سَكْرَى ، وَأَشْوَاقُ الْوَرَى تَرْنُو إِلَى الْأَفْقِ الْبَعِيدِ ...
وَتَظَلُّ تَرْقُصُ الْأَمْسَى ، لِلْمَهْوِ ، أَشْبَاحُ الدَّهْوَرِ
حَتَّى يَوَارِيهَا ضَبَابُ الْمَوْتِ فِي وَادِي الدُّثُورِ
وَتَظَلُّ تَسُورِقُ ، ثُمَّ تَزْهَرُ ، ثُمَّ يَنْشُرُهَا الصَّبَاحُ
لِلْمَوْتِ ، لِلشُّوْكِ الْمُتَمَزِّقِ ، لِلجَدَاوِلِ ، لِلرِّيَاحِ
بَسَمَاتُ تَغْرِ حَالِمٍ ، يَفْتَرُ فِي سَهْوِ السَّرُورِ
وَوَرُودُ رَوْضٍ بِاسْمٍ ، يُصْنِفِي لِأَلْحَانِ الطَّيُورِ
وَتَظَلُّ تَحْفَقُ ، ثُمَّ تَشْدُو ، ثُمَّ يَطْوِيهَا التَّرَابُ
قُبْلَ ، وَأَطْيَارُ ، تَفْرُدُ لِلْحَيَاةِ ، وَلِلشَّبَابِ

وتظلُّ تمشي في جِوَارِ الموتِ أفراحُ الحياةِ ..!
ويغرّدُ الشحرورُ ما بين المهاجم والرفاتِ
والأرهُى حالةٌ : تغشي بين أسراب النجومِ
أنشودةَ الماضي البعيد ، وسُورةَ الأزلِ القديم ...

• شبابت ١٣٥٠

١٦ ديسمبر ١٩٣١

حديث المقبرة

«وهو حوارٌ فلسفيٌّ، مَدَارُهُ الحياة،
والموت ، والخلود والكمال ،

في ليلة مظلمة ، من ليالي الصيف ، خرج الشاعر بنفسه
من القرية الصغيرة النائمة في سفح الجبل ، وفي ذلك الصكون
الشامل ، والظلام المركوم ، أخذ يمشي بين أشجار الزيتون
المزهرة في مسلك منفرد ، ثم اعتلى تلك الربوة الصغيرة ،
حيث كانت مدافن القرية وحيث ينام الموتى في صمت
الدهور .

وبين القبور الحرساء الجاثمة تحت أضواء النجوم ، حيث
يتحدث كل شيء بحلال الموت وتفاهة الحياة، جلس الشاعر
بأقدام متعبة، ونفس ثائرة، وأجفان قد أذبلتها الأحزان،
فطافت بنفسه الأحلام والأفكار والذكريات، وتقلبت أمامه
صور الموت وأمواج الحياة ، وتتابع أمامه رسوم الأيام
الكثيرة ، ما دام منها في قلب الأزل وما لم يزل ينمو في
أحشاء الأبد الكبير ، وجاشت في قلبه هاته العصور
والخواطر ، وعجت في صدره عجيبيج الأمواج الثائرة ،
فألقاها إلى الليل في النشيد التالي :

أتفنى ابتساماتُ تلك الجفون ؟
ويخبو توهُّجُ تلك الحدود ؟
وتذوي ورَبَداتُ تلك الشفاء ؟
وتهوي إلى الترب تلك النهود ؟

وينهدُ ذاك القوامُ الرشيق
وينهلُ صدرُ بديعٍ ، وجيد
وعريدهُ تلك الوجوه الصُّباحُ
وفتنةُ ذاك الجمال الفريد
ويغبرُ فرعُ كجُئشِ الظلام
أنيقُ الفدائر ، جعدٌ ، مديد
ويُصبحُ في ظلمات القبور
هباءً ، حقيراً ، وتُرُبا ، زهيد
وينجذب سحرُ الفرام القوي
وسُكرُ الشباب الغرير ، السعيد

* * *

أتطوَى سمواتُ هذا الوجود ؟
ويذهب هذا الفضاء البعيد ؟

وتهلك تلك النجومُ القُدّامى ؟
ويهرَمُ هذا الزمانُ المَهِيد ؟
ويَقْضِي صباحُ الحياةِ البديعُ ؟
وليلُ الوجودِ الرهيبُ ، العتيد ؟
وشمسُ قوسِتي رداءَ الغمام ؟
وبدرُ يضيءُ ، وغيمُ يحود ؟
وضوءُ يرصعُ موجَ الغدير ؟
وسِحرُ ، يطرزُ تلك البرود ؟
وبحرُ فسيحُ ، بعيد القرار
بضجٍ ، ويدوي دوي الرعود ؟
وريحُ تمرُّ مرورَ المَلاك ،
وتخطو إلى الغابِ خطوَ الوليد ؟

وعاصفة" ، من بنات الجحيم ،
كان صداها زئيرُ الأسود
تعجُ ، فتدوي حنايا الجبال
ونمشي ، فتدوي صخورُ النُجُود ؟
وطيرٌ ، تغني خلال الفصول
وتتف للفقير بين الورود ؟
وزهرٌ ينمق تلك التلال
وينهل من كل ضوء جديد ؟
ويعبث منه أريجُ الغرام
ونفحُ الشباب الحبي ، السعيد ؟

* * *

أيسطو على الكلّ ليلُ الفناء
يلهؤ بها الموتُ خلفَ الوجود ..

وينثرها في الفراغ الخفيف
 كما تنثر الورد ربحُ شَرود
 فينضب يمُّ الحياة الخضمُّ
 ويخمد روحُ الربيع الولود
 فلا يلثم النورُ سِحرَ الحدود
 ولا تنبت الأرضُ غضَّ الورود؟

* * *

كبيرٌ على النفس هذا العفاءُ !
 وصعبٌ على القلب هذا الهمود !
 وماذا على القَدَرِ المستمرُّ
 لو استمرَّ الناسُ طعمَ الخلود

ولم يُخَفَّرُوا بالخواب المحيط
 ولم يُفَجَّعُوا في الحبيب الودود
 ولم يَسْلُكُوا للخالود المرجى
 سبيلَ الردى ، وظلامَ اللحد
 فدامَ الشبابُ ، وسحرُ الغرامِ ،
 وفنُّ الربيعِ ، ولطفُ الورود
 وعاش الورى في سلامٍ ، أمينٍ
 وعيش غضيرٍ ، رخيمٍ ، رغيدٍ ؟
 ولكنْ هو القدرُ المستبدُّ
 يَلْدُ له نوحنا ، كالنَّشيدِ !

* * *

كانت بين القبور روح فيلحوف قديم مجهول فجاءت
تزور جسمها الذي أصبح رمة بالية في أحشاء التراب ،
فأشفقت على الشاعر المسكين من آلامه الروحية وحبرته
الظامنة ، فأرادت أن تعلمه الحكمة وتسكب في قلبه برد
اليقين فخطبته بهاته الأبيات :

تبرمتَ بالعيش خوفاً للفناء
ولودمتَ حياءَ شمتَ الخلود
وعشتَ على الأرض مثل الجبال
جليلاً ، رهيباً ، غريباً ، وحيداً
فلم ترقشف من 'رضاب الحياة'
ولم قصطبح من رحيق الوجود
وما نشوة الحب عند الحب
وما سحر ذاك الربيع الوليد

ولم ندر ما فتنة الكائنات
وما صرخة القلب عند الصدود

ولم تفتكر بالقد المستراب
ولم تحتفل بالمرام البعيد

وماذا 'برجئي ربيب الخلود
من الكون - وهو المقيم البعيد - ؟

وماذا يودُ ، وماذا يخافُ
من الكون - وهو المقيم الأبد - ؟

تأمل .. ، فإن نظام الحياة
نظام ، دقيق ، بديع ، فريد

فما حبيب العيش إلا الفناء
ولا زانه غير خوف اللحد

ولولا شقاء الحياة الأليم
لما أدرك الناس معنى السعود
ومن لم يُرعه قطوب الدياجير
لم يفتبط بالصباح الجديد .

* * *

وراق حديث الروح الشاعر للعائش بين الهواتف
والأشباح ، فقال يحاورها :

إذا لم يكن من لقاء المنايا
مناص لمن حلّ هذا الوجود
فأي غناء لهذي الحياة
وهذا الصراع العنيف ، الشديد

وذاك الجمال الذي لا يُملّ ،
وتلك الأغاني ، وذاك النشيد ؟؟

وهذا الظلام ، وذاك الضياء ،
وتلك النجوم ، وهذا الصعيد

لماذا نمرُّ بوادي الزمان
سِرَاعاً ، ولكننا لا نعود

فنشرب من كلّ نبعٍ شراباً
ومنه الرفيع ، ومنه الزهيد

ومنه اللّذيذ ، ومنه الكريه ،
ومنه المُشيد ، ومنه المُبِيد

ونحمل عِبتنا من الذكريات
وتلك المهود التي لا تعود

ونشهد أشكال هذي الوجوه
 وفيها الشقيّ ، وفيها المعيد
 وفيها البديع ، وفيها الشنيع ،
 وفيها الوديع ، وفيها العنيد
 فيُصبح منها الوليُّ الحميم ،
 ويصبح منها العدوُّ الحقُّود
 وكلُّ - إذا ما سألنا الحياةَ -
 غريبٌ لعمري بهذا الوجود
 أئيناء من من عالمٍ ، لا نراه
 فرادى ، فما شأنُ هذي الحقُّود ؟
 وما شأنُ هذا العداء العتيق ؟
 وما شأنُ هذا الإخاء الودود ؟

* * *

روح الفيلسوف :

خَلَقْنَا لِنَبْلُغَ شَأْوَ الْكَمَالِ
وَنَصْبِحَ أَهْلًا لِمَجْدِ الْخُلُودِ
وَتَطْهَرَ أَرْوَاحُنَا فِي الْحَيَاةِ
بِنَارِ الْأَسَى^(١)
وَنَكْسِبَ مِنْ عَثَرَاتِ الطَّرِيقِ
قُوًى ، لَا تُهْدَى بِدَأْبِ الصُّعُودِ
وَمَجْدًا ، يَكُونُ لَنَا فِي الْخُلُودِ
أَكَالِيلَ مِنْ رَائِعَاتِ الْوُرُودِ

* * *

(١) بياض في الأصل والسودة .

ومر بالقبرة صرب من الأرواح ، في طريقها إلى العالم
المجهول ؛ فطاروت معها روح الفيلسوف ، وخلفت عالم
الشك والكتابة لأبنائه البائسين . وظل الشاعر يردد بينه
وبين نفسه :

« خلقنا لنبلغ شأوَ الكمال
ونُصبح أهلاً لمجد المخلود »

ولكن أفكاره الشائرة التي لا تهدأ كانت لا تزال تلح
عليه بالأسئلة الكثيرة المرفقة فقال يناجي روح الفيلسوف
التي حسبها ما زالت قريبة منه :

ولكن إذا ما لبسنا الخلود
ونلنا كمال النفوس البعيد
فهل لا نَمَلُّ دوام البقاء ؟
وهل لا نودُّ كلاً جديداً

وكيف يكوننّ هذا «الكمال» :
ماذا تراه ؟ وكيف الحدود ؟
وإنّ جمال «الكمال» «الطُموح»
وما دام «فكرا» يُرَى من بعيد
فما سِعره إن غدا «واقعا»
يُحَسُّ ، وأصبح شيئاً شهيد ؟
وهل ينطفي في النفوس الحنين
وتصبحُ أشواقنا في خمود
فلا تطمح النفس فوق الكمال
وفوق الخلود لبعض المزيد ؟
إذا لم يَزَلْ شوقها في الخلود
فذاك لعمري شقاءُ الجود

وحربٌ ضروسٌ ، - كما قد عهدتُ -
ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌ مديد
وإنْ زال عنها فذاك الفناء
وإنْ كان في عرصاتِ الخلود

* * *

كذلك ناجى الشاعر روح الفيلسوف ، ولكنهما كانت
إذ ذاك بعيدة عنه في عالم بعيد لا يسمع نجواه ، وكذلك
ضاعت أسئلة الشاعر في ظلمة الليل الذي لا يسمع ولا
يجيب .

٢٦ ذر القعدة ١٣٥٠

٣ أبريل ١٩٣٢

في ظل وادي الموت

نحن نمشي ، وحولنا هاته الأكو
ن تمشي . . . ، لكن لأية غاية ؟
نحن نشدو مع العصافير للشمس ،
وهذا الربيع بنفخ نايه
نحن نتلو رواية الكون للموت

ولكن ماذا ختام الرواية
هكذا قلت للرياح فقالت :
« سَلْ ضميرٌ الوجود : كيف البداية ؟ »

* * *

وتغشى الضباب نفسي ، فصاحت
في ملالٍ مُرٍّ : « إلى أين أمشي ؟ »
قلت : « سيري مع الحياة ... » فقالت :
ما جنينا ، تُرى ، من السير أمس ؟
فتهافتُ كالهشيم - على الأرض
وناديت : « أين يا قلب رفشي ؟ »
« هاتِه ، علّني أخطّ ضريحِي »
« في مَكون الدجى وأدفن نفسي »

* * *

« هاتِهِ فالظلام حولي كثيف ... »
 « وضباب الأمل مُبِخٌ عليّ .. »
 « وكؤوس الفرام أترعها الفجرُ ، »
 « ولكنْ تحطمتْ في يديّ ... »
 « والشباب الفرير ولّى إلى الماضي »
 « وخلص النحيبُ في شفتيّ ، »
 « هاته ، يا فؤادُ إنّا غريبان ، »
 « نصوغ الحياة فنّا شجياً ... »

* * *

« قد رقصنا مع الحياة طويلاً ... »
 « وشدونا مع الشباب مئناً ... »
 « وعدونا مع الليالي حفاةً ... »

« في شِباب الحياة حتى كَمِينَا ... »
 « وأكلنا التراب حتى مللْنَا ... »
 « وشربنا الدموعَ ، حتى رَوِينَا ... »
 « ونثرنا الأحلامَ والحبَّ والآلامَ ،
 « واليأسَ ، والأسَى ، حيث شِينَا ... »

* * *

« ثم ماذا ؟ هذا أنا : صرتُ في الدنيا ،
 « بعيداً عن لهُوها وغِناها ،
 « في ظلامِ الفناء ، أدفن أيتامي ،
 « ولا أستطيع حتى بكائها ؟
 « وزهورُ الحياة تهوي ، بصمتٍ ،

« مُخْزِنٌ ، مُضْجِرٌ عَلَى قَدَمَيَا ، »
« جَفَّ سَحَرُ الْحَيَاةِ ، يَا قَلْبِي الْبَاكِي ، »
« فَبَيْنَا ، نُجَرَّبُ الْمَوْتَ .. ، هَيْتَا .. ! »

٢٨ ذو القعدة ١٣٥٠

• أفريل ١٩٣٢

الساحرة

راعها منه صَعْتُهُ ووُجُومُهُ
وشجاءها شُعُوبُهُ وسُهُومُهُ
فأَمَرَتْ كَفًّا على شَعْرِهِ العاري
برفق ، كأنَّها سَتِيْمُهُ
وأَطْلَتْ بوجهها الباسم الحلو على خَدِّهِ وقالت تلومُهُ:

أهـا الطائر الكئيب كَفَرْدُ
إِنْ شَدَّوَ الطَّيُورَ حَلَوْ رَهِيمُهُ

« وأرجبني فذلك نفسي - ماذا ؟
أمصاب ؟ أم ذاك أمرٌ ترومه ؟ »

« بل هو الفنُّ واكتتابُهُ ، والفنَّان
نجمٌ أحزانه وهوومه ،

« أبداً يحمل الوجود بما فيه
كأن ليس للوجود زعيمُهُ : »

« خلَّ عبءَ الحياة عنك ، وهياً
بمعيّاً ، كالصبح ، طلقِ أديمُهُ

« فكثير عليك أن تتحمل الدنيا
وتمشي بوفرها لا تريمه ،

« والوجود العظيم أُنْغَمِدَ في الماضي
وما أنت ربّه فتقيمه ،

« وامش في روضة الشباب طَروبا
فحواليك وَرَدُهُ وكرومه ،

« وائلٌ للعبّ والحياة أغانيك
وخلّ الشقاء تدمّي كلومه ،

« واحتضنّني ، فأني لك ، حقّ
يتواري هذا الدجى ونجومه ،

« ودع الحبّ يُنشدّ الشعر لليل ،
فكم يُسكر الظلامَ رنيمه ... ،

« واقطف الورد من خدودي ، وجيدي
ونهودي ... وافعلْ به ما ترومه ،

« إِنَّ لِّلَّيْلِ لَّهَوًّهُ النَّاعِمَ ، الْحَلَوَّ
وَالْمُنْكَونَ حَرْبُهُ وَهُومُهُ »

« وَارْتَشَفْ مِنْ فَمِي الْأَنَاشِيدَ سَكْرَتِي ،
فَالْهَوَى سَاحِرُ الدَّلَالِ ، وَنَسِيمُهُ »

« وَانْسَ فِي الْحَيَاةِ .. ، فَالْأَمْرُ قَفْرٌ ،
مَرْعَبٌ إِنَّ ذَوَى وَجْفٍ نَسِيمُهُ »

« وَارْمِ لِّلَّيْلِ ، وَالضُّبَابِ بَعِيدَا
فَتَنِّكَ الْعَابِسَ ، الْكَثِيرَ وَجُومُهُ »

« فَالْهَوَى ، وَالشَّبَابُ ، وَالْمَرْحُ الْمَعْسُولُ
تَشْدُو أَفْنَانُهُ وَنَسِيمُهُ »

« هِيَ فَنُّ الْحَيَاةِ ، يَا شَاعِرِي الْفَنَّانِ
بَلْ لُبُّ فَنِّهَا وَصِيمُهُ »

« تلك يا فيلسوف ، فلسفة الكون ،
 ووَحيُ الوجودِ هذا قديهِ ،
 « وهي إنجيليَ الجميلُ » ، فصدّقهُ
 وإلا .. ، فليُفْرامِ جحيمه .. ،
 « فرماها بنظرة » ، غَشِيَتْهَا
 سكرةُ الحُبِّ ، والأسى ، وغيومُهُ ،
 وتلاها ببسمة ، رشفتها
 منه سكرانةُ الشباب . رؤومُهُ
 والتقتْ عندها الشفاهُ .. ، وغنّتْ
 قُبُبلُ ، أجفَلتْ لديها همومُهُ
 ما تريد الهمومُ من عالمٍ ، ضاءت
 مسرّاتُهُ ، وغنّتْ نجومُهُ ؟

* * *

ليلة أسبلَ الغرامُ عليها
 سحرَه الزاعمَ ، الطريرَ نعيمه
 وتغنّى في ظلّها الفرحُ اللاهي
 فجفتِ الأسى وخرتِ هشيمه
 أغرق الفيلسوفُ فلسفة الأحزان
 في بحرهما .. ، فمن ذا يلومه

إن في المرأة الجميلة سحرا
 عبقرية ، يُذكّي الأسى ، ويُنيمه

١٥ ربيع الأول ١٤٥١

١٩ جويلية ١٩٣٢

الجنة الضائعة

كَمْ من عُهودٍ عَذْبَةٍ من عَدْوَةٍ الوادي النضيرُ
فَضِيَّةِ الأسحارِ مُذْهَبَةِ الأصائلِ والبُكُورِ
كانت أرقّ من الزهور ، ومن أغاريد الطيور
وَأَلَذَّة من سحر الصَّبَا في بَسْمَةِ الطفل الغرير
قَضَبَتُهَا ومعي الحبيبةُ لا رقيب ولا نذير

إلا الطفولةَ حولنا تلهو مع الحُبِّ الصغير
 أيامَ كانت للحياة حلاوة الروض المطير
 وطهارةُ الموج الجميل ، وسحرُ شاطئه المنير
 ووداعة المصفور ، بين جداول الماء النмир
 أيامَ لم نعرف من الدنيا سوى مَرَحِ الشُّرور
 وتَتَبُّعِ النُّحُلِ الأنيقِ وقَطْفِ ثِيَجانِ الزهور
 وتسَلُّقِ الجبلِ المكمل بالصنوبر والصخور
 وبناء أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيور
 مسقوفة بالورد ، والأعشاب ، والورق النضير
 نبني ، فتهدمها الرياحُ ، فلا نضجُ ولا نشور
 ونعود نضعك للمروج ، وللزَّنايقِ ، والفدير
 ونخاطب الأصداء ، وهي تَرَفُّ في الوادي المنير
 ونعبد أغنية السواقي ، وهي تلعو بالخرير

وَنَظَّلُ نَرَكُضْ خَلْفَ أُسْرَابِ الْفَرَاشِ الْمُسْتَطِيرِ
وَنَمْرُ مَا بَيْنَ الْمَرْوَجِ الْخَضِرِ ، فِي سَكْرِ الشُّعُورِ
نَشْدُو ، وَنَرَقِصُ - كَالْبِلَابِلِ - لِلْحَيَاةِ ، وَلِلْجُودِ
وَنَظْلُ نَنْتَرُ لِلْفَضَاءِ الرَّحْبِ ، وَالنَّهْرِ الْكَبِيرِ
مَا فِي فُؤَادَيْنَا مِنَ الْأَحْلَامِ ، أَوْ حُلُومِ الْغُرُورِ
وَنَشِيدُ فِي الْأَفْئُقِ الْمُخَضَّبِ مِنْ أَمَانِينَا قُصُورِ
أَزْهَى مِنَ الشَّفَقِ الْجَمِيلِ ، وَرَوْنَقِ الْمَرْجِ الْخَضِيرِ
وَأَجَلُ مِنْ هَذَا الْوُجُودِ ، وَكُلُّ أَعْجَادِ الدُّهُورِ
أَبْدَا ، تُدَلِّلُنَا الْحَيَاةُ بِكُلِّ أَنْوَاعِ السَّرُورِ
وَتَبَثُ فِينَا مِنْ مَرَاكِ الْكُؤُونِ مَا يُغْوِي الْوَقُورِ
فَنَسِيرُ ، نَتَشَدُّ لِهَوْنِ الْمَعْبُودِ - فِي كُلِّ الْأُمُورِ
وَنَظْلُ نَعْبَثُ بِالْجَلِيلِ مِنَ الْوُجُودِ ، وَبِالْحَقِيرِ :
- بِالسَّائِلِ الْأَعْمَى ، وَبِالْمَعْتَوَى ، وَالشَّيْخِ الْكَبِيرِ

بالقطة البيضاء ، بالشاة الوديمة ، بالحير
 بالعشب ، بالفنن المنور ، بالسنابل ، بالسفير
 بالرمل ، بالصخر المحطم ، بالجداول ، بالغدير
 واللهو ، والعبث البريء ، الحلوى ، مطمحننا الأخير
 ونظّل نفقز ، أو نُسَرِّثِرُ ، أو نغنتي ، أو ندور
 لانسام اللهو الجميل ، وليس يدركنا الفتور
 فكانتنا نحيا بأعصاب من المرح المثير
 وكانتنا نخشي بأقدام مجنحة ، تطير
 أيامَ كنا لبّ هذا الكون ، والباقي قشور
 أيامَ تفرش سُبُلنا الدنيا بأوراق الزهور
 وتمرّ أيامُ الحياة بنا ، كأسراب الطيور
 بيضاء لاعبة ، مُفَرَّدةٌ مجنحةٌ بنور

وتترَفرف الأفراحُ فوق رؤوسنا أننى نسير

* * *

أما اقوارى فَجَرِيّ القدُسيُّ في ليل الدهور
وفنى ، كما يفنى النشيدُ الحلوُ في صمت الأثير
أواه ! قد ضاعت عليَّ سعادةُ القلب الغرير
وبقيتُ في وادي الزمان الجَهَمِ أدأبُ في المسير
وأدوسُ أشواكَ الحياةِ بقلبي الدّامي الكبير
وأرى الأباطيل الكثيرةَ ، والمآثمَ ، والشرور
وتصادمُ الأهواءِ بالأهواءِ في كلِّ الأمور
ومذلةُ الحقِّ الضعيفِ ، وعزّةُ الظلم القدير !
وأرى ابن آدمَ سائراً لي رحلةً العُمُرِ القصير
ما بين أهوال الوجودِ وتحت أعباء الضمير

متسلّفا جَبَلِ الحَيَاةِ الوَعْرَ ، كالشَّيخِ الضَّرِيرِ
دامي الأَكْفُ ، مُعَزِّقِ الأَقْدَامِ ، مُغْبِرِ الشُّعُورِ
مُتَرَنِّحِ الخُطُواتِ ما بَيْنَ المَزَالِقِ والصُّخُورِ
هالتهُ أَشْبَاحُ الظُّلَامِ ، وِراءَهُ صَوْتُ القُبُورِ
ودويْ إغْصَارِ الأَسَى ، ونَمُوتِ ، في تِلْكَ الوُجُورِ

* * *

ماذا جَنَيْتُ من الحَيَاةِ ومن تَجَارِيبِ الدُّهُورِ
غَيْرَ النَّدَامَةِ والأَسَى والبَأسِ والدَّمْعِ الغَزِيرِ ؟
هَذَا حَصَادِي من حَقُولِ العَالَمِ الرَّحْبِ الخَطِيرِ
هَذَا حَصَادِي كُلُّهُ ، في يَقْظَةِ المَهْدِ الأخيرِ

* * *

قد كنتُ في زمنِ الطفولةِ ، والسذاجةِ ، والظهور
أحيا كما نَحيا البـلابـلُ ، والجداولُ ، والزُّهور
لا نَحفلُ ، الدنيا تدور بأهلها ، أو لا تدور
واليومَ أحيا مُرَهَقَ الأعصابِ ، مشوبَ الشعور
مُتأجِّجَ الإحساسِ ، أحفلُ بالعظيمِ ، وبالحقيرِ
تشي على قلبي الحياةُ ، ويزحفُ الكونُ الكبير
هذا مصيري ، يا بني الدنيا فما أشقى المصيرِ !

١٢ رمضان ١٣٥١

٩ جانفي ١٩٣٣

السعادة

ترجو السعادة يا قلبي ولو وُحِدَتْ
في الكونِ لم يشتعلْ حُزْنٌ ولا أَلَمٌ
ولا استعالتْ حياةُ الناسِ أجمعُها
وزُلْزِلَتْ هاتِه الأكرانُ والنُظُمُ
فما السعادة في الدنيا سوى حُلُمٍ
ناهٍ تَضَحِّي له أَيَّامُهَا الأُمم

تاجتُ به الناسَ أوْهامٌ مُعْرِبِدَةٌ
 لَمَّا تَغَشَّتْهُمُ الْأَحْلَامُ وَالظُّلَمُ
 فَهَبُ كُلٌّ يَنَادِيهِ وَيَنْشُدُهُ
 كَانَتْهَا النَّاسُ مَا تَامُوا وَلَا حَلُمُوا^(١)

* * *

« خُذْ الْحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مِنْتَمَا
 فِي كَفِّهَا، الْفَارُ أَوْ فِي كَفِّهَا الْعَدَمُ،
 وَارْقُصْ عَلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَكِ مُتَّيِّداً
 غَنَّتْ لَكَ الطَّيْرُ، أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرُّجْمُ »

(١) حلم : كان ذا حلم ، أي ذا عقل

واعملْ كما تأمرُ الدنيا بلا مَضَضٍ
والجِمْ شعوركَ فيها ، إنَّها صَنَمٌ

فَمَنْ تَأَلَّمَ لم تُرَحِّمْ مَضاضُهُ
وَمَنْ مَجَلَّدَ لم تَهْزَأْ بِهِ الْقِيَمُ

هذي سعادةُ دُنْيانا ، فكن رجلاً
إنِ شئتَها - أبداً الآبادِ - يبتسم !

وإنْ أردتَ قضاءَ العيشِ في دَعَةٍ
شَعْرِيَّةٍ لا يُغَشِّي صَفْوَهَا نَدَمٌ

فاتركْ إلى الناسِ دُنْياهم وضجَّتْهم
وما بنَوْا لنظامِ العيشِ أو رَسَمُوا

واجعلْ حَيَاتَكَ دَوْحاً مُزْهِراً نَضِيراً
في عِزَّةِ الْغَابِ يَنْمُو ثُمَّ يَنْعَدِمُ
واجعلْ لِيَالِيكَ أَحْلَاماً مُفْرَدَةً
إِنَّ الْحَيَاةَ وَمَا تَدْوِي بِهِ نُحْلُسُ !

٢٦ رمضان ١٣٥١

٢٣ جانفي ١٩٣٣

من اغاني الرعاة

حل الشاعر صيفاً بعين دراهم « من الشبال التونسي »
مستشفياً . وهناك فوق الطبيعة المنزلاء الساحرة
والغابات الملتفة الهائلة ، والجبال الشم الجحلة بالسنديان
قضى عهداً شمرياً ، وادعاً ، خالصاً للشعر ، والسحر
والاحلام . وفي القصيد التالي صورة صغيرة من صور
الحياة بين تلك الجبال ، والأودية والغابات .

أقبلَ الصُّبْحُ ' يُغْنِني للحياةِ الناعمة '

والرُبى تحلمُ في ظلّ الفصون المائسة
والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة
وتهادى النشورُ في تلك الفجاج الدامسة

* * *

أقبلَ الصبحُ جيلًا ، بلاء الأفق به به
فتمطى الزهرُ ، والطيرُ ، وأمواجُ المياه
قد أفاق المسالمُ الحيُّ ، وغنى للحياة
فأفيعي يا خرافى ، واهلتي يا شياه

* * *

واتبعني يا شياهي ، بين أسراب الطيور
واملاي الوادي نغاءً ، وميراحا وحبور

واسمعي همس السواقي ، وانشقي عطرَ الزهور
وانظري الوادي ، يفشّيه الضبابُ المستنيرُ

* * *

واقطفي من كَلَا الأرض ، ومَرعاها الجديدُ
واسمعي شَبَابِي تشدو ، بمسول النشيدُ
تَنَمُّ يَصْعَدُ مِنْ قَلْبِي ، كَأَنفَاسِ الورودِ
ثم يَسْمُو طائِراً ، كالبلبل الشادي السعيدُ

* * *

وإذا جئنا إلى الغابِ ، وغَطَاَنَا الشجرُ
فاقطفي ما شئتِ من عُشْبٍ ، وزَهْرٍ ، وثَمَرٍ

أَرْضَعَتْهُ الشَّمْسُ بِالضَّوِّ ، وَغَذَّاهُ الْقَمَرُ
وَارْتَوَى مِنْ قَطَرَاتِ الطَّلِّ ، فِي وَقْتِ السَّحَرِ

* * *

وَامرَحِي مَا شَتَّ فِي الْوُدْيَانِ ، أَوْفَوْكَ التَّلَالُ
وَارْبُضِي فِي ظِلِّهَا الْوَارِفِ ، إِنْ خِفْتَ الْكَلَالُ
وَامْضِغِي الْأَعْشَابَ ، وَالْأَفْكَارَ فِي صِمْتِ الظَّلَالِ
وَاسْمِي الرِّيحَ تُغْنِي ، فِي شَمَارِيخِ الْجِبَالِ

* * *

إِنِّ فِي الْغَابِ أَزَاهِيرًا ، وَأَعْشَابًا عَذَابُ
يَنْشِدُ النَّحْلُ حَوَالِيهَا ، أَهَازِيحًا طَرَابُ
لَمْ تُدْنَسْ عِطْرَهَا الطَّامِرَ أَنْفَاسُ الذَّنَابِ

لا، ولا طَافَ بِهَا الثَّغْلُ فِي بَعْضِ الصَّحَابِ !

* * *

وَشَدَّاءَ حُلُوءٍ ، وَسِحْرَاءَ ، وَسَلَامًا ، وَظِلَالٍ
وَنَسِيمًا سَاحِرَ الْخُطُوءِ ، مَوْفُورَ الدَّلَالِ
وَعَصُونًا يَرْقُصُ النُّورُ عَلَيْهَا ، وَالْجَمَالَ
وَاخْضَرَارًا أَبَدِيًّا ، لَيْسَ كَنَعْنَعُوهِ اللَّيَالِ

* * *

لَنْ تَمَلِّئِي ، يَا خُرَافِي ، فِي حِمَى الْغَابِ الظَّلِيلِ
فَرِزْمَانُ الْغَابِ طِفْلٌ ، لَاعِبٌ ، عَذْبٌ ، جَمِيلٌ
وَزَمَانُ النَّاسِ شَيْخٌ ، عَابِسُ الْوَجْهِ ، ثَقِيلٌ
يَتَمَشَّى فِي مَلَالٍ ، فَوْقَ هَاتِيكَ السَّهُولِ

* * *

لكِ في الغابات مرعاك ، ومسعاكِ الجميل
وليّ الإنشاد ، والعزف إلى وقت الأصيل
فإذا طالت ظلال الكَلِّ الفضّ ، الضَّئيل
فهلنّ نرجع المسمى إلى الحيّ النبيل

١٠ شوال ١٣٥١

٦ فيفري ١٩٢٢

أيّتها الحالمة بين المواصف

•
أنتِ كالزهرة الجميلة في الغاب ،
ولكن ما بين شوكٍ ، ودود
والرياحين تحب الحسك الشرير
والدود من صنوف الورود
فافهمي الناس.. إنّما الناسُ خلُقُ
مفسدٌ في الوجود ، غيرُ رشيد

والسعيدُ السعيدُ من عاش كالليل
 غريباً في أهل هذا الوجود
 ودعهم يحْيُونَ في ظلمة الإثمِ
 وعيشي في طهرِكَ الممود
 كالملاك البريء ، كالوردة البيضاء ،
 كالسَّوْجِ ، في الحُفْمِ البعيد
 كأغاني الطُّيُورِ ، كالشفق السَّاحِرِ
 كالكوكب البعيد السعيد
 كنلوج الجبال ، يغمُرُها النور
 وتسمو على غبار الصَّعيد
 أنتِ تحت السماء روحٌ جميل
 صاغه الله من عبير الورود

وبنو الأرض كالقروود ، وما أضيّعَ عطرَ الورد بين القروود !
أنتِ من ريشة الإلاه ، فلا تُلقي بفنّ السما لجهل العبيد
أنتِ لم تخلفي لبشرُبكِ الناسُ ولكن لتُعَبّدي من بعيد ...

١٥ شوال ١٣٥١

١١ فيفري ١٩٣٣

للداريخ

البؤسُ لابن الشعب يأكلُ قلبه
والمجدُ والإثراءُ للأغراب
والشعبُ معصوبُ الجفون ، مقمّم
كالشاة ، بين الذئبِ والقصاب
والحقُّ مقطوعُ اللسان مكبّل
والظلمُ يمرّحُ مُذهَبُ الجلباب

هذا قليلٌ من حياةِ مُرّة
في دولة الأنصاب والألقاب

٢٠ شوال ١٣٥١

١٦ فيفري ١٩٣٣

صوت من السماء.

في الليل ناديتُ الكواكب ساخطا
متأججَ الآلام والآرابِ :
« الحقلُ يملكه جبابرة الدجى
والروض يسكنه بنو الأربابِ ،
« والنهر ، للفول المقدمة التي
لا ترقوي ، والغاب للمعطاب ،

« وعرائس الغاب الجميل هزيلة »
 « ظمأى لكلّ جنّى وكل شراب »
 « ما هذه الدنيا الكريمة ؟ وبلها ! »
 « حَفَّتْ عليها لعنة الأحقاد ! »
 « الكونُ مُصنَّعٌ ، يا كواكبُ ، خاشعٌ »
 « طال انتظاري ، فانطقي بجواب ! »

* * *

فسمعتُ صوتاً ساحراً ، متموجاً
 فوق المروج الفيح ، والأعشاب
 وحفيف أجنحةٍ ترفرف في الفضاء
 وصدى يرنّ على سكون الغاب :

« الفجرُ يولدُ باسمَا ، مُتَهَلِّلاً
في الكونِ ، بين دُجْنَةٍ وضبابٍ ،

١١ ذر القعدة ١٣٥١

٨ مارس ١٩٣٣

٣٨٥ ديوان أبي القاسم الشابي (٢٥)

ذكرو صباح

قدّس الله ذكره من صباحٍ
ساحرٍ ، في ظلال غابٍ جميلٍ
كان فيه النسيم ، يرقص سكراناً
على الورد ، والنبات البليلِ
وضباب الجبال ، ينساب في رفقٍ
بديعٍ ، على مروج السهولِ

وأغاني الرعاة ، تخفقُ في الأغوارِ
والسهلِ ، والربى ، والتلول
ورحابُ الفضاء ، تعمقُ بالأحان ،
والعطرِ ، والضياء الجميل
والملاكُ الجميلُ ، ما بين ريجانِ
وعُشبِ ، وسِنديانِ ظليل
يتغنّى مع العصافير في الغاب ،
ويرنو إلى الضباب الكسول
وشعور الملاك ترقص بالأزهار
والضوء ، والنسيم العليل

* * *

'حلم' ساحر' ، به حلم الغاب'
فواماً لحلمه المعسول !

مثل رؤيا تلوح للشاعر الفنان
في نشوة الخيال الجليل

قد قلبت 'سحرة' في أناة
وحنان ، ولذة ، وذهول

ثم ناديت' ، حينما طفح السحر
بأرجاء قلبي المتبول

يا شعور' تميد في الغاب بالر
يحان ، والنور ، والنسيم البليل

كبتلني بهاته الخصل المرخاة
في فتنة الدلال الملؤل

كَبِّلِي يَا سِلَاسِلَ الْحُبِّ أَفْكَأ
 رِي ، وَأَحْلَامَ قَلْبِي الضُّلَّيْلِ
 كَبِّلِي بِكُلِّ مَا فِيكَ مِنْ عِطْرِ
 وَسُحْرِ مَقْدَسٍ مَجْهُولِ
 كَبِّلِي ، فَإِنَّمَا يُصْبِحُ الْفَنَاءُ
 حَرًّا ، فِي مِثْلِ هَذَا الْكَبُولِ

* * *

لَيْتَ شَعْرِي ! كَمْ بَيْنَ أَمْوَاجِكَ السَّوْ
 دِ ، وَطَيِّبَاتِ لَيْلِكَ الْمَسْدُولِ
 مِنْ غَرَامٍ ، مُذَهَّبِ النَّاجِ ، مَيْتِ
 وَفُؤَادِ مُصَفَّدِ ، مَقْلُولِ

وزهورٍ من الأمانى تَذَوِي
 في شحوبٍ ، وخيبةٍ ، وخمول
 أنتِ لا تعلمين .. ، والليلُ لا يعلم
 كم في ظلاميه من قَتِيل
 أنتِ أَرْجُوحةُ النسيمِ فيلي
 بالنسيمِ السعيدِ كلُّ مَمِيل
 والبَثي للوردِ والظِّلُّ ، والأضواءُ
 في عُريكِ الجليلِ ، النبيل
 ودَعِي الشمسَ والسَّماءَ تُسَوِّي
 لكِ تاجاً من الضياءِ الجليل
 ودَعِي مُزْهِرَ الفصونِ يُقَشِّبُ
 لكِ بأوراقٍ وَرْدَهُ المطالول

* * *

للشعاع الجميل أنتِ ، وللأنسا
 م. ، والزهر ، فالعبيبي ، وأطيلي
 ودعي للشقي' أشواقه الظمأى
 وأوهامَ ذهنيه المعلول
 يا عروسَ الجبالِ ، يا وردةَ الآ
 مالِ ، يا فتنةَ الوجودِ الجليل
 ليتني كنتُ زهرةً ، تتثنى
 بين طيِّباتِ شعركِ المصفول !
 أو فرأشا ، أحومُ حولكِ مسحورا
 غريقاً في نشوتي ، وذهولي !
 أو غصونا ، أحنو عليكِ بأوراقِي
 'حنو' المدلِّ المتبول !

أو نسيماً ، أضْمُ صَدْرَكَ فِي رَفْقٍ
إِلَى صَدْرِي ، الْحَقُوقِ ، النَحِيلِ
أَمْ ! كَمْ يُسْعِدُ الْجَمَالَ ، وَيُشْفِي
مَنْ قُلُوبٍ شَعْرِيَّةٍ ، وَعُقُولَ ...

١٢ ذو القعدة ١٣٥١

٩ مارس ١٩٣٣

الرواية للغريبة

ضحكنا على الماضي البعيد ، وفي غدٍ
ستجعلنا الأيامُ أضحوكةً الآتي
ونلك هي الدنيا ، روايةٌ ساحرةٍ
عظيمٍ ، غريب الفن* ، مبدع آياتٍ
يمثلها الأحياءُ في مسرح الأسى
ووسط ضبابٍ لهم* ، تمثيل أمواتٍ

لِيَشْهَدَ مِنْ خَلْفِ الضَّيَابِ فَصُولَهَا
وَيَضْحَكُ مِنْهَا مَنْ يَمْتَلِ مَا يَأْتِي
وَكُلُّ يُوْدِّي دَوْرَهُ...، وَهُوَ ضَاحِكٌ
عَلَى الْغَيْرِ ، مَضْحُوكٌ عَلَى دَوْرِهِ الْعَاتِي

٢٠ ذر القعدة ١٣٥١

١٧ مارس ١٩٣٣

الصباح الجديد

واسكُني يا شجونُ	اسكُني يا جراحُ
وزمانُ الجنونِ	ماتَ عهدُ النّواحِ
مِنْ وراءِ القرونِ	وأطلَّ الصّباحُ

* * *

قد دفنتُ الألمَ	في فجّاج الرّدى
لرياحِ العدمِ	ونثرتُ الدُّمُوعَ

واِتَّخَذْتُ الحَيَاةَ مِعْزَفاً للنَّعْمِ
أَقْفَنِي عَلَيْهِ فِي رَحَابِ الزَّمَانِ

* * *

وَأَذِبتُ الأَسَى فِي جِمالِ الوجودِ
وَدَحَوْتُ الفؤَادَ وَاحِدَةً لِلنَّشِيدِ
وَالضُّيَا وَالظُّلَالَ وَالشَّدَى وَالورودِ
وَالهَوَى وَالشَّبَابَ وَالْمُنَى وَالْحَنَانَ

* * *

اسْكُنِي يَا جِرَاحَ واسْكُنِي يَا شَجُونَ
مَاتَ عَهْدُ النُّوَّاحِ وَزَمَانُ الْجُنُونِ
وَأَطْلَلُ الصَّبَاحَ مِنْ وَرَاءِ الْقُرُونِ

* * *

معبدٌ للجمال	في فؤادي الرقيب
بالرؤى والخيال	شيدته الحياة
في خشوع الظلال ...	فتلوت الصلاة
وأضأت الشموع ...	وحرقت البخور ..

* * *

خالداً لا يزول	إن سحرَ الحياة
من ظلام يحول	فسلام الشكاة
وتمرُّ الفصول ...	ثم يأتي الصباح
إن تقضى ربيع	سوف يأتي ربيع

* * *

واسكنني يا شجون	اسكنني يا جراح
وزمان الجنون	مات عهد النواح

وأطلّ الصّباح من وراء القرون

* * *

من وراء الظلام وهدير المياه
قد دعاني الصّباح وربيع الحياه
يا له من دُعَاء هزّ قلبي صداه !
لَمْ يَعدْ لي بقاء فوق هذي البقاع

* * *

الوداع ! الوداع ! يا جبال الهموم
يا ضباب الأمل ! يا فجاج الجحيم !
قد جرى زورقي في الخضم العظيم ...
ونشرت القلاع .. فالوداع ! الوداع !

١٣ ذو الحجة ١٣٥١

٩ افريل ١٩٣٣

الحاني السكرو

قد سكرنا بحبنا واكتفينا
يا مدير الكؤوسِ فاصرف كؤوسك
واسكب الخمر للعصافير والنحل
وخل النوى يضم عروسك

* * *

مالنا والكؤوس ، نطلب منها
نشوة والغرامُ سحرٌ وسُكرٌ !
خَلَّسْنَا مِنْكَ ، فالربيع لنا ساقٍ
وهذا الفضاءُ كأسٌ وخر !

* * *

نحن نحيا كالطير ، في الأفق الساجي
وكانحل ، فوق غضّ الزهورِ
لا ترى غيرَ فتنةِ العالم الحيّ
وأحلامِ قلبها المسحور ...

* * *

نحن نلهو تحتَ الظلالِ ، كطفلين
سعيدين ، في غرور الطفولة

وعلى الصخرة الجميلة في الوادي
وبين المخاوف الجهولة

* * *

نحن نغدو بين المروج وننمسي
ونفثي مع النسيم المنفثي
ونتأجج روح الطبيعة في الكون
وننصفي لقلبها المنفثي

* * *

نحن مثل الربيع : نمشي على أرض
من الزهر ، والبرؤى ، والخيال

فوقها يرقص الغرام ، ويلهو
ويغنى في نشوة ودلال

* * *

نحن نحيا في جنة من جنان السحر
في عالم بعيد ... ، بعيد ...

نحن في عشنا المورّد ، نتلو
سور الحب للشباب السعيد

* * *

قد تركنا الوجود للناس ، فليقضوا الحياة كيف أرادوا

وذهبنا بلبه ، وهو روح
وتركنا القشور ، وهي جساد

* * *

قد سكرنا بحبنا ، واكتفينا
طفح الكأس ، فاذهبوا يا سقاء

نحن نحييا فلا نريد مزيدا
حسبنا ما منعنا يا حياة

* * *

حسبنا زهرنا الذي نتنشى
حسبنا كأسنا التي نترشف

إِنّ في ثمرنا رحيقاً سماوياً
وفي قلبنا ربيماً مفوّفاً

* * *

أيا الدهر ! أيا الزمن الجاري
إلى غير وجهٍ وقرار !
أيا الكون ! أيا الفلك الدوّار
بالفجر ، والدجى ، والنهار !

* * *

أيا الموت ! أيا القدر الأعمى !
قفّوا حيث أنتم ! أو فسيروا

ودعونا هنا : تَفَنِّي لَنَا الْأَحْلَامُ
والحب ، والوجود ، الكبير

* * *

وإذا ما أَبْيَنْتُمْ ، فاحملونا
ولهيبُ الغرام في شفتينا
وزهورُ الحياة ، تعمقُ بالمطر
وبالسحر ، والصَّبَا في يديْنَا

٢٥ جمادي الأولى ١٣٥٢

١٥ سبتمبر ١٩٣٣

إرادة الحياة

إذا الشعب يوماً أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلي
ولا بد للقيد أن ينكسر
وَمَنْ لم يعانقه شوقُ الحياة
تبخر في جوّها ، واندثر

فويل لمن لم تَشُقْهُ الحِياةُ
من صفْمة العَدَمِ المنتصر
كذلك قالت لي الكائنات
وحدثني روحها المستر

* * *

ودمدت الرِّيحُ بين الفِجاجِ
وفوق الجبال وتحت الشجرِ :
« إذا ما طمعتُ إلى غايةِ
ركبتُ المُنَى، ونسيتُ الحذرُ،
« ولم أجتنبِ وعورَ الشَّعَابِ
ولا كُبَّةَ اللَّهَبِ المسترِ »

«وَمَنْ لَا يَحِبُّ صَعُودَ الْجِبَالِ
 يَعْشُ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْحُفَرِ ،
 فَمَجِئْتُ بِقَلْبِي دَمَاءُ الشَّبَابِ
 وَضَجْتُ بِصَدْرِي رِيحَ الْخَرِّ ..
 وَأَطْرَقْتُ ، أَصْغِي لِقِصَفِ الرُّعُودِ ،
 وَعَزَفَ الرِّيَّاحِ ، وَوَقَعَ الْمَطَرِ

* * *

وقالت لي الأرض- لما سألت : «أيا أمُّ هل تكرهين البشر؟» :
 «أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الْخَطَرِ ،
 «وَالْعَنُ مَنْ لَا يَمَانِي الزَّمَانَ ، وَيَقْنَعُ بِالْعَيْشِ عَيْشَ الْحَجَرِ ،
 «هُوَ الْكَوْنُ حَيٌّ» ، يَحِبُّ الْحَيَاةَ وَيَحْتَقِرُ الْمَيِّتَ ، مَهْمَا كَبُرَ ،
 «فَلَا الْأَفْتَقُ يَحْضُنُ مَيِّتَ الطَّيُورِ ، وَلَا النِّحْلُ يَلْتَمِ مَيِّتَ الزَّهْرِ ،

« ولولا أمومة 'قلي الرؤوم' لما ضمت الميتَ تلك الحُفَرُ ،
« فويلُ لمن لم تشقه الحياة ، من لعنة العدم المنتصر ! »

* * *

وفي ليلة من ليالي الخريف مثقلة بالأسى والضجر
سكرت بها من ضياء النجوم وغنيتُ للحزن حتى سكرتُ
سألتُ الدجى : هل 'تميد الحياة' لما أذبلته ربيعَ العمر ؟
فلم تنكلمْ شفاءُ الظلام ولم تترنمْ عذارى السحر
وقال لي الغابُ في رقعةٍ 'محبَّبةٍ' مثل خفنى الوتر :
« يحىء الشتاء ، شتاء الضباب ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر ،
« فينطفئ 'السحر' ، سحر الفصون ، وسحر الزهور ، وسحر الثمر ،
« وسحر السماء الشجي ، الوديع ، وسحر المروج الشهي ، المطير ،

«وتهوي الغصون» ، وأوراقها ، وأزهارُ عهدٍ حبيبٍ نضر ،
«وتلهو بها الريح في كل وادٍ ، ويدفنها السيل» ، أنثى عَبْر ،
«ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديع ، تالتقَ في مهجةٍ واندثر ،
«وتبقى البذور» ، التي 'حملتْ' ذخيرةَ 'عمرٍ جميلٍ ، غَبَر ،
«وذكرى فصولٍ ، ورؤيا حياةٍ ، وأشباحَ دنيا ، تلاشتْ زُمَر ،
«معانقة» - وهي تحت الضباب ، وتحت الثلوج ، وتحت المدَر ،
«لطيفِ الحياة الذي لا يُمَل» ، وقلبِ الربيعِ الشديّ الحُضر ،
«وحالة» بأغاني الطيور ، وعطرِ الزهور ، وطعمِ الثمر ،

* * *

«ويمشي الزمان ، فتتمو صروف ، وتذوي صروف ، وتحيا آخر» ،
«وتُصبحُ أحلامها بقنطرة» ، مُوشحةٌ بقموض السحَر ،

«تسائل : أين ضباب الصباح ؟ وسحرُ المساء؟ وضوء القمر؟»
«وأسرابُ ذاك الفَراشِ الأنيقِ ؟ ونخلٌ يغني؟ وغيمٌ يمر؟»
«وأين الأشعةُ والكائناتُ ؟ وأين الحياة التي أنتظر ؟»
«ظمئتُ إلى النور، فوق الفصون! ظمئتُ إلى الظلّ تحت الشجر،»
«ظمئتُ إلى النبع، بين المروج، يغني، ويرقص فوق الزهراء،»
«ظمئتُ إلى نغمات الطيور، وهمس النسيم، ولحن المطر،»
«ظمئتُ إلى الكون أين الوجودُ وأنسى أرى العالمَ المنتظر؟»
«هو الكون»، خلف سبات الجمود، وفي أفقِ اليقظات الكبير،

* * *

«وما هو إلاّ كخفق الجناح حتى نما شوقها وانتصر،»
«فصدعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصُّور،»

« وجاء الربيعُ بأنغامه ، وأَلامه ، و صباه العطر ،
 « وقبلها قَبْلًا في الشفاء ، تعمّد الشباب الذي قد غَبَرَ ،
 « وقال لها: قد مُنِحَت الحياةَ ، وخُلِدَت في نسلِك المَدَّخَر ،
 « وبارككِ النورُ ، فاستقبلي شبابَ الحياةِ وخِصْبَ العُمُر ،
 « وَمَن تعبد النورَ أحلامُهُ ، يُباركُهُ النورُ أنسى ظهر ،
 « إِيْلِكَ الفضاءَ ، إِيْلِكَ الضياءَ ، إِيْلِكَ الثرى الخالمَ ، المزدهر! ،
 « إِيْلِكَ الجمالَ الذي لا يَبِيدُ! إِيْلِكَ الوجودَ الرحيبَ ، النضير! ،
 « فبيدي - كما شئتِ - فوق الحقول ، بحلو الثمار و غصن الزَّهر ،
 « وناجي النسيمَ ، وناجي الغيومَ ، وناجي النجومَ ، وناجي القمر ،
 « وناجي الحياةَ وأشواقها ، وفتنةَ هذا الوجود الأغر ،

* * *

« وشفّ الدجى عن جمالٍ عميقٍ ، يشبُّ الخيالُ ، ويُنْذِكي الفكرُ ،
« ومُدَّ على الكونِ سِحْرٌ غريبٌ ، يُصَرِّفه ساحرٌ مقتدرٌ ،
« وضاءت شموعُ النجومِ الوضاء ، وضاع البَخورُ ، بخور الزَّهرِ ،
« ورفرف روحٌ ، غريبُ الجمالِ بأجنحةٍ من ضياء القمر ،
« ورنَّ نشيدُ الحياة المقدَّسُ في هيكَلٍ حالمٍ ، قد سحِرَ ،
« وأُعلِنَ في الكونِ : أنَّ الطموحَ لهيبُ الحياةِ ، وروحُ الظفرِ ،
« إذا طمعتَ للحياة النفوسُ فلا بدَّ أنْ يستجيبَ القدرُ ! »

٢٦ جمادى الأولى ١٣٥٢

١٦ سبتمبر ١٩٣٣

تمت الغصون

ههنا ، في خمائل الغاب ، تحت الزان ،
والسندبان ، والزيتون
أنتِ أشهى من الحياة وأبهى
من جمال الطبيعة الميمون
ما أرق الشباب ، في جسمك الغض
وفي جيدك البديع ، الثمين !

وأدقّ الجمالَ في طرفكِ الساهي ،
وفي ثغركِ الجميل ، الحزين !
والذّ الحياةَ حين تغتئين
فأصفي لصوتكِ المهزون
وأرى رُوحكِ الجميلةَ عطرا
ضائعا في حلاوة التلحين !
قد تغتبتِ منذُ حينٍ بصوتٍ
ناغمٍ ، حالمٍ ، شجيٍّ حنون
تغما كالحياة . عذبا عبقرا
في حنانٍ ، ورقّةٍ ، وحنين
فإذا الكون قطعةٌ من نشيدٍ
علويٍّ ، منغمٍّ ، موزون

فليمن كنتِ 'تنشدين' ؟ فقالت :
 « للضياء البنفسجي » الحزين
 « للضباب المورّد ، المتلاشي
 كخيالات حالم مفتون
 « للمساء المثلّ ، للشفق الساجي ،
 لسحر الأسي ، وسحر السكون ،
 « للعبير الذي يرفرف في الأفق
 ويفنى ، مثل المنى ، في سكون ،
 « للأغاني التي يرددها الراعي
 بمزمارة الصغير ، الأمين ،
 « للربيع الذي يؤجج في الدنيا
 حياة الهوى ، وروح الحنين ،

« ويوشّي الوجودَ بالسحر ، والأحلام
 والزهر ، والشذى ، والشُّحون ،
 للحياة التي تفتني حوالي !
 على السهل ، والربى ، والحُزون ،
 للينابيع ، للعصافير ، للظّل
 لهذا الثرى ، لتلك الفصون ،
 للنسيم الذي يضمّخ أحلامي
 بعطر الأقاح والليمون
 للجمال الذي يفيضُ على الدنيا ،
 لأشواق قلبي المشحون ،
 للزمان الذي يوشح أيتامي
 بضوء المئني ، وظلّ الشجون ،

« للشباب السكران ، للأمل المعبود ،
للأس ، للأسى ، للمذنون ،

* * *

فتنهدتُ ، ثم قلتُ : « وقلبي
مَنْ يَمْنِيهِ ؟ مَنْ يُبِيدُ شَجَوْنِي ؟ »

قالت : « الحُبُّ » ، ثم غنتُ لقلبي
« قَبْلَا عِبْقَرِيَّةَ التَّلْحِينِ

قَبْلَا ، علمت فؤادي الأغاني ،
وأناارت له ظلام السنينِ

* * *

قَبْلًا ، تَرْقُصُ السَّعَادَةُ وَالْحُبُّ
 عَلَى لَحْنِهَا الْعَمِيقِ الرَّصِينِ
 .. وَأَفْقُنَا ، فَقَلَّتْ كَالْحَالِمِ السَّحُورُ :
 « تَوَلَّى ، تَكَلَّمَنِي ، خَبَّرَنِي »
 « أَيُّ دُنْيَا مَسْحُورَةٌ ، أَيُّ رُؤْيَا
 طَالَعَتْنِي فِي ضَوْءِ هَذِي الْعَيُونِ :
 « زَمَرْتُ مِنْ مَلَائِكِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى
 يَغْنَتُونَ فِي حُنُوءٍ حَنُونِ »
 : وَصَبَايَا رَوَاقِصٍ ، يَتَرَاشِقْنَ
 بِزَهْرِ التَّفْصَاحِ وَالْيَاسْمِينِ ،
 « فِي فُضَايِ مُوَرَّدٍ ، حَالِمٍ ، سَامٍ ،
 أَطَافَتْ بِهِ عِذَارِي الْفَنُونِ ،

« وجعيم تَوُجُّ نَحْتِ فَرَادِيسَ
 كَأَحْلَامِ شَاعِرِ مَجْنُونِ ،
 « أَيُّ خَيْرٍ مُؤَجَّجٍ ، وَلَهِيْبٍ
 مُسْكِرٍ ؟ أَيُّ نَشْوَةٍ ، وَجْنُونِ ؟
 « أَيُّ خَيْرٍ رَشْفَتُ ، بَلْ أَيُّ نَارٍ
 فِي شَفَاةِ بَدِيعَةِ التَّكْوِينِ ،
 « وَرُدَّتْهَا الْحَيَاةُ فِي كَلْبِ السَّحَرِ ،
 وَنُورِ الْهَوَى ، وَظِلِّ الشَّجُونِ ،
 « أَيُّ إِثْمٍ مُقَدَّسٍ ، قَدْ لَبَسْنَا
 بُرْدَهُ فِي مَسَائِنَا الْمَيْمُونِ ؟
 فَبَدَا طَيْفُ بِسْمَةٍ ، سَاحِرٌ ، عَذْبٌ ، عَلَى ثَغَرِهَا ، قَوِيُّ الْفَتُونِ
 وَأَجَابَتْ - وَكَلَّمَتْهَا فَتْنَةٌ تَغْوِي ، وَتَغْوِي بِالْحُبِّ ، بَلْ بِالْجَنُونِ - :

«أبدا ! أنتَ حالمٌ» ، فاسأل الليلَ ، فعند الظلام علم اليقين ...»

* * *

وسكتنا ، وغرّدت الحُبُّ في الغاب ، فأصغى حتى حفيفُ الفصون
وبنى اللّيلُ والرّبيعُ حوالتنا من السّحَر والرّؤى والسكون
معبدًا للجمال ، والحُبُّ شِريًا ، مَشِيدًا على فِجاج السنين
تحته يزخرُ الزّمانُ ويجري

صامتًا في مَسِيله المحزون
وتمرُّ الأيامُ ، والحزنُ ، والموتُ ، بعيدا عن ظله المأمون
معبدًا ، ساحرا ، مباخرُهُ الزّهرُ
على الصّخرِ ، والثرى ، والفصون

كلُّ زَهْرٍ يَضُوعُ مِنْهُ أَرِيحُ
 مِنْ بَخُورِ الرَّبِيعِ ، جَمُّ الْفَتُونِ
 وَنَجُومُ السَّمَاءِ فِيهِ شَمُوعُ
 أَوْ قَدَّتْهَا لِلْحُبِّ رُوحُ الْقُرُونِ
 وَمَضَتْ نَسْمَةٌ تَوَسَّوسُ لِلْغَابِ ،
 وَتَشْدُو فِي عُمُقِ ذَاكَ السَّكُونِ
 وَطَفَى السَّحَرُ ، وَالْغَرَامُ بِقَلْبِي
 فَتَوَسَّلْتُ ضَارِعاً يَحْفُونِي :
 « طَهَّرِي يَا مُثْقِلَةَ الرُّوحِ ثَغْرِي
 بِلَهَبِ الْحَيَاةِ ، بَلْ قَبِّلِي ،
 « إِنْ نَارَ الْحَيَاةِ وَالْكُوْثَرَ الْمُنْشُودَ
 فِي ثَغْرِكَ الشَّهِي » ، الْحَزِينِ ،

« فهو كأسٌ سحريةٌ لرحيق الخلد
قد صاغها إله الفنون ،

« قبليني ، وأسكيري شغري الصادي
وقلي ، وفنتي ، وجنوني ،

علني أستطيع أن أتغنى
لجمال الدجى بوحى العيون ،

« آه ! ما أجمل الظلام ! وأقوى
وحيه في فؤادي المفتون !

« انظري الليل فهو حلة الأحلام
يمشي على الذرى والحزون ،

« واسمعي الغاب ، فهو قبشارة الكون
تغنى لحبنا الميمون ،

إنَّ سحر الضباب ، والليل ، والغاب
بعيدُ المدى ، قويُ الفتون
« وجمال الظلام يعبق بالأحلام
والحبّ . . فابمي ، والشميني »
.

« آه ! ما أعذب الغرام ! وأحلى
رنةَ اللثم في خشوع السكون ! »

* * *

... وسكرانا هناك... في عالم الأحلام
تحت السماء ، تحت الغصون . .

وتواری الوجود عنّا بما فيه ...
وغبنّا في عالم مفتون ...
ونسینا الحیاة ، والموت ، والسكون
ومما فيه من مُنسى وممنون

١ جمادی الثانیة ١٣٥٢

٢١ سبتمبر ١٩٣٣

الى الشعب

أين يا شعبُ قلبك الخافقُ الحساسُ ؟
أين الطموحُ ، والأحلامُ ؟
أين يا شعبُ ، روحك الشاعرُ الفنانُ ؟
أين الخيالُ والإلهامُ ؟
أين يا شعبُ ، فنك الساحرُ الخلاقُ ؟
أين الرسومُ والأنعامُ ؟

إِنَّ يَمَّ الْحَيَاةِ يَدْوِي حَوْلَ السَّيِّكِ
 فَأَيْنَ الْمُسْفِرُ الْمَقْدَامِ
 أَيْنَ عِزَمِ الْحَيَاةِ ؟ لَا شَيْءَ إِلَّا
 الْمَوْتُ ، وَالصَّمْتُ ، وَالْأَسَى ، وَالظَّلَامِ
 عُمُرٌ مَبِيتٌ ، وَقَلْبٌ خَوَاءٌ ،
 وَدَمٌ لَا ثَبِيرَهُ الْآلَامِ
 وَحَيَاةٌ تَنَامُ فِي ظِلْمَةِ الْوَادِي
 وَتَنُمُو مِنْ فَوْقِهَا الْأَوْهَامِ
 أَيُّ عَيْشٍ هَذَا ، وَأَيُّ حَيَاةٍ ؟ !
 (رُبَّ عَيْشٍ أَخَفُّ مِنْهُ الْحِمَامُ^(١))
 قَدْ مَشَتْ حَوْلَكَ الْفُصُولُ وَغَنَّتْكَ
 فَلَمْ تَبْتَهِّجْ ، وَلَمْ تَقْرَنْ

(١) عجز هذا البيت للفتني ، صدره :
 ذلٌّ مَنْ يَغْبِطُ الذَّلِيلَ بِمَيْشٍ

وَدَوَّتْ فَوْقَكَ الْعَوَاصِفُ وَالْأَنْوَاءُ
 حَتَّى أَوْشَكْتَ أَنْ تَحْطِمَ
 وَأَطَافَتْ بِكَ الْوَحُوشُ وَنَاشَتْكَ
 فَلَمْ تَضْطَرْبْ ، وَلَمْ تَتَأَلَّمْ
 يَا إِلَهِ ! أَمَا تَحْسُ ؟ أَمَا تَشْدُو ؟
 أَمَا تَشْتَكِي ؟ أَمَا تَتَكَلَّمُ ؟
 مَلَّ نَهْرُ الزَّمَانِ أَيَّامَكَ الْمَوْتَى
 وَأَنْقَاضَ عُمْرِكَ الْمُنْهَدِمِ
 أَنْتَ لَا مَيِّتَ فَيَبْلَى ، وَلَا حَيٍّ
 فَيَمْشِي ، بَلْ كَائِنٌ ، لَيْسَ بِنَفْسِهِمْ .
 أَبَدًا يَرْمُقُ الْفَرَاغَ بِطَرْفٍ
 جَامِدٍ ، لَا يَرَى الْعَوَالِمَ ، مُظْلِمِ

أيُّ سِحْرٍ دهاكُ، هل أنتَ محوَرُ
شقي؟ أو ماردٌ يتَهَكَّمُ؟

* * *

آوِ ! بل أنتَ في الشعوبِ عجوزُ،
فيلسوفُ، مُعْطَمٌ في إهابِهِ
ماتَ شوقُ الشبابِ في قلبِهِ الداوي،
وعزمُ الحياةِ في أعصابِهِ
فمضى ينشدُ السلامَ ..، بعيداً ...
في « قبور الزمان » خلفَ هضابِهِ
وهناك، اصطفى البقاءَ مع الأمواتِ،
في « قبر أمه » غيرَ أبيهِ . .

وارتضى القبرَ مسكنًا ، تتلاشى
 فيه أيامُ عُمرِهِ المُتَشَابِهَةِ
 وتناسى الحياةَ ، والزَّمنَ الدَّائِي ،
 وما كان مِنْ قديمِ رَغَابِهِ
 فالزَّمنَ القبرَ ... فهو بيتٌ شبيهٌ
 بكَ في صمتِ قلبِهِ ، وخرابِهِ
 واعبدِ الأَمْسَ ، واذا كِرْ صُورَ المَاضِي
 فدُنُوبُنا العَجُوزِ ذِكرى شَبَابِهِ ..

* * *

وإذا مَرَّتِ الحياةُ حوَالَيْكَ
 جميلًا ، كالزَّهَرِ غَضًّا صَبَاها

تتفتى الحياة بالشوق والعزم
فيُحْيِي قلبَ الجمادِ غناها
والربيعُ الجميلُ يرقص فوق
الورد ، والعشب ، مُنْشِداً ، ثيها
ومشى الناسُ خلفها ، يَتَمَلَّوْنَ
جمالَ الوجود في مرآها
فاحذَر السَّحَرَةَ ! أيها الناسُ الكَيدِيسُ
إنَّ الحياةَ يُغْشِي بِهاها
والربيعُ الفَنَّانُ شاعِرُها المَفْتونُ
يُغْشِي بِحَبِّها وهواها
وتَمَلَّ الجَمالَ في رَمَمِ الموتى !..
بعيدا عن سحرها وصداها

وتَغَزَلُ بِسِحْرِ أَيْتَامِكَ الْأَوَّلَى
وَحَلَّ الْحَيَاةَ تَخْطُو خَطَايَا

* * *

وإذا هبَّت الطيورُ معَ الفجرِ ،
تُفَنِّي بينَ المروجِ الجميلةِ
وتُحَيِّي الحياةَ ، والعالمَ الحيَّ ،
بصوتِ المحبةِ المعسولةِ
والفراشِ الجميلِ رَفَرَفَ في الروضِ ،
بِنَاجِي زهوره المطولةِ
وأفاقَ الوجودِ لِلنَّعْمِ المُجَنَّدِي
وللسَّعْيِ ، والمعانيِ الجليلةِ

ومشى الناس في الشّعاب، وفي الغاب،
 وفوق المسالكِ المجهولة
 ينشدون الجمال، والنشور، والأفراح
 والمجد، والحياة النبيلة
 فاغضض الطرف في الظلام ! وحاذر
 فِتنة النشور... فهي رؤيا مهولة
 وصباح الحياة لا يُوقِظُ الموتى
 ولا يرحمُ الجفونَ السكيلة

* * *

كل شيء يعاطف العالم الحي،
 ويذكي حياته، ويفيده

والذي لا 'يجاب الكونَ بالإحساس
 عبءٌ على الوجود و'جودهُ'
 كلُّ شيءٍ 'يسايرُ الزمنَ الماشي
 بعزمٍ ، حتى الترابُ ، ودودهُ'
 كلُّ شيءٍ - إلا لك - حيٌ ، عطوفٌ
 يؤنسُ الكونَ شوقه ، ونشيدهُ'
 فلماذا تعيش في الكون يا صاحِ !
 وما فيك من جنى يستفيدهُ'
 لستَ يا شيخُ للعباءِ بأهلٍ
 أنت داءٌ يُبيدها وتبيدهُ'
 أنت قفَرٌ جهنميٌ لعينٍ ،
 مظلمٌ ، قاحلٌ ، مُريعٌ جودهُ'

لا تَرَفُ الحَيَاةُ فِيهِ ، فلا طِيرُ
يُفْنِئِي ، ولا سَحَابٌ يَجْنُودُهُ

* * *

أَنْتَ يَا كَاهِنَ الظُّلَامِ حَيَاةُ
تَعْبُدُ الْمَوْتَ ..! أَنْتَ رُوحُ شَقِيٍّ

كَافِرٌ بِالْحَيَاةِ وَالنُّورِ ..، لا يُصْنِئِي
إِلَى الْكَوْنِ قَلْبُهُ الْحَجَرِيُّ

أَنْتَ قَلْبٌ ، لا شَوْقَ فِيهِ وَلَا عِزَمَ
وَهَذَا دَاءُ الْحَيَاةِ الدَّوِي

أَنْتَ دُنْيَا ، يُظِلُّهَا أَفَقُ الْمَاضِي
وَلَيْلُ الْكَاتِبَةِ الْأَبَدِيِّ

مات فيها الزمانُ ، والكونُ إلا
أمرها الغابرُ ، القديمُ ، القصيُ
والشقيُّ الشقيُّ في الأرض قلبُ
يَوْمُهُ مَبْتُ ، وماضيهِ حيُّ
أنتَ لا شيءَ في الوجودِ ، ففادِرُهُ
إلى الموتِ فَهُوَ عَنْكَ غَنِيُّ

٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٢

١٥ أكتوبر ١٩٥٣

للناس

ما قدسَ المثلَ الأعلى وجماله
في أعينِ الناسِ إلاّ أنتَ حلّمُ !
ولو مشى فيهمُ حيّا لحطّمه
قومٌ ، وقالوا بخبثٍ : «إنته صنمُ» !
لا يعبدُ الناسُ إلاّ كلَّ منعدمٍ
ممنّوعٍ ، ولتمنّ حابّاهُمُ العدم !

حتى العباقرة' الأفذاذ ، 'حبهم'
يلقى الشقاء وتلقى مجدها الرمم!

* * *

الناس لا ينصفون الحيّ بينهم'
حتى إذا ما توارى عنهم' ندموا !
الويل للناس من أهوائهم ! أبدا
يمشي الزمان' وريح الشر تحدم' ...

٢٠ شعبان ١٣٥٢

٨ ديسمبر ١٩٣٣

مناقب العظمة

إذا صغرت نفسُ الفقى كانت شوقه
صغيرا ، فلم يتعب ، ولم يتجشم
وَمَن كان جبَّارَ المطامع لم يزل
يلاقى من الدنيا ضراوةَ قَشم

٢٣ شعبان ١٣٥٢

١١ ديسمبر ١٩٣٣

نضيد الجبار

أو هكذا غنى بروميشيوس

سأعيش رغمَ الداءِ والأعداءِ
كالنسر فوق القِمَّةِ الشَّمْماءِ

أرنو إلى الشمسِ المضيئة .. ، هازئاً
بالشَّعْبِ ، والأمطار ، والأنواءِ ...

لا أرمقُ الظلَّ الكئيبَ... ولا أرى
ما في قرارِ الهوَّةِ السوداء...

وأسيرُ في دنيا الشاعرِ حالماً ،
غرداً - وتلك سعادة الشعراء -

أصغى لموسيقى الحياة ، ووحىها
وأذيب روحَ الكونِ في إنشائي

وأصيحُ للصوت الإلهي الذي
يُحيي بقلبي ميتَ الأصداء

* * *

وأقول للقدر الذي لا ينشئ
عن حرب آمالي بكلِّ بلاء :

« لا يطفىء اللهبَ المؤجَّجَ في دمي
 موجُ الأسى ، وعواصف الأرزاء ،
 « فاهدم فؤادي ما استطعتَ ، فإنَّه
 سيكون مثل الصخرة الصماء ،
 « لا يعرف الشكوى الذليلة والبكا ،
 وضراعةَ الأطفال والضعفاء ،
 « ويميش جبَّارا ، يحدِّق دائما
 بالفجر .. ، بالفجر الجميل النائي ،
 « واملأ طريقي بالخوافِ ، والدُّجى ،
 وزواجر الأشواك ، والحصباء ،
 « وانشر عليه الرُّعبَ ، وانثر فوقه
 رُجمَ الرّدى ، وصواعق البأساء ،

« سأظلّ أمشي رغم ذلك ، عازفاً ،
قيثارتي ، مترنماً بغنائتي ،

« أمشي بروحٍ حالمٍ ، متوهجٍ
في ظلمة الآلام والأدواء ،

« النور في قلبي وبين جوانحي
فعلام أخشى السير في الظلماء ؟ ،

« إنّي أنا الناي الذي لا تنتهي
أنغامه ، ما دام في الأحياء ،

« وأنا الخِصَمُ الرَّحَبُ ، ليس تزيد
إلاّ حياةً سطوةً الأنواء ،

« أمّا إذا خمدت حياتي ، وانقضى
عُمري ، وأخرست المنية نائي ،

« وخبا لبيبُ الكون في قلبي الذي
 قد عاش مثلَ الشعلةِ الحمراء ،
 « فأنا السعيد بأنني مُتَحَوِّلٌ
 عن عالم الآثام والبغضاء ،
 « لأذوبَ في فجر الجمال السرمديّ
 وأرقوي من منهلِ الأضواء ،

* * *

وأقولَ للجمع الذين تجشتموا
 هدمي وودّوا لو يخرّ بنائي
 وراؤا على الأشواك ظلّتي هامداً
 فتخيّلوا أنسي قضيتُ دَمائي

وَعَدُوا يَشْبُونَ اللَّسِبَ بِكُلِّ مَا
وَجَدُوا . . ، لِيَشَوْا فَوْقَهُ أَشْلَائِي

وَمَضَوْا يَمْدُونِ الْخِيَانَ ، لِيَأْكُلُوا
لِحْمِي ، وَيَرْقُشُوا عَلَيْهِ دِمَائِي

إِنِّي أَقُولُ لَهُمْ - وَوَجْهِي مَشْرِقٌ
وَعَلَى شِفَاهِي بِسْمَةُ اسْتِهْزَاءٍ - :

« إِنِّ الْمَاعُولَ لَا تَهْدِي مَنَاكِبِي
وَالنَّارَ لَا تَأْتِي عَلَى أَعْضَائِي ،

« فَارْمُوا إِلَى النَّارِ الْحَشَائِشَ . . ، وَالْعَبَا
يَا مَعْشَرَ الْأَطْفَالِ تَحْتَ سَمَائِي ،

« وَإِذَا تَمَرَّدَتِ الْعَوَاصِفُ ، وَانْتَشَى
بَاهُولٍ قَلْبُ الْقَبِيَّةِ الزَّرْقَاءِ ،

« ورأيتُموني طائرا مترنما
فوق الزوابع ، في الفضاء النائي ،

« فارموا على ظلي الحجارة ، واحتفوا
خوفَ الرياحِ الهُوجِ والألواء ... ،

« وهناك ، في أمنِّ البيوت ، قطارحوا
غثَ الحديث ، وميتَ الآراء ،

« وترنموا - ما شتمُ - بشتاتي
وتجاهروا - ما شتمُ - بعِدائي ،

« أمّا أنا فأجيبكم من فوقكم
والشمسُ والشفقُ الجميل إزائي : ،

مَن جاش بالوحي المقدس قلبه
لم يحتفل بحجارة الفناء ،

٢٧ شعبان ١٣٥٢

١٥ ديسمبر ١٩٣٣

زوبعة في ظلام

لو كانت الأيام في قبضتي
أذريتها للريح ، مثل الرمال

وقلت : « يا ريح » بها فاذهي
وبدديها في سحيق الجبال ،

« بل في فجاج الموت .. في عالمٍ
لا يرقص النور به والظلال ... »

* * *

لو كان هذا الكون في قبضي
ألقيته في النار ، نار الجحيم
ما هذه الدنيا ، وهذا الوري
وذلك الأفق ، وتلك النجوم ؟ !
النار أولى بعبيد الأسي ،
ومسرح الموت ، و«عش» الهموم

* * *

يا أيها الماضي الذي قد قضى
وضمته الموت ، وليل الأبد !

يا حاضر الناس الذي لم يَزُلْ !
يا أيها الآتي الذي لم يلد !
سخافةٌ دنياكم هذه
قائمةٌ في ظلمة لا تُعَدُّ !..

٧ رمضان ١٣٥٢

٢٤ ديسمبر ١٩٣٣

الاعتراف

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي
- ومشاعري عمياء بالأحزان -
أنني سأظماً للحياة ، واحتسي
من نهرها المتوهج النشوان
وأعودُ للدنيا بقلب خافقٍ
للحب ، والأفراح ، والألحان

ولكل ما في الكون من صور المنى
وغرائب الأهواء والأشجان
حتى تحركت السنون ، وأقبلت
فتن الحياة بسحرها الفتان
فإذا أنا ما زلت طفلاً ، مولماً
بتمقّب الأضواء والألوان
وإذا التناؤم بالحياة ورفضها
ضرباً من البهتان والهديان
إنّ ابن آدم في قرارة نفسه
عبد الحياة الصادق الإيمان

٣ ذو القعدة ١٣٥٢

١٧ فيفري ١٩٣٤

قلب الهاء

كلّ ما هبّ ، وما دبّ ، وما
نام ، أو حام على هذا الوجود
من طيورٍ ، وزهورٍ ، وشذى
وينابيع ، وأغصان تميد

وبجاري ، وكهوف ، وذرى
 وبراكين ، ووديان ، وبسد
 وضياء ، وظلال ، ودجى ،
 وفصول ، وغيوم ، ورعود
 وثلوج ، وضباب عابر ،
 وأعاصير ، وأمطار تجود
 وفعاليم ، ودين ، ورؤى ،
 وأحاسيس ، وصمت ، ونشيد
 كلها تحبا بقلبي حُرّة
 غصّة السحر ، كأطفال الخلود

* * *

ههنا ، في قلبيَ الرُحْبِ العميقِ
يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود

ههنا ، نعصف أهوال الدجى
ههنا ، نتحقق أحلام الورود

ههنا ، تهتفُ أصداءُ الفنا
ههنا ، تعزفُ ألحانُ الخلود

ههنا ، تمشي الأمانى ، والهوى ،
والأسى ، في موكبِ فخرِ النشيد

ههنا الفجر الذي لا ينتهي
ههنا الليل الذي ليس يبيد

ههنا ، ألفُ خضمٍ . ثائرٍ ،
خالِدِ الثورةِ ، مجهولِ الحدود

ههنا ، في كلِّ آنٍ تمّعي

صُورُ الدنيا ، وقبّو من جديد

٢٩ ذر القعدة ١٣٥٢

١٦ مارس ١٩٣٤

إلى طغاة العالم

ألا أيتها الظالم المستبِدُّ
حييَّب الظلام ، عدوَّ الحياة

سخرتَ بأنات شعب ضعيف
وكفَّك مخضوبة من دماء

وسرت تشوّهٌ سِحْرَ الوجودِ
وتبذر شوك الأسي في ربّاه

* * *

رؤيدك ! لا يخدعنك الربيعُ
وصحوُ الفضاء ، وضوء الصباح
ففي الأفقِ الرحب هولُ الظلام
وقصفُ الرعود ، وعصف الرياح
حذار ! فتحت الرماد اللهبُ
ومن يبذر الشوك يحن الجراح

* * *

تأمل ! هنالك .. أنتى حصدت
رؤوسَ الوري ، وزهورَ الأمل

ورويّت بالدم قلبَ السراب
وأشربتَه الدمعَ ، حتّى ثل
سيجرفك السيلُ ، سيلُ الدماء
ويأكلُك العاصفُ المشتعل

٢٣ ذو الحجة ١٣٥٢

٨ أبريل ١٩٣٤

الغاب

بيتٌ ، بَنَتْهُ لِيَ الحَيَاةُ من الشَّدَى ،
والظلُّ ، والأضواء ، والأنعام
بيتٌ ، من السَّحَرِ الجميل ، مُشَيَّدٌ
للَّعِبِ ، والأحلام ، والإلهام
في الغاب سِحْرٌ رائعٌ مُتَجَدِّدٌ
باقٍ على الأَيَّامِ والأعوام

وشذى كأجنحة الملائك ، غامض
 سام يرفرف في سكون سام
 وجداول ، تشدو بمسول الغنا
 وتسير حاملة ، بغير نظام
 ومخارف نسج الزمان بساطها
 من يابس الأوراق والأكام
 وحنا عليها الدوح ، في جبروته
 بالظل ، والأغصان والأنسام
 في الغاب ، في تلك المخارف ، والرؤى ،
 وعلى التلّاع الخضر ، والآجام
 كم من مشاعر ، حلوة ، مجهولة
 سكرى ، ومن فكّر ، ومن أوهام

غَنَّتْ ، كأمراب الطيور ، ورفرفت
 حولي ، وذابت كاللذخان ، أمامي
 وَلَكُمْ أَصْغَتْ ، إلى أناشيد الأسي
 وتهدِ الآلام والأقسام
 وإلى الرياح الناعحات كأنها
 في الغاب تبكي مَيَّتَ الأيام
 وإلى الشباب ، مُغْنِيًا ، مُتَرَنِّمًا
 حولي بألحان الغرام الظامي
 وسمعتُ للطير ، المفرد في الفضاء
 والسنديان ، الشامخ ، المتسامي
 وإلى أناشيد الرعاة ، مُرَفَّةً
 في الغاب ، شاديةً كسرب يَمَام

وإلى الصدى ، المِراح ، يهتف راقصا
 بين الفجاج الفيح والآكام
 حتى غدا قلبي كنّاي ، مُنزع
 ثَميل من الألحاح والأنغام
 فشدوتُ باللحن الغريب مُجَنّعا
 بكآبة الأحلام والآلام
 في الغاب ، دنيا للخيال ، وللرؤى ،
 والشعر ، والتفكير ، والأحلام
 لله يوم مضيتُ أولَ مَرّةٍ
 للغاب ، أَرْزَحُ تحت عبء سقامي
 ودخلته وحدي ، وحوّلي موكبُ
 هزج ، من الأحلام والأوهام

ومشيتُ تحتِ ظلاله مُتَهَيِّباً
كالطفل ، في صمتٍ ، وفي استسلام
أرّنو إل الأذوَاحِ ، في جبروتها
فاخالها عَمَدَ السَّاءِ أمامي
قد مسّها سَحَرُ الحَيَاةِ ، فأورّقتُ
وتَمَايَلَتْ في جَنَّةِ الأحلام
وأصيحُ للصُّمْتِ المفكّرِ ، هاتِفاً
في مسمي بفرائب الأنفام
فإذا أنا في نَشْوَةٍ شمريةٍ
فبِأَضَةٍ بالوحي والإلهام
ومشاعري في يقظةٍ مسعورةٍ

(١)

(١) يباح بالأصل والسودات .

وَسَنَسَى كَيْقِظَةَ آدَمَ لَمَّا سَرَى
 فِي جِسْمِهِ رُوحَ الْحَيَاةِ النَّامِي
 وَشَجَّتْهُ مُوسِيقَى الْوُجُودِ ، وَعَانَقَتْ أَحْلَامَهُ فِي رَقَةٍ وَسَلَامِ
 وَرَأَى الْفَرَادِيسَ ، الْأَنْبِقَةَ ، تَنْثَنِي
 فِي مُتَرَفِّ الْأَزْهَارِ وَالْأَكَامِ
 وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ ، كَالْأَشْعَةَ فِي الْفَضَا
 تَنْسَابُ سَابِجَةً ، بِغَيْرِ نِظَامِ
 وَأَحْسَ رُوحَ الْكَوْنِ تَخْفِقُ حَوْلَهُ
 فِي الظُّلِّ ، وَالْأَضْوَاءِ ، وَالْأَنْسَامِ
 وَالْكَائِنَاتِ ، تَحُوطُهُ بِجَنَانِهَا
 وَبِحَبِّهَا ، الرَّحْبِ ، الْعَمِيقِ ، الطَّامِي

حتى تَمَلَأَ بالحياةِ كِيَانُهُ
 ويسمى وراءَ مواكِبِ الأَيْتَامِ
 ولَرُبَّ صُبْحٍ غَائِمٍ مُتَحَجِّبٍ
 في كَلْبَةٍ من زَعَزَعٍ وِغَمَامِ
 تتنفسُ الدنيا ضباباً ، هائماً
 مُتَدَفِّعاً في أفقهِ المُتَرَامِي
 والريحُ تخفقُ في الفضاء ، وفي الثرى
 وعلى الجبالِ الشَّمُ ، والآكامِ
 باكَرَتْ فيه الغابِ مَوْهُونَ الْقُوى
 متخاذِلَ الخطُواتِ والأقدامِ
 وجلستُ تحتَ السنديانة ، واجماً
 أرنو إلى الأفقِ الكئيبِ ، أمامي

فأرى المباني في الضباب ، كأنها
 فِكْرٌ ، بأرض الشك والإيهام
 أو عالمٌ ، ما زال يُولدُ في فضاء
 الكون ، بين غياهبِ وسدام
 وأرى الفجاءَ الدامساتِ ، خلاله
 ومشاهدَ الوديان والآجام
 فكأنها 'شعبُ الجحيم' رهبة
 ملفوفة في غُثَّةٍ وظلام
 'صور' ، من الفن المروع ، أعجزت
 و'حني' القريض وريشة الرسام
 ولكم مساءً ، حالمٍ متوشح
 بالظل ، والضوء الحزين الدامي

قد سرتُ في غابي ، كفكرٍ هائمٍ
 في نشوةِ الأحلام والإلهام
 شعري ، وأفكاري ، وكلُّ مشاعري
 منشورةٌ للنُّور والأنسام
 والأفقُ يزخر بالأشعةِ والشذى
 والأرضُ بالأعشاب والأكمام
 والقابُ ساجٍ ، والحياةُ مصيخةٌ
 والأفقُ . والشفقُ الجميلُ أمامي
 وعروسُ أحلامي تداعبُ عودَها
 فيرنّ قلبي بالصدى وعظامي
 روحٌ ، أنا مسحورةٌ ، في عالمٍ
 فوق الزمان الزاخر الدوام

* * *

في الغاب ، في الغاب الحبيب ، وإنَّ
 حَرَمُ الطَّيْبَةِ وَالْجَمالِ السَّامِي
 طَهَّرْتُ في نَارِ الْجَمالِ مِشاعِرِي
 وَلَقِيتُ في دُنْيا الْخِمالِ سَلامِي
 وَنَسِيتُ دُنْيا النَّاسِ ، فِهي سَخافَةٌ
 سَكَّرَني مِنَ الْأوهامِ والآثامِ !
 وَقَبَسْتُ مِنْ عَطْفِ الْوِجودِ وَحُبِّهِ
 وَجَالِهُ قَبْسا ، أَضاءَ ظَلامِي
 فَرَأَيْتُ ألوانَ الْحِياةِ نَضِيرةً
 كَنَضارةِ الزَّهَرِ الْجَميلِ النَّامِي
 وَوَجَدْتُ سِحْرَ الْكونِ أَسْمى عَنصرا
 وَأَجَلَ مِنْ حَزْني وَمِنْ آلامِي

فَأَهْبَيْتُ مَسْعُورَ الْمَشَاعِرِ ، حَالاً
 : نَشْوَانَ بِالْقَلْبِ الْكَثِيبِ الدَّامِي :
 « الْمَعْبُدُ الْحَيُّ الْمَقْدَسُ هُنَا !
 يَا كَاهِنَ الْأَحْزَانِ وَالْآلَامِ ،
 « فَاخْلَعْ مُسُوحَ الْحُزْنِ تَحْتَ ظِلَالِهِ
 وَالْبَسْ رِدَاءَ الشُّعْرِ وَالْأَحْلَامِ ،
 « وَارْفَعْ صَلَاتَكَ لِلْجَمَالِ ، عَمِيقَةً
 مَشْبُوبَةً بِحَرَارَةِ الْإِلْهَامِ ،
 « وَاصْدَحْ بِالْحَنِّ الْحَيَاةَ ، جَمِيلَةً
 كَجَمَالِ هَذَا الْعَالَمِ الْبِئْسَ ،
 « وَاخْفُقْ مَعَ الْعِطْرِ الْمَرْفُوفِ فِي الْفَضَا
 وَارْقُصْ مَعَ الْأَضْوَاءِ وَالْأَنْسَامِ ،

« ومع الينابيع الطليقة والصدى ،

(١) ، »

وذروا أفكار الحزينة للدجى

ونثرتها لمواصف الأيتام

ومضيت أشدو للأشعة ساحراً

من صوت أحزاني ، وبطش سقامي

وهتفت : « يا روح الجمال تدفئني

كالنهر في فكري ، وفي أحلامي »

« وتغلغلي كالنور ، في روحي التي

ذبلت من الأحزان والآلام »

(١) بياض بالأصل والسودات .

«أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخر دافقاً كالنَّارِ، في روح الوجود النامي،
«ويصوغ أحلام الطبيعةِ فاجعلي، عمُري نشيداً ساحراً الأنغام،
«وشذَى يَضُوعُ مع الأشعةِ والرؤَى
في معبد الحقِّ الجليل السامي،

١٠ ربيع الثاني ١٣٥٣

٢٣ جويلية ١٩٣٤

حرم الامومة

الأمُ تلثمُ طفلَها ، وتضمُّه
حرمٌ سماويُّ الجمال مقدسُ
تأله الأفكارُ ، وهي جوارءُ
وتعود طاهرةً هناك الأنفسُ
حرمُ الحياة بظهرها وحنانها
هل فوقه حرمٌ أجلُّ وأقدسُ ؟

بوركتَ يا حَرَمَ الأُمومةِ والصُّبَا
كم فيك تكتمل الحياةُ وتقدُّسُ

٢١ ربيع الثاني ١٣٥٣

٣ أوت ١٩٣٤

شكوى ضائعة

يا ليلُ ! ما تصنع النفسُ التي سكنت
هذا الوجودَ ، وِمنْ أعدائها القدرُ ؟
ترضى وتسكت ؟ هذا غير محتمل !
إذا ، فهل ترفض الدنيا ، وتنتحر ؟
وذا جنونٌ لمَمَرِي ، كلُّه جَزَعٌ
باكٍ ، ورأيٌ مريضٌ ، كلُّه خَوَرٌ !

فإنّما الموت ضربٌ من حبائله
لا يُفْلَتُ الخَلْقُ ما عاشوا، فما النظر؟

هذا هو اللغزُ، سَمَاءُ وعَقْدَةُ
على الخَلِيقَةِ وحشٌ فائقٌ حذرٍ

قد كَسَلَ القدرُ الضاري فرائسه
فما استطاعوا له دفعا، ولا حَزَرُوا

وخاطَ أَعْيُنَهُمْ، كي لا تشاهدَه
عينٌ، فتعلمَ ما يأتي وما يذر

وحاطهم بفنونٍ من حبائله
فما لهم أبداً من بطشه وزر

لا الموت يُنقِذهم من هول صولته
ولا الحياةُ. تَسَاوَى الناسُ والحجر!

حارّ المساكين، وارتاعوا، وأعجزهم
 أن يحذروه ، وهل يُجديهم الحذر
 وهم يعيشون في دنيا مشبّدة
 من الخطوب ، وكون كلّه خطر ؟
 وكيف يحذر أعمى ، مدّليج ، قعيب ،
 هول الظلام ، ولا عزم ولا بصر ؟
 قد أيقنوا أنه لا شيء يُنقذهم
 فاستسلموا لسكون الرعب ، وانتظروا .
 ولو رأوه لسارت كي تحاربّه
 من الوري زُمر ، في إثرها زمر
 وفارت الجنّ ، والأملاك ناقمة
 والبحر ، والبرّ ، والأفلاك ، والعُصر

لكنه قوةٌ تملي إرادتها
سرّاً ، فنَعْنُو لها قهراً ، ونأمرُ
حقيقةً مرّةً ، يا ليل ، مُبَغْضَةٌ
كالموت ، لكن إليها الوردُ والصدرُ

* * *

تنهَدَ الليلُ ، حتى قلت : « قد نُشِرَتْ »
تلك النجومُ ، ومات الجنُّ والبشرُ ،
وعاد للصمت .. ، يُصغى في كتابته
- كالفيلسوف - إلى الدنيا ، ويفتكر ..
وقهقهَ القدرُ الجبارُ ، سخريةً
بالكائنات . تَضاحَكَ أيُّها القدرُ !

نمشي إلى العدم المحتوم ، باكية
طوائفُ الخلق والأشكالُ والصور

وأنت فوقَ الأسى والموتِ ، مبتسمٌ
ترنو إلى الكونِ ، يُبْنى ، ثمّ يندثر

٢٣ ربيع الثاني ١٣٥٣
٥ اوت ١٩٣٤

الدنيا المبهمة

إنني أرى .. ، فأرى جموعاً جَمَّةً
لكنّها تحيا بلا البابِ
يبدو حواليتها الزمان ، كأنّما
يبدو حوالسيّ جندلٍ و تراب
وإذا استجابوا للزمان تناكروا
وتراشقوا بالشوك والأحصاب

وقضوا على روح الأخوة بينهم
جهلا وعاشوا عيشة الأعراب

ففرحت بهم غولُ التعاسة والفناء
ومطامعُ السُّلابِ والغلابِ

لعبٌ، وتحركها المطامعُ، واللاهِي
وصة ثرُ الأحقاد والآرابِ

وأرى نفوساً من دُخان جامدٍ
ميتٍ، كأشباحٍ، وراء ضبابِ

موتى، نسوا شوقَ الحياة وعزمها
وتحركوا كتحريكِ الأنصابِ

وخسأ بهم لهبُ الوجود، فما بقوا
إلا كمتريقٍ من الأخشابِ

لا قلبَ يفتحهمُ الحياةَ ، ولا حِجَى
 يسمو سُمُوَّ الطائرِ الجوّابِ
 بل في الترابِ الميّتِ ، في حَزَنِ الثرى
 تنمو مشاعرهم مع الأعشاب
 وتموت خاملةً ، كزهريّ بائس
 ينمو ويذبلُ في ظلام الغاب
 أبدا نُحدّقُ في الترابِ .. ، ولا تَرَى
 نورَ السماء . ، فروحها ككتاب .. !
 الشاعر الموهوبُ يُهرِقُ فنّه
 هدرًا على الأقدام والأعتاب
 ويعيش في كونٍ عقيمٍ ، ميّتٍ ،
 قد شيدته غباوةُ الأحقاب .

والعالمُ النّحريرُ يُنفِقُ عُمرَه
في فهم ألفاظٍ ، ودرس كتاب
يحيا على رِمَمِ القَدِيمِ المُجْتَنَوِي
كالذُّودِ في حَمْرِ الرّمادِ الخابي
والشعبُ بينها قطيعٌ ضائعٌ
دنياه دنيا مأكَلٍ وشراب

* * *

الويلُ للحساسِ في دنياهمُ
ما ذا يلاقي من أَسَىٍّ وعذاب !

٢٨ ربيع الثاني ١٣٥٣

١٠ اوت ١٩٣٤

فلسفة الشعبان المقدس

فلسفة الشعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان . وكما تحدث الشعبان في القطعة التالية الى الشحورر بلغة الفلسفة المتصوفة حينما حاول ان يزين له الهلاك الذي اوقعه فيه ، فسماه « تضحية » وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس ...

كذلك تحدث اليوم سياسة الغرب الى الشعوب الضعيفة بلغة الشمر والاحلام حيثما تحاول ان تسوغ

طريقتها في ابتلاعها والعمل لقتل ميزاتها القومية
فتسميها : « سياسة الإدماج » وتكلم عنها كالسبيل
الوحيد الذي لا مخرج عنه لهاته الشعوب اذا ارادت
نيل حقوقها في هذا العالم ، وبلوغ الكمال الانساني
النشود ، ولكن الغناء حقيقة شنيعة . مبغضة ، لا
ينقص من فظاعتها وكرهها كل ما في التصوف والفلسفة
والشعر من خيال واحلام .

كان الربيعُ الحيُّ روحاً ، حالماً
غضُّ الشباب ، ممطرُ الجلبابِ
يمشى على الدنيا بفكرة شاعريّة ،
ويطوفها في موكبٍ خلاّب
والأفقُ يملأ الحنانُ ، كأنّه
قلبُ الوجود المتّجِّجِ الوهّابِ

والكون من طُهرٍ الحياة كأنما
هُوَ معبدٌ ، والغابُ كالمُهرابِ

والشاعرُ الشعُورُ يرقصُ ، منشدا
للشمس ، فوقَ الوردِ والأعشاب

شعرَ السعادة والسلام ، ونفسه
سَكَنَى بِسِحْرِ الْعَالَمِ الْخِلَابِ

ورآه ثعبانُ الجبال ، ففمه
ما فيه من مَرَحٍ ، وفَيْضِ شَبَابِ

وانقضَّ ، مُضْطَغِنًا عَلَيْهِ ، كَأَنَّهُ
سوطُ الْقِضَاءِ ، ولَعْنَةُ الْأَرْبَابِ

بُغِيَ الشَّقِيُّ ، فصاح في هول القضا
منلفتنَا للصائل المُنْتَابِ

وَتَدَفَّقَ الْمَسْكِينُ يَصْرُخُ نَائِرًا :
 « ماذا جنيتُ أنا فَحَقَّ عِقَابِي ! »
 « لا شيءَ ، إلَّا أَنَّنِي مُتَغَزَّلٌ »
 بالكائنات ، مَغْرَدٌ فِي غَايِ ،
 « وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جُرْمٌ .. » مَالِه
 عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدَّ عِقَاب !
 « أَلْقَى مِنَ الدُّنْيَا حَنَانًا طَاهِرًا
 وَأَبْثَثَهَا نَجْوَى الْحُبِّ الصَّابِي »
 « أَبْعَدُ هَذَا فِي الْوُجُودِ جَرِيمَةٌ ؟ ! »
 أَيْنَ الْعَدَالَةُ يَا رِفَاقَ شَبَابِي ؟
 « لَا [أَيْنَ ؟] ، فَالْشَّرْعُ الْمُقَدَّسُ هَهُنَا
 رَأَى الْقَوِيَّ وَفِكْرَةُ الْغَلَّابِ ! »
 « وَسَعَادَةُ الضَّعْفَاءِ جُرْمٌ .. » مَالِه
 عِنْدَ الْقَوِيِّ سَوَى أَشَدَّ عِقَاب !

« ولتشهد الدنيا التي غَشِيَتْهَا
حلمَ الشباب ، وروعة الإعجاب
« أن السلامَ حقيقةٌ مَكْذُوبَةٌ
والعدلَ فلسفةُ اللهبِ الخابي »
« لا عدلَ ، إلاَّ إنَّ تعادلتِ القوَى
وتَصَادَمَ الإرهابُ بالإرهاب ،
فتَبَسَّمَ الثعبانُ بِسمةٍ هازيةٍ
وأجاب في نِجْمَةٍ ، وفَرَطٍ كِذَابٍ :
« يا أيها الغِرُّ المثررُ ، إنَّني
أرثي لثورة جهلك التلاب ،
« والغِرُّ يعذره الحكيمُ إذا طغى
جهلُ الصِّبَا في قلبه الوثاب ،

« فاكبح عواطفك الجوامح ، إنَّها
ضردتْ بلبُّك ، واستمع لخطابي »

« إنَّني إلهٌ ، طالما عبَدَ الوري
ظلَّتي ، وخافوا لعنَّتي وعقابي »

« وتقدّموا لي بالضعايا منهم
فرحين ، شأنَ العابد الأواب »

« وسعادةُ النفسِ التقيّة أنَّها
يوماً تكونُ ضحيّة الأرباب »

« فتصير في رُوحِ الألوهة بضعةً
قدسيّةً ، خلصتْ من الأوشاب »

« أفلا يسرُّك أن تكون ضحيّتي
فتحلّ في لحمي وفي أعصابي »

« ونكونَ عزماً في دمي ، وتوهّجاً
 في ناظرَيَّ ، وحيدةً في ناي ،
 « وقذوبَ في روحي التي لا تنتهي
 وتصبرَ بعضَ ألوهي وشبابي ؟..
 « إنني أردتُ لك الخلودَ مؤلّها
 في روحي الباقي على الأحقاب ..
 فكّرْ ، لتدركَ ما أريدُ ، وإنه
 أسمى من العيش القصير النايي ،
 فأجابه الشحرورُ في غصص الرّدى
 والموتُ يخنقه : « إليك جوابي :
 « لا رأيَ للحقّ الضعيف ، ولا صدَى ،
 والرأيُ ، رأيُ الفاهرِ الغلاب ،

« فافعلْ مشيئتَكَ التي قد شئتَهَا
وارحمْ جلالَكَ من سماع خطايي »

* * *

وكذاكَ تتخذُ المظالمُ منطقاً
عذْباً لتخفي سوءَةَ الآرابِ

٩ جمادى الأولى ١٣٥٣

٢٠ أوت ١٩٣٤

قال قلبو لاله (١)

في جبال الهموم أنبت أغصاني ،
فرفت بين الصخور بجهد
وتفشاني الضباب .. ، فأورقت
وأزهرت للعواصف وحدي

(١) القصيدة في الأصل المخطوط بدير تاريخ .

وقابلتُ في الظلام ، وعطرتُ
 فضاء الأسى بأنفاس وردي
 وبمجد الحياة ، والشوقِ غَنِيَتْ ..
 فلم تفهم الأعاصير قصدي
 ورَمَتْ للوهاد أفناني الخُضْرَ ،
 وظللتُ في الثلج تحفر لحدي
 ومضتُ بالشذي فقلت : « سبني
 في مروج السماء بالمِطرِ مَجْدي »
 وتَفَزَّلتُ بالربيع ، وبالفجر
 فماذا ستفعل الريح بمدي ،

زئير الماصف (١)

تسألني : « ما لي سكت » ، ولم أهيبُ
بقومي ، وديحورُ المصائب مظلُمُ ،
« وسيل الرزايا جارف » ، متدفعُ
غضوبُ ، ووجه الدهر أربدُ ، أقتمُ ؟

* * *

(١) القصيدة في الأصل المخطوط بغير تاريخ .

سكتُ ، وقد كانت قناتيَ عضّةً
تصبّخ إلى همس النسيم ، وتحلّم
وقلتُ ، وقد أصغتُ إلى الريح مرّةً
فجاش بها إعصاره المتهمز
وقلتُ وقد جاش القريض بخاطري
كما جاش صخبُ الأواذي ، أسعم :

* * *

« أرى المجد معصوبَ الجبين مُجدّلاً
على حَسَكِ الآلام ، يغمره الدم »
« وقد كان وضّاح الأسارير ، باسماً
يهبُ إلى النجلى ، ولا يتبرّم ،

* * *

« فبما أيتها الظلم المصغر خذ »
 « رويدك ! إنَّ الدهر يبني ويهدم »
 « سيشار للعزَّ المحطَّم تاجِه »
 « رجالٌ إذا جاش الردى فهمُ همُ »
 « رجالٌ يرون الذلَّ عارا وسُبةً »
 « ولا يرهبون الموتَ ، والموتُ مُقدم »
 « وهل تملي إلا نفوسُ أبيَّة »
 « تصدع أغلالَ الهوانِ ، وتَحطِّمُ »

إِيَّاكَ وَالتَّعْدِيقَ مِنْ
 خَلَلِ الْبَرَقِيعِ لِلْحَوَرِ
 وَتَطَاوُلِ الْأَعْنَاقِ نَحْوَ جَمَالِ رَبَّاتِ الْحَفَرِ
 فَالْحَبَّ فِي طَفْيَانِهِ
 كَالسَّيْلِ إِمَّا بِهِمْ
 فَالْقَدَحِ حَسَوْتُ زُعَافِيَهُ
 وَخَبَّرْتُ مِنْ الْمُسْتَشْرِ

كهرباء الغرام

كَهْرَبَاءُ الْغَرَامِ فِي الْأَعْيُنِ النَّجْلِ ، وَتِيَارُهُمَا بَسْلُكَ الْجَفُونِ
يُرْسِلُ اللَّحْظَ لِلْقُلُوبِ كَنُورٍ
فَإِذَا مَسَّهَا فَتَّارُ الْمَنُونِ
فَإِذَا مَا انْجَلَى نَقَابُ الْأَمَانِي
صَارَ صَبَاً ، مُدَلِّهَا ، ذَا فَتُونِ
يَقْرَعُ السَّنَّ حُرْقَةً وَابْتِهَالَا
وَبَصِيرَ الْحُبُورِ لَيْلَ شَجُونِ

صبيحة الحب

نسمة كهبت على ضوء القمر
تفخت في كأي أحزان الخلد
ضاق صدري، من جراحها ، واستمر
وأراق الوجد آساد الجلد
كيف لي بالصبر ، والصبر اندثر
تحت أقدام الجوى ، لما انقصد

كيف لي ...؟ والحبّ لا يبقى على
جلدِ القلب ، بأشواق الهيام

كيف لي ...؟ والحبّ قد زاد إلى
صعقَات الحزن أنثاء السَّقام

آه ! كم 'تلهي' أوهامُ الصَّبَا
في قبور الحبّ ، من قلبٍ بشيرٍ

آه ! كم 'تبكي' أفانينُ الرَبَى
كلّ صبّ بابتسامات الزَّهرِ

آه ! كم تخدعُ الحاظُ الطَّبَا
كلّ صبّ ، بسوادٍ وحوَرِ

آه ! أَوَّادُ ! وهمل تنفعني
 إنَّمَا « آه » كَرَنَاتِ الصِّدَائِي
 يَا فِتَاتِي ! هل تُلَبِّي دَعْوَةَ
 صعدتُ مِنْ غَوْرٍ أَعْمَاقِ الْفُؤَادِ ؟
 رَفَرَفْتَ وَالْحُبَّ ، وَهَنَا ، خَلْسَةً
 مِنْ عَيُونِ الدَّهْرِ ، فِي لَيْلِ الْحِدَادِ
 سَكَبَتْهَا الرُّوحُ ، لَيْلًا ، نَفْمَةً
 فِي جَلَالِ الْكَوْنِ ، فِي صَمْتِ الْعِبَادِ
 بِحَيَاةِ الْحُبِّ ، لَبِّي دَعْوَتِي
 وَابْعَثِي رُوحَكَ لِلرُّوحِ الْحَزِينِ
 لَا تَخَافِي ، فَالذَّجَى يَرْجُو الْبَقَى
 جَرَّعَنَّهُ الْحُبُّ فِي كَأْسِ السَّكُونِ

يَا عروسَ الحبِّ ، هَبَا واخلمي
من جفوني الدَّامِيَات الأرقا

واذكري أصوات قلبي ، واسمعي
مهجتي الظمياء أنغامَ اللثقا

اوَدعيني في عذابِي ، واسرعي
واحذري أن تسمعي صوت الشقا

يا فتاتي ذكّري اللّيل بما
نَفَثَتْهُ الرّوحُ في صدر الظلام

واسألي أملاكَ حُبِّي في السما
عن خشوعي ، وابتسامي للسقام

كَمْ سَمِعْتُ اللَّيْلَ يَمْشِي هَامِيسَا
 فِي خُشُوعِ الْكَوْنِ أَنْتَارِ الشُّعُورِ
 وَهَدْوِ اللَّيْلِ بِسْمَى حَارِصَا
 لِمَلَاكِ الْحُبِّ ، فِي صَدْرِ الْأَثِيرِ
 وَفِئَادِي إِذْ تَوَلَّاهُ الْأَسَى
 يَفْتَفِي الْأَثَارَ فِي ظِلِّ الصَّدُورِ
 كَمْ سَمِعْتُ اللَّيْلَ ، وَاللَّيْلَ اخْتَفَى
 فِي ضَبَابِ الْفَجْرِ ، كَالطَّيْرِ الْأَصَمِ
 يَسْكُبُ الْحُبَّ بِأَلْحَانِ الْوَفَا
 بِأَكْبَا بِالْدمْعِ ، مِنْ جَفْنِ الْأَلَمِ

وَعُودُ الْغَوَانِي

عَلَّمَنِي بَارْتَشافَ الضَّرَبِ
مِنْ جَنَى ثَغْرِ جَمِيلِ أَشْنَبِ

قَدْ تَحَلَّى طَلْعَهُ مِنْ ظُلَمِ
يَخْلُبُ اللَّبَّ بِنَظْمِ الْحَبَبِ

فإذا القولُ سرابٌ لامع
وإذا الوعدُ كبرقٍ خلَّبِ
وإذا المربعُ قاعٌ صفصف
مقفر ، إلا بيرث الطنَّب

•

ليلة عند الحبيب

أنا مأسورٌ لِذاتِ الحُجُبِ
بِنِبالٍ صُوِّبَتْ عَنْ كَشَبِ
كَاعِبٍ ، هيفاءٍ ، بَضٍّ ، طِفَّةٍ
دُمْنَةٍ مِنْهَا جَمِيعُ الْعَجَبِ
خَطَرَتْ نَمَشِي بَرُوضٍ زَاهِرٍ
مَشْيَةِ الْخَيْلِ بِوَحْلِ السَّبَبِ

ورنت نحوي بطرفٍ فآثر
ينفث السحر يحفز أهدب

ونبال صوّبتّها ، جمّة
نحو قلبي الهائم المضطرب

ترسل الليلَ بفرعٍ فاحمٍ
ضاع من جنّحه نشرُ الزونب

لستُ أنسى ليلةً حالكة
مُرّيلتُ زرقاؤها بالسحب

ليستُ ثوبَ ظلام دامنٍ
وسكونٍ هائلٍ ذي رهبٍ

ليلةً قد خضتها ، منفردا
 في دياجى جوف ذاك الغيب
 سار بي مهريّ فيها عنقا
 وزمانا سيرة ذو خبب
 عاديا بي ، مشيا ، أو منجدا
 حاذفا نحر الفضا بالحصب
 فمشوتُ النّارَ في صدر الحمى
 وحدها تخفق بين الحُجب
 فدخلتُ الحمى ، والسترُ الدجى
 وولّجتُ الخدرَ واللّيل صبي

ورفعتُ الستّرَ ، فافتَرَ الدجى
عن جمالٍ ساحرٍ مُحتَجِبِ

فقضينَا ليلةً ، جادت بها
راحةُ الدهرِ ، الضنين القلبِ

تحتِ ظلِّ الحبِّ ، الليل الذي
ضمّنا في كَفِّهِ ، يسخرُ بي

هكذا ... حتّى إذا روتنا
ذَنبُ الصَّبَحِ ، كذَنبِ العِزِّ

قَبَّلَتْنِي ، ولَهَبُ الألمِ المرّ في مَدَمِهَا المُشَكِّبِ
مثلَ طَلٍّ ، فوق وردٍ ، ويلتي !
منْ جَرَى طَلْعَةِ ذاك الذَنبِ

ثمّ قالت : يا حبيبي ! سرّ على
كلامِ الرَّحمان ، في المنقلب

فتودّعنا ، وكلّ قلبه
في جعيم مؤلم ، ملتهب .

ليت شعري

مَزَقَّتْ ثُوبَ سَكُونِ اللَّيْلِ أَنَاثُ كَلِيمٍ
بَيْنَ طِيَّاتِ سِجَافِ الْفَاسِقِ ، الدَّاجِي الْبَهِيمِ
حَرَكَتْ مِنْهُي شَعُورًا
كَأَنَّ مِنْ قَبْلُ رَمِيمٍ
فَتَحَسَّسْتُ مَكَانَ الصَّوْتِ ، فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ

فَإِذَا بِالْأَرْضِ مُلْقَى
 هَيْكَلٌ نِضُو كَلْسُومُ
 عَفْرَقْنَهُ التَّشْرِبُ وَالْعَيْنُ عَلَى الْحَدِّ سَجُومُ
 فَتَأْمَلْتُ قَلْبًا
 وَجْهَهُ تَحْتَ الْعَبُومِ
 فَإِذَا الْمُلْقَى بِوَادِي
 وَطَنِي جِسْمُ الْمَلُومِ !

يَا بَنِي الْأَوْطَانِ هُبُّوا
 فَلَقْد طَالَ الْوُجُومُ
 وَانْهَضُوا نَهْضَةً جَبَّاسًا
 رِ بَعِزْمِ مُسْتَقِيمِ

لستُ أبغي نهضة العاجِيزِ يتلُوها الحُسومُ
 لَيتَ شعري ! هل سحابُ
 الجَمل تَذرُوهُ العقيمُ ؟
 فترى الأعينُ بَدَرَ العلمِ
 قد شقَّ الغيومُ ؟
 لَيتَ شعري ! يا بلادي
 هل تصَافيكِ العلومُ ؟

هو سكون الليل

أيتها الليل الكئيب !
أيتها الليل الغريب !
من وراء الهول ، من خاف نقاب الظلمات
في خلاياك تراءت لي أحزان الحياة
ها أنا أرنو فألفيك كجبارٍ عظيم
ساكننا ، جلستك الحزن ، وأضناك الوجوم

هاجما طافَتْ بِأَعْشَارِكَ أَحْلَامَ غَضَابِ
صامتاً ، تصفي لأنات الأسى ، والانتعابِ

رَابِضاً كَالهَوَلِ فِي إِحْدَى زَوَايا الْهَوايَةِ
سَاكِباً فِي رَاحَةِ الْفَجْرِ ، الدُّمُوعِ الدَّامِيَةِ

ضَلَّ مَنْ سَمَّاكَ ، يَا لَيْلَ بْنِي الْحَزَنِ ، بِهِمِ
إِنَّمَا أَنْتَ بِمَا تَحْوِيهِ مِنْ شَجَوَرٍ ، رَحِيمِ

ما الذي خلف الغيومَ ... ؟

ما الذي خلف النجومَ ... ؟

ما الذي يَكْتُمُهُ الدَّهْرُ ، وَيُخْفِيهِ الْقَدْرُ ؟

ما الذي يحجبه غِيمُ الْحَيَاةِ ... الْأَرْبَدُ ؟

ما الذي خلفك يَا لَيْلُ ! أَوْيَلُ أَمْ سَلامُ ؟

ما الذي خلفك ؟ يَا لَيْلُ ! أُنُورُ ؟ أَمْ ظَلامُ ؟

هل سيبدو الفجرُ بَسَامًا ، كَعَذراءِ الخُلُودِ
قَالِيَا أَنشُودَةَ الحُبِّ ، على مِمعِ الوجودِ ؟

أَمْ سيبدو مِنْ وراءِ الأفقِ ، جَبَّاراً عَنيدُ
يُنذِرُ الأَيَّامَ بالشرِّ ، وبالهولِ المرِيدُ ؟

هل سيبدو الفجرُ ، يا ليلُ ! إذا جاء الغدُ
وجناحاه إذا رَفَّ اللّهُيبُ الأسودُ ؟

أَيُّهَا القلبُ الدّهَاقُ
بشجون لا تطاقُ

أَيُّهَا المحزونُ يا شاعرِ الدهرِ الكثيبِ
إنَّمَا أنشودةُ الدهرِ نواحُ ، ونحيبُ

هَيَّا يَا لَيْلُ لِنَسْمَعِ نَحْوَ هَاتِيكَ الفلاةُ
حيث تقضي بسكون ، زاهرات فاضرات

إن ما بين أزهير الفلاة الواجيمه
شاعرا أبناسه حُزنُ الحَيَاة السَّامِه
وعلى التَّشْرِيبِ ، الذي اخْضَلْ بِأنداء الغَمَامِ
خَطَّ : « دَعْنِي فِي سَبَاقِي وَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ »

الى البابل

أيتها البابل يا شاعر أحلام الربيع
غَنَّنِي إِنَّ عَلَى صَوْتِكَ أُنْدَاءَ الدُمُوعِ
غَنَّنِي فَهُوَ يَرِي فِي أَمَلِ الْقَلْبِ الصَّرِيعِ
ثَاءَ الْفِكْرِ يَنَاجِي حَيْرَةَ الْفِكْرِ الشَّرِيدِ
بِخَشْوَعٍ وَسُكُونٍ وَحَنِينٍ
يُنْكَلِثُ

انفضّ الطلّ ففي الطلّ حياة حائره
 شرّدتّها عن فؤاد الليل كفّ جائره
 وتغرّدْ إنْ للوردة عينا فاتره
 أغمضتّها راحة الليل فقد هبّ الصباح
 إنّما أنتَ حياة ساحره
 تترنّم

رقتل التّغريدَ شعريّا على سمع الزهور
 واترك الرقّة تهفو حول أوراद الغدير
 فعروس النهر قد هبّت يناغيها الخريف
 وتَهَبَّتْ نسمةُ الفجر الشعاعَ المستطير
 مثل هفّافِ الغيوم السابح
 في ضحاها

إِنَّ أَلْحَانَ الظَّلامِ أَثَرُهُ الْمَكْتُوبُ
تَتَوَارَى بِسُكُونٍ خَلْفَ تِلْكَ الْأَسْحَابِ
سَمِ الْوَرْدُ أَنْبِيَاءُ السُّوعَةِ الْمُنْتَجِبِ
فَانْشُدِ اللَّحْنَ رَحِيمًا يَطْرِبُ الْكَوْنُ رَنِيمَهُ
وَادْفِنِ الْحَسْرَةَ فِي اللَّحْدِ الرَّحِيبِ

ورؤاها

فِيكَ يَا بَلْبَلُ مَا فِي الشَّعْرِ مِنْ وَحْيِ نَعُوبُ
فِيكَ مَا فِي الْفَجْرِ مِنْ رَقَّةٍ لِأَلَاءِ طُرُوبِ
فِيكَ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ فَنٍّ وَمِنْ سِحْرِ خَلُوبِ
فِيكَ مَا فِي الزَّهْرَةِ مِنْ شَعْرِ الدَّمُوعِ
فِيكَ مَا فِي الدَّمْعَةِ الْمُنْعَدِرَةِ

من معاني

انفُثَ الشَّعْرَ ففِي شَعْرِكَ رُوحُ خَالِدِهِ
 كَلَامًا هَبَّتْ عَلَى تِلْكَ الزُّهُورِ الرَّاقِدِ
 أَيْقَظَتْ فِي صَدْرِهَا نَبْضَ الْحَيَاةِ الْهَاجِدِ
 فَاسْتَفَاقَتْ تَتَفَنَّى بِأَغَانٍ سَاجِدِ
 وَعَلَى أَجْفَانِهَا سَحَرٌ نَضِيرٌ

وَأَمَانِ

فِيكَ يَا طَيْرُ قَوَّجِسْتُ أَغَارِيدَ الْحَيَاةِ
 وَتَسَمَّعْتُ لِصَوْتِ رَاضٍ عَنْ قَلْبِي صَدَاةِ
 فغَدَا يَنْشُدُهُ ، لَكِنَّهُ خَابَ وَتَوَّاهِ
 فَتَهَاوَى مُضْزِرَمَ الْغُلَّةِ ، مَشْبُوبَا صَدَاةِ
 لِأَغَارِيدِ الْحَيَاةِ الضَّائِعَةِ

وَلُغَاهَا

إِنَّ فِي صَدْرِكَ أَوْتَارَ السَّمَاءِ السَّاجِمِ
 وَبِأَعْمَاقِكَ أَحْلَامَ الْحَيَاةِ الرَّائِعِ
 وَبِآفَاقِكَ فَجْرًا مِنْ حَيَاةٍ رَاقِعِ
 فِي رِيَاضِ الظَّهْرِ فِي قَلْبِكَ الْمَغْنَى الْخَالِدِ
 وَبِأَجْفَانِكَ أَضْوَاءَ عَذَابٍ
 مِنْ سَمَاهَا

أَنْتَ لَحْنٌ سَاحِرٌ قَدْ جَسَّمِ الدَّهْرُ صَدَاهُ
 فَغَدَا يَهْتَفُ صَدَاحًا بِأَنْغَامِ هَوَاهُ
 رَامِقًا فِي نَضْرَةِ الْأَزْهَارِ أَطْيَافَ مُنَاهُ
 سَاكِبًا مِنْ قَلْبِهِ الطَّافِحِ بِالْوَحْيِ لُحُونَهُ
 فِي فَوَادٍ الْوَرْدَةِ الْمُسْتَمِعِ
 لِرُخِيمِهِ

مِنْ نَشِيدِ الْقَلْبِ فِي ظِلِّ الْحَيَاةِ الشَّاعِرِ
مِنْ دُمُوعِ الْحُبِّ مِنْ سِحْرِ الْأَمَانِي النَّاضِرِ
مِنْ لُطْفِ اللَّوْعَةِ فِي تِلْكَ الْأَغَانِي الْحَاثِرِ
فِي عَيُونِ الْخُرُودِ الْعَيْنِ ضِيَاءُ ضَاكِرِ
صَاغَكَ الدَّهْرُ مَلَكَ سَاكِرِ

برنيمه

أَنْتَ قَلْبُ الشَّاعِرِ الْمَتَرَعِ بِالْحُبِّ النَّمِيرِ
سَاءَ مَوْطِنُهُ الضَّنْكَ وَمَأْوَاهُ الْحَقِيرِ
فَهَبَا وَالشُّوقُ يُدْنِيهِ إِلَى النُّورِ النَّضِيرِ
ثُمَّ أَمْسَى بَيْنَ أَفْنَانِ الْغِيَاضِ الْعَازِفِ
شَاعِرًا يَنْشُطِرُ الْوَحْيَ الْجَمِيلِ

من حياته

صَوْتُكَ المَشْبُوبُ من نار الحياة الخالده
جائشاً بالنَّفْثَةِ السَّكْرَى الطُّرُوبِ الشَّارِدِ
يَبِيعُ الأَمَالَ بالنفس اليُّوسِ الخَامِدِ
مِثْلَما تَبِيعُ البِسمَةُ من جَفَنِ الحَيَاةِ
حِينَما يَسْتَبْقِظُ الفَجْرَ الجَمِيلُ
بن سباه

النهضة ١ فيفري ١٩٢٨

دموع الألم

حسرات تُهيجها الذكريات
ودموع تُفيضها الشبهات
وشجون تثير في القلب آلا
ما تغنّي بصوتها الأنثى
مَنْ لقلب إذا تنهد حزنًا
صدت عنه الشجون والفصاة ؟

مَنْ لِنَفْسٍ إِذَا اسْتَعْرَ أَسَاسَهَا
 جَدَّتْ فِي عُلُومِهَا^(١) الْعِبَرَاتُ ؟
 كُلَّمَا مَضَى الزَّمَانُ بِرُزْمٍ
 عَذَّبَتْهَا بِصَوْتِهَا الذِّكْرِيَّاتُ
 مَا أَمَضَ الْحَيَاةُ إِنْ سَاوَرَقَتْهَا
 بَيْنَ هَوَاتٍ بِأَسْمِهَا الْحُسَرَاتُ
 أَمَلٌ ضَائِعٌ وَقَلْبٌ عَنِيدٌ
 مَزَقَّتْهُ الْخَطُوبُ وَالصَّعَقَاتُ
 مَا نَدَبَتْ الْحَيَاةُ إِلَّا وَصَمْعِي
 مِلْؤُهُ مِنْ نَشِيجِهَا شَهَقَاتُ

(١) ولعلها « عيونها » (ت. ب.) .

كلِّمًا طافت الحياة حوًّا
 لسيِّهوت من جفونها العبرات
 ما كرهت الحياة إلا لأنَّ النَّاسَ في راحة الردى حصّوات
 وهي جبارة تدوسُ بَنِيهَا
 وتُفَعِّلِي وهُم لَدَيْنَهَا رُفَات
 غَيْرَ أَنِّي رَأَيْتُهَا وهي تبكي
 ففُفَاقَتِ بمهجتي الزفرات
 آلَمَتْنِي شجونها فتعمّدتُ
 وطارت بغبطني الهفّوات
 وشجّعتْنِي دموعُها فتألّمتُ وغاضت بمهجتي البسات
 عشتُ في حومةِ الدهور بآرا
 ئِي وما قَسُرَّ الحَيَاة

وَعَدَا إِن قَضَيْتُ غَارَتُ شَجَوْنِي
وطواني لدى القبور السُّبَّات
فَنَسَيْتُ الشَّقَاءَ، الدَّمْعَ وَالْيَأْ
سَ وَنَامَتُ بِمَهْجَتِي الْحَرَكَاتُ
وقضى في سكينتي طائرُ الحَزْ
نِ وَأَغْفَتُ بِصَدْرِهِ النَّدْبَاتُ
هَكَذَا يُلْجِئُ الْمَنُونُ فَوَادِي
وَتَهْبُ الْحَقَائِقُ الْحَسَالِدَاتُ

النهضة : يوم الاربعاء ٢٥ جانفي ١٩٢٨

إنّ الأديب كزهرة نفّاحة
تغنو إليها الصادحات وتسجد
بلّ بلبل ما بين أنسام المنى
تلقاه صدّاح الصدى يتغرّد
تشجيه ذكرى مجد شعب باذخ
ملأ الفضاء تلهيها لا يخمد

فينوح منتعبا على ما لم يعد
إلا اذكّارا مؤلّا يتجدّد
ويقوده الهم الجميل للجنة الأحلام منها ينتقي وينضد
فيصوغ من درر الخيال قلنداً
منها السعادة في الوري تتخلد
وإلى ملذّات الغرام ووجهه
تصبو أمانيه فلا يتردّد
فيبثّ للطير المفرد سرّه
ولذلك النهر الذي لا يهجد
إن هزّ بالكفّ البراعة أسلبت
دمعا هو السحر الحلال الأبد

أو جاس أطراف النجوم بلمعة
رجعت وفيها خاطر يتوقّد

ويطوف ما بين الزهور كأنه
ملك حوالبه الكواعب تحشد

وبرشف الأزهار يسقي الراح من
أيدي النسيم فينتشي ويعربد

إن رام تقبيل الثغور بداله
نقر الأقاح مبلّلا يتودّد

أو رام فجوى فالبلابل جمّة
بين الرياض مدى الزمان تغرّد

أَوْ شاقه سحر العيون فإنّ في
تلك السهول جثا ذرا لا تُكمد

* هذه القصيدة نشرت باسم محمود خروف مرتين : الأولى في
جريدة النهضة يوم ١٦ فيفري ١٩٢٨ . والثانية في جريدة الصباح في
٣ مارس ١٩٦٩ .

ويؤكد الشاعر نور الدين صمود نسبتها إلى الشابي فيقول : إن السيد
خروف يعترف ويقسم بأن القصيدة بأكلها للشابي . أنظر مجلة الفكر العدد
العاشر جويلية ٦٦ ص ٩ - ٧ من موضوع (محاولة تحقيق وإحصاء لشعر
الشابي) لنور الدين صمود .

أنسيم يهب (*)

قصيد : لأبي القاسم الشابي . رداً عن تهنة
شعرية تلقاها بمناسبة « زفافه » (١٩٣١) من
أحد أبناء عمومته « الشيخ عامر بن محمد
الصالح الشابي » .

الحمد لله وحده
أنسيمٌ يهبٌ في الأسفار
بين تفريد بلبل وهزار

أم أفاشيد معبد رقتلها
كالنسيات غانيات الجواري

أم أريج الزهور أم نغمة الأطيّار أم غنّة النهر الجاري
أم تهانيك صاغها فكرك السامي فكانت خريدة الأشعار

يا سليل الملا ، وترب المعالي
وسمير العلوم ، رب الفخار

أنت من تسجدُ البلاغة والمجد على بابه بلا استكبار
تريه العلوم أوجهها الغرّة وتجنّيه ما بها من ثمار
إن يكن أسبغ الزمان على فوديك من شبه جلال الوقار
فبجنبيك لا تزال من الهمة والمجد جذوة من نار

بسط الله في الحياة اليكم
عمرا طيبا بغير تبار

وأراك الله (١) ما شئت في أنجالك الغرّ من علا وفخار

فهم صحبتي وإخوارن نفسي
في ظلامي وفي بياض نهاري

هاته بنت وقتها فتقبّلها فما في قبولها من عار
ولتعمش في الحياة مغتبط النفس قوى النهي يد الادهار^(١)

والسلام عليك من ابن أخيك

بلقاسم بن محمد بن بلقاسم الشابي

(*) هذه القصيدة نسخة عن الأصل المكتوب بخط الشاعر ، أمدتها
السيد محمد الصالح بن عامر الشابي مشكوراً . وقد احتفظ بها عن أبيه
المهداة له . ولم يسبق أن نشرت قط .
(١) أي أبدا .

اضافات جديدة

من حديث الشيوخ (*)

لقد خدعتني في الحياة شبثي
ولكنني قد حنكتني التجاربُ
فقد كنت ألقى للدجى برغائي
فأبصرها فوق الدنى تتخاطبُ

(*) وردت هذه المقطوعة في الطبعة الأولى من كتاب زين العابدين السنوسي «الأدب التونسي في القرن الرابع عشر» . وزيد أن يلاحظ القارئ معنا أن معظم هذه الإضافات مأخوذة من المرجع المذكور ، وقد جمعها لدار العودة الشاعر التونسي نور الدين صمود .

الزنبقة الداوية (*)

فبدنم عند سكوت الدجى
إذا نسينا عذارى السحر
صدى يتهادى ، كنغم شجي
قطاير من خفقات الورق
نُرغمه شجوننا المستكين لدى القبر ، تحت ظلال الما

فتتبع تحت الثرى الهاجع جميعا ، على نفقات الأسى

(*) هذه الأبيات الأربعة من قصيدة الزنبقة الداوية كما نشرت في المرات الأولى ، ولكن يبدو أن الشاعر أجرى تعديلا فأضاف هذه الأبيات الأربعة مكان أربعة أبيات من القصيدة التي تحمل نفس الاسم .

الفتنة الساحرة (*)

قلبي تردى من علا صهوا
ت خيل الهوى ففدا أسير فتاة
معطار ، غامقة الفروع علية الأجفان ساحرة بعين مهاة
ترنو ، فتغزو كل قلب ثابت
بشفار أشفار وحده قناه

ماء الحياة بخدما متموج
كتموج الأنوار بالمشكاة
مسكية الأنفاس وهنا بضة الأطراف ، آمنة بقلب صفاة
تغنوا لها أسد العرين ذليلة
وتخمر ، خشية طعنة اللحظات
سنة ١٩٢٧ أرقبها

(*) هذه القصيدة لم تنشر من قبل في أي من الطبعمات السابقة لديوان
أبي القاسم الشابي .. نشرت مرة في مرجع الاستاذ زين العابدين السنوسي .

الحياة (*)

مثلما تسكبُ الأشعةُ في قلب النهار الضجيجَ بعد السكونِ
يُولدُ المالُ في الحياة شُرورا
يتراءى بها خيال الجنون
يَحسبُ الناسُ بالحياة مجونا
والليالي ما إن لها من مجون

(*) هكذا نشرت هذه القصيدة - الحياة - في مرجع السنوسي المذكور .

بقطة "هذه الحياة ومن فكر فيها يحيى حياة الحزين
ما بصدر الحياة إلا قروح
داميات مثيرة اشجوني

* * *

أي شيء هذي الحياة أوهم
سابع في مسارح التخمين ؟
أم تلاشٍ يسير خلف وجود
وعصور تمر إثر قروح ؟

لا ، فما هذه الحياة سوى 'فلنك' ، سبرسي على ضفاف اليقين !
[إن هذي الحياة قيثارة الدهر وأهل الحياة مثل اللحن
نغم يستبي الشاعر كالسحر ونغم 'يخل' بالتلحين

والليالي مفاورُ تُلحيدِ اللحن ، وتقضي على الصدى المسكين [

* * *

إن في مهجة الحياة لهيبا
يَصهرُ القلب ، وهو صوت الأنين

إنما الغنّة الضعيفة نُوبُ
صاعد من وراء صمتِ الشجون

إنما الأنّة الضئيلة أصدا
ء عويل يَمِضُ روحَ الحزين

يتعالى الأنينُ من ظلمة الآلا
م يهفو ، كالبلبل المسجون

بخرق الليل، صاعداً نحو عرش الله

هـ ، مستصرخ الاله الحنون

شاكيا ، ضارعا ، فويل لمن حظ

م قلبا ، من المذابح المون

ترجمة حياة الشاعر
بقلم
محمد الأمين الشاابي (*)

(*) محمد الأمين الشاابي هو شقيق أبي القاسم ، عين أول وزير للتربية
القومية أثر الإستقلال ، وهو الآن رئيس اللجنة الثقافية القومية التونسية .

أبو القاسم الشابي

١٩٠٩ - ١٩٣٤

هو من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين
الحربين العالميتين الأولى والثانية ، أيام كان العالم
العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب
المنقوص ، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك

الفترة الإنتقالية ، إنما يلقون جحوداً وأذى لا تزيدهما
سيطرة الغرب على الشرق ، وشموخه بحضارته ،
ووثوقه بمصيره ، إلا احتداماً وسطوة لدى فريق واسع
من الخاصة والعامة على السواء .

بيد أن الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف مره
فانضم إليه ، ثم صدح محلقاً إلى أن اختطفته يد المنون
وهو في ريعان الشباب .

كان والده^(١) من خريجي الأزهر ومن مجازيه ، وبه

(١) هو المرحوم الشيخ محمد بن بالقاسم الشابي سليل أسرة « الشابية »
التي تمحّضت للعلم بعد أن أنجبت في القرنين العاشر والحادي عشر هـ . من حملة
القلم والسيف ، من اكتسبت بمساعيهم مجداً سجله التاريخ التونسي .

درس أولاً ، فأقام بمصر في أوائل هذا القرن سبع سنين ، ثم درس بتونس بجامع الزيتونة سنتين ، حصل بعدها على « التطويب »^(١) ، ثم سمي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره أبي القاسم فتصرف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله ، ولقد نشأ أبو القاسم في سني تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه . كان رحمه الله صادق التقى ، قوي

(١) هي إجازة نهاية الدراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم ، له غيرة على
شؤون المسلمين والإسلام ، فننقل نفسه بما يجري
آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب
أو بلاد الريف .

قال الشاعر متحدثاً عن أبيه : « إنه أفهمني معاني
الرحمة والحنان ، وعلمني أن الحق خير ما في هذا العالم
وأقدس ما في هذا الوجود »^(١)

لم يفتأ أبو القاسم بمسقط رأسه ، فقد خرج عنه

(١) كتاب « الخيال الشعري عند العرب » صفحة الإهداء - وقد
أهداه لواله له .

في سنته الأولى ولم يكده يعرفه إلا قليلاً ، أثناء
قدَمَتَيْن أقام فيها نَحْوَ من ثلاثة أشهر ، الأولى عند
خُتانه في الخامسة من عمره ، والثانية زائراً (١) ،
وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في
بحرها بالبلاد التونسية طويلاً وعرضاً ، متنقلة من قابس
إلى سليانة فتالة ، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل
فزغوان . وبين هذه المدن من الأميال ما يقدر بالآلاف
أحياناً ، وعلى نسبة ذلك اختلافُ العادات واللهجات
والمشاهد الطبيعية . فلم تكن واحة قابس كبسات
مجاز الباب يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتين رأس

(١) الملاحظ أن كتاب رسائل الشابي يحتوي على عدة رسائل .

الجليل ، أو كجبل زغوان يحكسوه شجر الصنوبر ،
ولم يكن حرّ قابس كتلوج نالة ، ولا حياة الفلاحين
بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس
الجليل ، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم وشبابه عملت على تضخم
تجربته ، وتدفق شاعريته ، وازدهار ريشته ، بيد
أن الشاعر أفاد ما يفيد كل عابر سبيل متيقظ
واعٍ ، إذا ما استقر بأرض كان ربيبها لا أبنها
الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة
وأكبّه قونية ، إنسانية الآفاق .

قدم أبو القاسم إلى العاصمة سنة ١٣٣٩ هـ -

١٩٢٠ م . للدراسة بجامعة الزيتونة في الثانية عشرة
من عمره ، وقد تكوّن سريعاً ، وقال الشعر
باكراً^(١) . كوّن لنفسه ثقافة واسعة عربية بحثة

(١) قصيدة (يا حب) (*) التي أثبتناها بالديوان ، نظمها سنة ١٣٤٢ هـ -
١٩٢٣ م . وقد وصف صديقه الأستاذ زين العابدين السنوسي طريقته في
وضع قصائده ، فقال : (إذا رجعنا إلى أدبائنا المعاصرين عرفنا أن المرحوم
أبا القاسم الشابي لم يكن يستنزل الشعر ولكنه كان يفيض عليه مهاجرة ثمنه
الراحة والنوم ، فيصوغ القصيدة بيتاً بيتاً ويتجهج كل واحدة بمفردها في ليله
وظلامه الدامس ولا تفارقه تلك الحال حتى يستفرغ ما جاش بضميره شعراً
محكماً . ثم ينام مطمئناً كأنما نزع عن ظهره عبئاً ، حتى إذا استيقظ في الغد
متأخراً وجدها على طرف لسانه ونسخها عن ذاكرته مطمئناً ، وربما طاش
عنه الشطر فلا يرضى أن يموضه أبداً ، وتبقى القصيدة بتراء في جيبه يقرؤها
علينا بتراء لا يحصر على ترقيعها أبداً . إلا أن يتذكرها ولو بعد أشهر فيتمها
وينسخها في كنانة) .
(*) مكتوبة من الشابية بتوذر (! ؟) .

جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع
الأدب الحديث بمصر والعراق وسوريا والمهجر ، ولم
يكن يعرف لغة أجنبية ، فتمكن بفضل مطالعته الواسعة
من استيعاب ما تنشره المطابع العربية عن آداب الغرب
وحضارته . وكانت أول نشراته في الصفحة الأدبية
التي كانت ترقبها « النهضة » كل اثنين - سنة ١٣٤٢ هـ
١٩٢٦ م . وفي سنة ١٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م . ظهر شعره
مجموعاً في المجلد الأول من كتاب « الأدب التونسي في
القرن الرابع عشر » ^(١) وفي نفس السنة ألقى بنادي

(١) تأليف الأستاذ زين العابدين السنوسي (انظر الجزء الأول من صفحة
٢٠٢ حتى صفحة ٢٥٤) .

قدماء الصادقية محاضرة حول « الخيال الشعري عند العرب » كانت مادة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السنة التالية .

وإنك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي كانت تعتلج بها النفوس آنذاك من بعث حركة الشبان الملمحين ودعوة لتجديد الجهاز الثقافي التقليدي ، ومناصرة حركة تحرير المرأة^(١) ودعوة لتجديد في الأدب تحتل المكان الأول

(١) ناصر الشاعر صديقه ، لطفور له الطاهر الحداد واضع كتاب « امر في الشريعة والمجتمع » الذي اثار ردوداً حارة وسخطاً هنيئاً .

من نفسه وقد أحدث كتابه « الخيال الشعري »
الضجة الكبرى واستهدف الشاعر بسببه لمحة صحفية
عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .

نشرت هذه الآثار في حياة والده ، فلم ينكر عليه
مذهبه ، ووجد الشاعر في تسامح أبيه ما يعزز جانبه
وفي هذه الأثناء (سنة ١٩٢٩) نكب بوفاة والده
المحبوب ، ولقد رافقه عليلاً من بلد « زغوان » إلى
« نوزر » مسقط رأسه ، وتجرع غصص مرضه ،
وظفحت الكأس بموته وهو في الخمسين من عمره ،
فاضاع بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً ،
فلأنه - ضناً بحرية الأديب والشاعر - لم يلبج باب

الارتزاق من المناصب الحكومية ورضي بحياة بسيطة
على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج^(١) ، ولعل هذا
الذي عناء بعضهم حين قال : « كنا نرى في نفسه
الزكية مثال القناعة في أفضل ألوانها والطموح على خير
وجوهه^(٢) » .

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب ، وهو

(١) ما زالت زوجته على قيد الحياة وقد انجب منها ولدين اولهما محمد
سمي بأسم والده الشابي وهو ضابط في الجيش التونسي ، والثاني (جلال)
وهو موظف .

(٢) مجلة « العالم الادبي » (شعبان سنة ١٣٥٣ - نوفمبر
سنة ١٩٣٤)

في الثانية والعشرين من عمره ، بيـ ٣ أنه رغم نهى الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري ، وواصل إنتاجه نثراً وشعراً . وقد نشرت له سنة ١٩٣٣ بمجلة «أبولو» المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأوساط الأدبية بالشرق العربي ، وإلى أبي القاسم أو كل صديقه الدكتور أحمد زكي أبو شادي تصدير ديوانه «النبوع» .

لم يكن الشاعر المريض يغادر «توزر» إلا في الصيف ويقصد المصطافات الجبلية كمين دراهم بالشمال التونسي سنة ١٩٣٢ ، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة ١٩٣٣ .

وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ في جمع ديوانه «أغاني الحياة» بنية طبعه بمصر^(١) فانتسخه بنفسه بحامة الجريد ، مستعيناً ببعض أدائها ، لكن باغتته المنية وحالت دون ما نوى . فقد انتابه المرض بغاية الشدة وقصد «تونس» يوم ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٣٤ وبها توفي^(٢) سحرا يوم ٩ أكتوبر سنة ١٩٣٤ ، ثم نقل جثمانه إلى بلده (الشابية قرب) «توزر» حيث

(١) حيث تطوع الاستاذ ابو شادي للاشراف على طبعه .

(٢) بالمستشفى الايطالي «القديم» بحبي «مونفلوري» . (ويسمى الآن مستشفى الحبيب فامر) .

قبره . (ثم نقل إلى نوزر أمام دار الثقافة بين
النخيل) .

* * *

نحيف الجسم ، مديد القامة ، قوي البدية ،
سريع الإنفعال ، حادّ الذهن تكفكف رقة طبعه
من غرب عاطفته وحدة ذهنه يراه أصدقاءه « بشوشا ،
كريما ، وديعا ، متأنقا ، طروباً لمجالس الأدب يحب
الفكاهة الأدبية » (١) ، وبراء من لم يخالطه حياء
محتشاً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة
قوية يبدئها لخاصة خلطائه في غير ما تخرج من
اجتمع بهم ويحاهر بها العموم في شعره ونثره . وكان

(١) العالم الأدبي ديسمبر ١٩٣٤ بقلم المغفور له البشير الفورقي عميد
الصحفيين التونسيين .

محباً لبلاده ، صادق الوطنية ^(١) يؤمن بأن لقادة

(١) أبنته في ذكراه الأربعينية المرحوم الطاهر صفر احد قادة الحركة الوطنية الممتازين إذ ذاك واحد اعضاء الدewan السياسي للحزب الحر الدستوري التونسي بما خلاصة : (تكلم الأستاذ صفر نيابة عن قدماء الصادقية عن شاعرنا الفقيد فأكبر روحه الأدبية ونبوغه الشعري وأشار إلى الناحية الوطنية والإحساس الفياض الذي كان الشاعر يفيض به عن آمال بلاده وآلامها ، وقد ذكر الخطيب انه اجتمع مع فقيدنا الشابي في بلدة طبرقة حينما كان الشاعر في حال شديدة من الألم ، وقد دار إذ ذاك الحديث بين الشاعر والزعيم في الوطنية عما يؤمله للشعب التونسي ، من التقدم ورثى الشاعر لحال الشعب الآن ، وقد عبر عن ذلك في قطعة شعرية وطنية نشرتها جريدة « العمل » بعد (٢٢) . « العالم الأدبي » في ديسمبر سنة ١٩٣٤ .

الفكر رسالة إنسانية سليمة حاول جهده أن يحققها
في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً .

تونس في ١٢ من افريل سنة ١٩٥٤ .

م. أ. ش.

فهرست

۷	دراسة وتقديم
۴۹	الفزال الفائق
۵۳	أها الحب
۵۵	خلة الموت
۵۶	النجوى
۵۸	تونس الجميلة
۶۱	شعري
۶۴	الصيحة

٦٧	في الظلام
٧٠	جمال الحياة
٧٣	من حديث الشيوخ
٧٥	نظرة في الحياة
٧٨	الحياة
٧٩	أنشودة الرعد
٨٢	غرفة من يم
٨٦	مأتم الحب
٩٠	الكتابة المجهولة
٩٥	شكوى اليتيم
٩٨	الزنبقة الزاوية
١٠٢	يا شمر
١١٨	إلى الطاغية

١٢٢	السامة
١٢٥	أغنية الأحزان
١٣٣	الدموع
١٣٧	أيها الليل
١٤٨	المجد
١٥٠	الحب
١٥٢	جدول الحب بين الأمس واليوم
١٥٨	سر مع الدهر
١٥٩	الذكرى
١٦٢	الطفولة
١٦٤	قالت الأيام
١٦٦	المساء الحزين
١٧١	بقايا الحريف

١٧٥	أغنية الشاعر
١٧٩	في فجاج الآلام
١٨٥	مناجاة عصفور
١٩٢	يا رفيقي
١٩٦	إلى الموت
١٩٩	إلى عازف أعمى
٢٠٢	صوت تائه
٢٠٦	قبضة من ضباب
٢٠٨	نشيد الأمل
٢١٤	قلت للشعر
٢٢٠	يا ابن أُمي
٢٢٢	أغاني التائه
٢٢٦	إلى قلبي التائه

٢٣٠	أكثر يا قلبي فماذا تروم
٢٣٤	يا موت
٢٣٩	إلى الله
٢٤٦	النبي المجهول
٢٥٧	الأبد الصغير
٢٦٣	صفحة من كتاب الدموع
٢٦٧	الجمال المنشود
٢٧١	طريق الهاوية
٢٧٥	يا حماة الدين
٢٧٩	شجون
٢٨١	الأسواق التائهة
٢٨٥	أحلام الشاعر
٢٨٨	قيود الأحلام

٢٩٢	(٢)
٢٩٤	رثاء فجر
٢٩٦	أنا أبكيك للحب
٢٩٩	أبناء الشيطان
٣٠٣	صلوات في ميكل الحب
٣١٥	أراك
٣١٩	فكرة الفنان
٣٢٤	سر النهوض
٣٢٥	قلب الأم
٣٣٤	حديث المقبرة
٣٥٠	في ظل وادي الموت
٣٥٥	الساحرة
٣٦١	الجنة الضائعة

٣٦٨	السعادة
٣٧٢	من أغاني الرعاة
٣٧٨	أيتها الحاملة بين العواصف
٣٨١	للتاريخ
٣٨٣	صوت من السماء
٣٨٦	ذكرى صباح
٣٩٣	الرواية الغريبة
٣٩٥	الصباح الجديد
٣٩٩	ألحاني السكرى
٤٠٦	إرادة الحياة
٤١٤	تحت الفصوص
٤٢٦	إلى الشعب
٤٣٧	الناس
٤٣٩	متاعب العظمة
٤٤٠	نشيد الجبار

٤٤٨	زوبعة في ظلام
٤٥١	الإعتراف
٤٥٣	قلب الشاعر
٤٥٧	إلى طفاة العالم
٤٦٠	الغاب
٤٧٣	حرم الأمومة
٤٧٥	شكوى ضائعة
٤٨٠	الدنيا الميتة
٤٨٤	فلسفة الثعبان المقدس
٤٩٢	قال قلبي للآله
٤٩٤	زئير العاصفة
٤٩٧	إياك
٤٩٨	كهرباء الغرام
٤٩٩	صبيحة الحب
٥٠٤	وعود الغواني

٥٠٦	ليلة عند الحبيب
٥١١	ليت شعري
٥١٤	في سكون الليل
٥١٨	إلى البلب
٥٢٥	دموع الألم
٥٢٩	الأديب
٥٣٣	أنسم يهب

إضافات جديدة

٥٣٩	من حديث الشيوخ
٥٤٠	الزنبقة الزاوية
٥٤٢	الفتنة الساحرة
٥٤٤	الحياة
٥٤٩	ترجمة حياة الشاعر
٥٥١	أبو القاسم الشابي

